
ديوان
إبراهيم ناجي
دار العودة . بيروت
Bibliotheca Alexandrina

ديوان ابراهيم ناجي

ديوان

ابراهيم ناجي

دار العودة - بيروت

١٩٨٦

كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ ـ ٣١٨١٦٥ ـ ٨١٥٣٣٥
تلكس AWDA 23682 LE
ص . ب ١٤٦٢٨٤

وراء الغـــمَــام

الاهداء

أنتَ وحيُ العبقرية ... وجلالُ الأبدية
أنت لحنُ الخلد والر ... حمة في أرض شقية
أنت سرٌّ تعبتْ فيـ ... ـه العقول البشرية
إن تكن أشجتك أشعا ... ري وأناتي الشجية
فتقبّلْ طاقةً بالد ... م والدمع ندية
وارض عنها! وإذا لم ... ترض فاغفرْ لي الهدية

* * *

يا حبيبي! نضب العمرُ ... وقرّبنا الضحية!
إن يكن قد شقي الما ... ضي فما أهنا البقية
في خيالاتٍ غوالٍ ... وأمانٍ ذهبية
يطلع الصبح عليها ... مثلما تمضي العشية
أنت صهباء السماوا ... ت! وروحٌ قُدُسية
بتَّ تسقينيْ فتنسيـ ... ـني أوجاعيْ العصية
فسلاماً كل حينٍ ... وغراماً وتحية!

المآب

(رفيق من رفاق الصّبا، رآه الناظم
عليلا محمولا بعد غربة طويلة)

لِمَن العيونُ الفاتراتُ ذبولا
ومَن الخيالُ موسّداً محمولا
يا همّ قلبي في صبا أيامهِ
وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناي كذّبتا وقلبي لم تدعْ
دقاتُه شكاً ولا تأويلا
يا أيها الملك العليل أفقْ تجدْ
مُضناكَ بين العائدين عليلا
يوم المآب كم انتظرتُك باكياً
وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبتُ عنك فما تركتُ مخاطباً
وسألتُ حتى لم أدعْ مسؤولا
وغرقتُ في الأملِ الجميلِ فلم أدعْ
متخيَّلاً عذباً ولا مأمولا
وبكيتُ من يأسي عليك فلم أذرْ
عند المحاجرِ مدمعاً مبذولا
وأسائلُ الزمنَ الخفيَّ لعلهُ
يشفي أواماً أو يبلّ غليلا
«يا أيها الزمن الذي أسرارُه
لا تستطيعُ لها العقولُ وصولا»
«بالله قل أوما وراءك لحظة
جمعت خليلاً هاجراً وخليلا؟»
هي لحظةٌ وهي الحياةُ ومن يعشْ
من بعدِها يجدُ الحياةَ فضولا

مرَّ الظلامُ وأنت ملءُ خواطري
ودنا الصباحُ ولم أزلْ مشغولا
وأتى النهارُ على فتىً أمسى بما
حمل النهارُ من الشؤونِ ملولا
وكذا الحياةُ تُملُّ إن هي أقفرت
ممن يهوِّنُ عِبأها المحمولا
كدٌّ على كدٍّ ولست ببالغ
إلا ضنىً متتابعاً ونحولا
صدأُ الحوادثِ بدّل الاشراقَ في
فكري وكدّر خاطري المصقولا
وتتابعُ الأنواءِ في أفْقِ الصّبا
لم يُبقِ لي صحواً أراه جميلا
ذهب الصبا الغالي وزالت دوحةٌ
مدت لنا ظلَّ الوفاء ظليلا
أيام يخذلني أمامك منطقي
فاذا سكتُّ فكل شيءٍ قيلا!
ويثور بي حُبي فإنْ لفظٌ جرى
بفمي تعثر بالشفاه خجولا
يا مَن نزلتُ بنبعهِ أردِ الهوى
فأذاقنيه محطماً ووبيلا
ما راعني ما ذقتُه وخشيت أن
ألقاك بالداءِ الدفين جهولا
فأشدّ ما عانى الفؤاد صبابةٌ
شبّتْ وظل دفينها مجهولا!

ساعة لقاء

يا حبيبَ الروحِ يا روحَ الأماني
لستَ تدري عطشَ الروحِ إليكا
وحنيني في أنينٍ غيرِ فانِ
للرّدى اشربُه من مقلتيكا

* * *

آهِ من ساعةِ بثٍّ وشجونْ
ولقاءٍ لم يكنْ لي في حسابْ
وحديثٍ لم يدرْ لي في الظنونْ
يا طويلَ الهجرِ يا مُرَّ الغيابْ

* * *

حلَّ يا ساحر صفوٌ وسلام
بعد فتكِ البينِ بالقلبِ الغريبْ
ودنا روْضٌ وظلٌّ وغمامْ
بعد فتك النارِ بالعمرِ الجديبْ!

* * *

مرّتِ الساعةُ كالحِلم السعيدْ
ومشتْ نشوتها مشي الرحيقْ
ذهبَ العمرُ، وذا عمرٌ جديدْ
عشته من فمِك الحلوِ الرقيقْ!

* * *

مرّتِ الساعةُ والليلُ دنا
والهوى الصامتُ يغدو ويروحْ
وتلاشتْ واختفتْ أجسادُنا
واعتنقنا في الدُّجى روحاً بروحْ

* * *

تسمعُ الشعرَ وشعري منك لكْ
وبإلهامك أبدعتُ الرويّ
أنت يا معجزةَ الحسنِ ملكْ كلُّ لفظٍ
منك شعرٌ قدسيّ

* * *

راجعتنا في جلالٍ وسكوتْ
وتوالتْ صورُ الماضي الحزينْ
كيف يبلى يا حبيبي أو يموتْ ما طبعناهُ
على قلبِ السنينْ

* * *

كيف يفنى ما كتبناهُ بنارْ
وخطَطْناهُ بسهدٍ ودموعْ
يشهدُ الليلُ عليه والنهارُ والشهيدُ
المتواري في الضلوعْ

* * *

التقت أرواحُنا في ساحةٍ كفرييين
استراحا من سَفرْ!
وحططْنا رحلَنا في واحةٍ
زادُنا فيها الأمانيُّ والذِكرْ
وتساءلتُ عن الماضي وهلْ حَسُنت
دنيايَ في غيرِ ظلالِكْ؟
يا حبيبي! أين أمضي من خجل
وفؤادي أين يمضي من سؤالِكْ!

* * *

شدَّ ما يُخجِلُني جهدُ المُقِلْ
مِن شبابٍ ضاعَ أو من نورِ عينٍ

يتمشى السقمُ في قلبِ الأجلْ
وأراني لك ما وفيتُ دَيْني

* * *

أنا شاديكَ ولحني لك وحدكْ
فاقضِ ما ترضاهُ في يومي وأمسي
درجَ الدهرُ وما أذكرُ بعدَكْ
غيرَ أيامِك يا توأم نفسي!

* * *

وأنا الطائرُ! قلبي ما صبا
لسوى غصنِك والوكرِ القديمْ
ما تبدّلنا! ولا حالَ الصِّبا
والهوى الطاهرُ والودُّ الكريمْ

* * *

لم تَزَلْ ذكراهُ من بالي وبالِكْ كيف
ينسى القلبُ أحلامَ صباهْ؟
قد صحتْ عيني على فجر جمالكْ
كيف يُنسى الفجر يافجرَ الحياهْ؟

العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها
قد تغيّرت حالها)

هذه الكعبةُ كنّا طائفيها
والمصلّين صباحاً ومساءْ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها
كيف بالله رجعنا غرباءْ

* * *

دارُ أحلامي وحبي لقيتْنا
في جمودٍ مثلما تلقى الجديدْ
أنكرتنا وهي كانت إن رأتنا
يضحكِ النورُ إلينا من بعيدْ

* * *

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيحْ
وأنا أهتفُ: يا قلب اتّئِدْ
فيجيبُ الدمعُ والماضي الجريحْ
لِمَ عُدنا؟ ليت أنّا لم نعُدْ!

* * *

لِمَ عُدْنَا؟ أو لَمْ نطوِ الغَرَامْ
وفَرَغْنَا مِن حنينٍ وألَمْ
ورَضينا بسكونٍ وسلامْ
وانتهينا لفراغٍ كالعَدَمْ؟!

* * *

أيها الوكر إذَا طارَ الأليفْ
لا يَرَى الآخرُ معنًى للسماءْ

ويَرَى الأيامَ صفراً كالخَريفْ
نائحاتٍ كرياحِ الصَّحراءْ

* * *

آه مما صنع الدهرُ بنا
أو هذا الطلَلُ العابسُ أنتَ!
والخيالُ المطرقُ الرأس أنا
شدَّ ما بتنا على الضنْكِ وبتّ

* * *

أين ناديك وأين السمرُ
أين أهلوك بساطاً وندامى
كلما أرسلتُ عيني تنظرُ
وثبَ الدمعُ إلى عيني وغامَا

* * *

موطنُ الحسنِ ثوى فيه السأمْ
وسرت أنفاسُه في جوّهِ
وأناخَ الليلُ فيه وجثم
وجرَت أشباحُه في بهوِهِ

* * *

والبلى! أبصرتُه رأيَ العيانْ
ويداه تنسجان العنكبوتْ
صحتُ! يا ويحك تبدو في مكانْ
كل شيء فيه حيٌ لا يموت!

* * *

كل شيء من سرورٍ وحَزَنْ
والليالْي من بهيجٍ وشجى

وأنا أسمع أقدامَ الزمنْ
وخُطى الوحدةِ فوق الدرج

* * *

ركنيَ الحاني ومغنايَ الشفيقْ
وظلالُ الخلدِ للعاني الطليحْ
علم اللهُ لقد طال الطريقْ
وأنا جئتك كيما أستريح

* * *

وعلى بابك ألقي جَعبتي
كغريبٍ آبَ من وادي المحنْ
افيك كف اللهُ عني غربتي
ورسا رحلي على أرض الوطن!

* * *

وطني أنتَ ولكني طريدْ
أبديُّ النفي في عالمِ بؤسي!
فإذا عدتُ فللنجوى أعودْ
ثم أمضي بعدما أفرغُ كأسي!

الحنين

(الحنين اذا كبر وزاد
قد يتجسم شخصاً)

أمسي يعذبني ويضنيني
شوقٌ طغى طغيانَ مجنون
أين الشفاء ولَمْ يعد بيدي
إلاّ أضاليلٌ تداويني
أبغي الهدوء ولا هدوء وفي
صدري عبابٌ غير مأمون
يهتاج إن لَجَّ الحنين به
ويئن فيه أنينَ مطعون
ويظل يضرب في أضالعه
وكأنها قضبان مسجون
ويحَ الحنين وما يجرعني
من مُرِّه ويبيت يسقيني
ربيتُه طفلاً بذلتُ له
ما شاء من خفضٍ ومن لينِ
فاليوم لمّا اشتدّ ساعدُه
وربا كنوارِ البساتينِ
لَم يرضَ غير شبيبتي ودمي
زاداً يعيشُ به ويفنيني
كم ليلةٍ ليلاءَ لازمني
لا يرتضي خلاً له دوني
ألفي له همساً يخاطبني
وأرى له ظلاً يماشيني
متنفساً لهباً يهبُّ على
وجهي كأنفاسِ البراكينِ
ويضمُّنا الليلُ العظيمُ وما
كالليلِ مأوى للمساكينِ

الناي المحترق

كم مرَّة يا حبيبي والليل يغشي البرايا
أهيم وحدي وما في الظلام شاكٍ سوايا
أصيِّرُ الدمعَ لحناً وأجعَلُ الشعرَ نايا
وهل يلبّي حطام أشعلته بجوايا
النارَ توغل فيه والريحُ تذرو البقايا
ما أتعسَ الناي بين المنى وبين المنايا
يشدو ويشدو حزيناً مرجعاً شكوايا
مستعطفاً مَنْ طوينا على هواه الطوايا
حتى يلوح خيالٌ عرفته في صبايا
يدنو إليَّ وتدنو من ثغره شفتايا
إذا بحلمي تلاشى واستيقظت عينايا
ورحت أصغي. وأصغي لَم أُلْفِ إلاّ صدايا!

المنسي

متى يرق الحظ يا قاسي
ويلتقي المنسيُّ والناسي!
متى! وهل من حيلةٍ في متى
وفي خيالاتٍ وأحداسٍ؟
هدُّ قراري جريُها في دمي
وهمسُها في كر أنفاسي
وأنت مثل النجم في المنتأي
وفي السنا الخاطف كالماسِ
يرنو له الناسُ ويبغونه
وما يبالي النجمُ بالناسِ!
وأنت كأسُ الحسنِ لكننا
مثل حبابٍ حامَ بالكاس
طفا وقد قبّل أنوارَها
ورفَّ مثل الطائر الحاسي!
وجفَّ أو ذاب على نورها
كما يذوب الطلُّ بالآس!

تحليل قبلة

ولما التقينا بعد نأيٍ وغربةٍ
شجيين فاضا من أسىً وحنينِ
تسائلني عيناك عن سالفِ الهوى
بقلبي وتستقضي قديمَ ديونِ
فقمت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي
وأنَّ من الكتمان أيّ أنينِ
يبثُّ فمي سرَّ الهوى لمقبَّل
أجود له بالروح غيرَ ضنين
إذا كنتِ في شكٍّ سلي القبلةَ التي
أذاعت من الأسرارِ كلَّ دفين
مناجاةَ أشواقٍ، وتجديدَ موثق
وتبديدَ أوهامٍ، وفضَّ ظنون
وشكوى جوىً قاسٍ، وسقمٍ مبرحٍ
وتسهيدَ أجفانٍ، وصبرَ سنين!

الحياة

(استعراض للحياة في شارع)

جلستُ يوماً حين حلَّ المساءْ
وقد مضى يومي بلا مؤنسِ
أريحُ أقداماً وهتْ من عياءْ
وأرقبُ العالَمَ من مجلسي!

* * *

أرقبه! يا كَدّ هذا الرقيبْ
في طيّب الكون وفي باطلهْ
وما يبالي ذا الخضمُ العجيبْ
بناظر يرقب في ساحلهْ

* * *

سيان ما اجهلُ أو أعلم
من غامض الليلِ ولغزِ النهارْ
سيستمرُ المسرحُ الأعظَمُ
روايةً طالت وأين الستار

* * *

عييتُ بالدنيا وأسرارِها
وما احتيالي في صموتِ الرمالْ!
أنشدُ في رائع أنوارِها
رشداً فما أغنمُ الآ الضلالْ!

* * *

أغمضتُ عيني دونها خائفاً
مبتغياً لي رحمةً في الظلامْ

فصاح بي صائحُها هاتفا
كأنما يوقظني من منامْ:

* * *

أنت امرءٌ تسرزحُ تحت الضنى
لم يبقِ منك الدهرُ إلا عناد!
وكل ما تبصرهُ من سنا
يهزأ بالجذوة خلف الرمادْ!

* * *

وكل ما تُبصره من قوى
تدوي دويَّ الريحِ عند الهبوبْ
يسخر من مبتئس قد ثوى
يرنو إلى الدنيا بعين الغروبْ!

* * *

أنظرْ إلى شتى معاني الجمالْ
منبثة في الأرض أو في السماءْ
ألا ترى في كل هذا الجلال
غير نذيرٍ طالعٍ بالفناءْ!

* * *

كم غادة بين الصبا والشبابْ
تأنّق الصانع في صنعها
تخطرُ والأنظار تحدو الركاب
ولفظة الإعجاب في سمعها!

* * *

وربما سار إلى جنبها
مدلّهٌ ليس يبالي الرقيبْ

يمشي شديدَ العجب في قربها
إذ راح يوليها ذراعَ الحبيبْ!

* * *

وانظر إلى سيارة كالأجلْ
تخطفُ خطفاً لا تُبالي الزحامْ
هذا الردى الجاري اختراع الرجلْ
هل بعد صنع الموت شيءٌ يُرامْ!

* * *

وانظر إلى هذا القويِّ الجسدْ
الباترِ العزم الشديد الكفاحْ!
قد أقبل الليلُ فحيِّ الجلد
في رجل يدأبُ منذ الصباحْ

* * *

أجبتُ: يا دنياي من تخدعين؟!
إني امرؤٌ ضاق بهذا الخداعْ
مـزَّقتِ عن عيشي هنيَّ السنين
لأنني مزقتُ عنكِ القناعْ!

* * *

ان الجمالَ الساحرَ الفاتنا
يا ويحه حين تغير الغضون
ويعبثُ الدهرُ بحلو الجنَى
وتستر الصبغةُ إثمَ السنينْ!

* * *

وهذه السيارةُ العاتيةْ
وربُّها الجبارُ كالبرقِ سارْ

مـا هـي الا شُـعَـلٌ فـانـيـةْ
نصيبُهـا مثـلُ شعـاع النهـارْ!

* * *

وارحمتـاه لـلقـويُّ الـصـبـورْ
يقضي الليـالي في كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبكي لـكـدح الفـقيـرْ
أقصى منـاه أن ينـال الـرغيفْ!

* * *

كم صِحتُ إذا أبصرتُ هذا الجهادْ
ومبسـم الـذلـة فـوق الجبـاهْ
يـا حسـرتـا ممـا يـلاقي العبادْ
أكُـلُّ هـذا في سبيـل الحياةْ؟!

* * *

وفي سبيـل الـزاد والمـأكـل
نـمـلأ صـدرَ الأرضِ إعـوالا
كم يسخـر النجمُ بنـا مِن عـل
وكـم يـرانـا الـلّهُ أطـفـالا!

* * *

يـا ربُّ غفـرانـك إنـا صِغـارْ
نـدبُّ في الـدنيـا دبيبَ الغـرورْ
نسحب في الأرض ذيـولَ الصغارْ
والشيـبُ تـأديبٌ لـنـا والقبـورْ!

* * *

قلب راقصة

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأينا
مستغرقاً في الفكرِ والسأمِ
فمضيتُ لا أدري إلى أينا
ومشيت حيث تجرّني قدمي

* * *

فرأيتُ فيما أبصَرَتْ عيني
مَلهىً أعِدَّ ليبهجَ الناسا
يجلون فيه فرائدَ الحسن
ويباع فيه اللهو أجناسا

* * *

بغرائب الألوان مزدهر
وتراه بالأضواء مغمورًا
فقصدته عَجِلاً ولي بصرُ
شبه الفراشة يعشق النورًا!

* * *

ودخلتهُ أجتازُ مزدحماً
بالخَلق أفواجاً وأفواجا
وأخوضُ بحراً بات ملتطماً
بالناس أمواجاً وأمواجا

* * *

فقدوا حجاهم حينما طربوا
ودووا دويَّ البحرِ صخَابا
فإذا استقرّوا لحظةً صخبوا
لا يملكون النفسَ إعجابا

* * *

متـوثبيـن يـميـلُ صفُهـم
مـتـطلعَ الأعـنـاق يـتـقـدُ
ومـصـفـقيـن عَـلَتْ أكـفُهـم
فـوّارةً فـكـأنـهـا الـزبـدُ!

* * *

لِمَ لا أثـورُ اليـومَ ثـورتـهم؟
لِمَ لا أجـرّبُ مـا يحبـونـا؟
لِمَ لا أصيـح اليومَ صيحتهم؟
لِمَ لا أضجُّ كما يضجـونا؟!

* * *

لِمَ لا تـذوق كؤوسَهم شفتي؟
إنَّ الحجـا سُمّي وتـدميـري
في ذمـةِ الشيـطانِ فلسفتي
ورزانـتي ووقـارِ تـفكـيـري!

* * *

يـا قلبُ! ضقتَ وها هنا سعةٌ
ومـجـالٌ مـصـفـودٍ بـأغـلال
أتـقـول أعـمـارٌ مـضـيـعـة؟!
مـاذا صنعت بعمـرك الغـالي؟!

* * *

أنـظر تـرَ السيقـان عـاريـةً
وتـرَ الخصورَ ضـوامراً تغـري
وتجـدْ عيـون اللهـو جـاريـة
فهنـا الحياة! وأنت لا تـدري

* * *

مَنْ هــذه الحسناءُ يــا عيني؟
الـــــسحرُ كــلُّها وظــلُّها
كـالـطيــرِ من غصنٍ إلى غصنِ
وثَّـابــةً، وثب الفـؤاد لـهــا!

* * *

وتــراه حــسنــاً غـيــرَ كــذابِ
لا مــا يــزيفــه لــك الضــوءُ
ويــزيــد فـتنتَهـا بــاغــرابِ
حــزنٌ وراءَ الحســن مخبــوءُ!

* * *

ثم اختفتْ والجمــعُ يــرقبهــا
ويلحُّ: عــودي! ليس يرحمهــا
هــي متعــةٌ للحسِّ يطلبهــا
وأنــا بــروحي بتُّ أفـهمُـهــا!

* * *

ورأيتُهــا فــي آخــر الـليــلِ
في فتيــةٍ نصبوا لهــا شــركــا
يعلو سنــاها الحــزنُ كــالــظلِ
مــسكينــة تتكـلّفُ الضــحكــا

* * *

فمضيتُ تــوّاً، قلت: سيـدتي!
زنــتِ الـمــراقص أيّما زيــن!
هــل تــأذنين الآن ســاحــرتي
تــأكيــدَ اعجــابي بكــأسين؟

* * *

فتمنّعــت وأنــا الـحّ ســدىً
بــالـقــول أُغــريهــا وأعتــذر

فاستدركتْ. قالت: أراك غداً
ان شئتَ. اني اليوم أعتذر

* * *

وتحوَّلت عني لرفقتها
ما بين منتظرٍ ومرتقبِ
فتّانة تغري ببسمتها
وتحدّدُ الميعادَ في أدبِ

* * *

حان اللقاءُ بغادتي وأنا
اخشى سراباً خادعاً منها
متلهفاً أستبطىءُ الزمنا
وأظل أسأل ساعتي عنها

* * *

وأجيل عينَ الريب ملتفتاً
متطلعاً للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى
هي في ذراعيْ حبه الآنا!

* * *

مَنْ ذا يُصدّقُ وعدَ فاتنة
لا ترحمُ الأرواحَ إتلافا
أنثى تلاقي كل آونةٍ
رجلاً وترمي الوعدَ آلافا

* * *

وهممتُ بعد اليأسِ أن أمضي
فاذا بها تختالُ عن بُعدِ
ميَّزتها بشبابها الغضِّ
وبقدّها، أُفديه من قدًّ!

* * *

يـا لـلقلوب لـمـلـتـقـى اثـنـيـن
لا يـعـلـمـان لأيـمـا سَبَـبِ
جمعتهـمـا الـدنيـا غـريـبـين
فتـآلـفـا في خـلوةٍ عَـجَـبِ

* * *

عجبـاً لـقلب كـان مـطمعـه
طَـرَبـاً فجـاء الأمـرُ بـالعكس
وأشـدّ مـا في الكـون أجمعـه
بـين الـقـلوب أواصـرُ الـبؤس

* * *

مَن أنت يـا مَن روحُها اقتربت
مني وخـاطـب دمعُهـا روحي
صبّته في كـأسي! ومـا سكبتْ
فيـه سـوى أنّـات مـذبـوحِ

* * *

عجبـاً لنـا! في لحظةٍ صـرنـا
متفـاهـميـن بغـيـر مـا أمـدِ!
يـا مَن لقيتُـك أمس! هـل كنـا
روحين ممتـزجين في الأبـدِ؟!

* * *

هـاتي حديثَ السقمِ والـوصَبِ
وصِفي حَـقـارةَ هـذه الـدنيـا
اني رايتُ أسـاكِ عـن كـثَـبِ
ولمستُ كَـربَـكِ نـابضـاً حيًّـا

* * *

لا تكتمي في الصـدرِ أسـرارا
وتحـدثي كـيف الأسـى شـاءَ

أنـا لا أرى إثـمـاً ولا عـارا
لـكـن أرى امـرأةً وبـأسـا

* * *

تجـدين فكـرَكِ جـدّ مبتعـد
والنـاس نحـو سنـاك دانـونـا
وتـريْن حـالـك حـالَ منفـرد
والـقـومُ كـثـرٌ لا يُـعـدّونـا!

* * *

وتـريـن أنـكِ حيثمـا كـنـتِ
تـرضـيـن خـوّانـيـن أنـذالا!
يـبغـونـه جـسـداً فـإن بعـتِ
بـذلوا النضـار وأجزلـوا المـالا!

* * *

يـا حرَّهـا من عبـرةٍ سـالتْ
مِن فـاتـكِ العينين مـكحـولِ
وعـذابهـا من وحشـة طـالتْ
وحنيـن مجـهـولٍ لمـجهـولِ

* * *

أفنيتِ عـمـرَكِ في تـطلبـه
ويكـادُ يـأكـلُ روحَـكِ المللُ
فـإذا بـدا مَنْ تعجبيـن بـه
وتقول روحُك: هـا هو الأملُ!

* * *

أدميتِ قـلبَـك في تـقـرّبـهِ
والقلبُ إن يـخلص يَـهُنْ دمُـهُ
فـإذا حسبتِ بأن ظفـرتِ بـهِ
فـازت بـه من ليس تـفهمُـهُ

* * *

سكتت وقد عجبت لخلوتنا
طالتْ كأنَّا جدّ عشاقِ
وأقول: يا طرباً لنشوتنا
صرعى المدامة والجوى الساقي!

* * *

أفديكِ باكيةً وجازعةً
قد لفَّها في ثوبهِ الغسقُ
ودعتُها شمساً مودّعة
ذهبت وعندي الجرحُ والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهلُ كيف أكبرها
إذ تختفي في حالك الظلم
روحاً إذا أثمت يطهرها
ناران: نارُ الصبرِ والألمِ!

* * *

الميعاد

إن عُـدتَ أو أخلفتَ لم تعدِ
أنـا إلف روحك آخـر الأبـدِ
ظمـأً على ظـمـإٍ على ظـمـإٍ
ومـواردٌ كـثـرٌ ولـم أردِ
مـرَّ الـظلامُ وأنـت لي شجنٌ
وأتى النهـارُ وأنت فـي خلدي
لا يسمـع البحـرُ الغضـوبُ إلى
شـاكٍ ولا يـصغـي إلى أحـدِ!
كم لاح لي حـربُ الحياة على
أمـواجـهِ المجنـونـةِ الـزبـدِ
ورأيتُ طيفَ الضنك مرتسمـا
فـي عـاصـفِ الأنـواءِ مـطَّردِ
في الليـل مدَّ رواقـه وثـوى
كجوانحٍ طُـويت على حسـدِ
قبـر مَبـاهـجُـه بـلا عـددٍ
لـفتـى متـاعبُـه بـلا عـددِ
مَـن يـومـه يـوم بـلا أمـلٍ
وغـدٌ بـلا سلوى وبعـد غـدِ
لـولاك والعهـد الـذي عقدتْ
بيني وبيـنـك مهجتي ويـدي
أضجعتُ جنبي جـوفَ غيهبـه
وأرحـتُ فيـه بـاليَ الجسـدِ
يـا مخلفَ الميعادِ عُـدْ لترى
جـزَعَ الغـريب وضيعةَ الـرشدِ
ولـيـاليـاً مـوصـولـةً سـهـراً
أبـديـةً حـجـريـةَ الـكـبـدِ

وطليحَ أسفارٍ وعلّته
قتّالة لَم تشفَ في بلدِ!
يا شعر أيامي وأغنيتي
وغليل ظمآن الشفاه صدي!
يا ظالمي! عيناك كم وعدت
قلبي إذا شفتاك لَم تعدِ

الميت الحي

(كان الشاعر مريضاً وشعر أنه ينتهي
فكتب القصيدة التالية)

داوِ نـاري والتيـاعـيْ　　　وتـمـهـّـلْ فـي وداعـيْ
يا حبيبَ العمر هبْ لي　　　بضعَ لحظاتٍ سراعِ
قفْ تأملْ مغربَ العمـ　　　ـر وإخفـاقَ الشعـاعِ
وابـكِ جبّارَ الليـالي　　　هـدّه طـولُ الصـراعِ
واضياع الحزن والـدمـ　　　ـع على العمر المضاعِ!
وهتاف القلب بـالشكـ　　　ـوى على غير انتفاعِ
ما يهمّ الناس من نجـ　　　ـم على وشك الزماعِ
غـاب من بعـد طلوعٍ　　　وخبـا بعـد التمـاعِ؟!
طال بي سُهدي وإعيا　　　ئي وقد حان اضطجاعي
وإذا الـراحـة حـانت　　　بـعـد لأيٍ ونـزاعِ
فصـدور الغيـد سيّـا　　　ن وأنيـاب السبـاعِ!

❁　❁　❁

آه لـو تنـصي الليـالي　　　لـشتيـت بـاجـتـمـاع
كـم تمنيتُ وكم من　　　أمـلٍ مُـرّ الخـداع!
وقـفـة أقـرأ فـيـهـا　　　لـك أشعـار الـوداع
سـاعـة أغفـر فيـهـا　　　لـك أجيـال امتنـاع
يـا مناجـاتي وسـرّي　　　وخيـالي وابـتـداعـي
ومـتـاعـاً لـعـيـوني　　　وشـمـيـمي وسـمـاعـي
تبعث السلوى وتنسى الـ　　　ـموت مهترك القنـاع:
دمعة الحزن التي تـ　　　ـكبهـا فـوق ذراعي!

الوداع

حان حرماني وناداني النذيرْ
ما الذي أعددْتُ لي قبل المسيرْ
زمني ضاع وما أنصفتني
زاديَ الأولُ كالزاد الأخيرْ
ريّ عمري من أكاذيبِ المنى
وطعامي من عفافٍ وضميرْ
وعلى كفيك قلبٌ ودمٌ
وعلى بابك قيدٌ وأسيرْ!

* * *

حانَ حرماني فدعني يا حبيبي
هذه الجنةُ ليستْ من نصيبي
آه من دارِ نعيمٍ كلما
جئتُها أجتازُ جسراً من لهيبِ
وأنا إلفك في ظلِ الصِّبا
والشبابِ الغضِّ والعمرِ القشيبِ
أنزلُ الربوةَ ضيفاً عابراً
ثم أمضي عنك كالطيرِ الغريبِ

* * *

لِمَ يا هاجرُ أصبحتَ رحيما
والحنانُ الجمُّ والرقةُ فيما؟!
لِم تسقينيَ من شهدِ الرضا
وتلاقيني عطوفاً وكريما
كلُّ شيء صار مرّاً في فمي
بعدما اصبحتُ بالدنيا عليما
آه من يأخذُ عمري كلَّه
ويعيدُ الطفلَ والجهلَ القديما!

* *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟!
كم بنينا من خيالٍ حولنا!
ومشينا في طريق مقمرٍ
تثبُ الفرحةُ فيه قبلنا!
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحنَ لنا!
وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعدونا فسبقنا ظلنا!

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقنا. ليتَ أنا لا نفيقْ!
يقظةٌ طاحت بأحلام الكَرَى
وتولّى الليلُ، والليلُ صَديقْ
وإذا النُّورُ نَذيرٌ طَالعٌ
وإذا الفجرُ مُطِلٌّ كالحَريقْ
وإذا الدُّنيا كما نعرفُها
وإذَا الأحْبَابُ كلٌّ في طَريق

* * *

هاتِ اسعدني وَدَعْني أسْعدُكْ
قَدْ دَنا بعدَ التَّنائي موردُكْ
فأذقنيه فإني ذاهبٌ
لا غدي يُرجَى ولا يُرجَى غدُكْ
وا بلائي من ليالِيَّ التي
قرَّبَتْ حَيْني وراحتْ تبعدُكْ!
لا تَدَعْني لليالي فغداً
تجْرَحُ الفُرْقَةُ ما تأسو يَدُكْ!

* * *

أزف البينُ وقـد حـان الـذّهـابْ
هـذه اللّحـظةُ قُـدّت مِن عَـذابْ
ازف البينُ، وهـل كـان النّـوى
يـا حبيبي غير أن أغلق بـابْ؟!
مَضتِ الـشّمْسُ فـأمسيتُ وقـد
أغلقت دونيَ أبـوابُ السّحــابْ
وتـلفّـتُّ عـلى آثـارهَـا
أسْألُ اللَّيْلَ! ومَنْ لي بـالجوابْ؟!

* * *

الزائر

يــا للحبيبِ الـمفــدَّى غــداةَ زار وســلَّمْ
مستَحييــاً والهــوى في ركــابِــه يــتــضــرَّمْ
وصــامتــاً وهــو أيــكٌ بــألـفِ شــدوٍ تــرنَّمْ
نــاداه قلبي! ونــاجــا ه خاطري! وهو يعلَمْ!
يــا مطلعَ الـسحــر والنو ر والـجمــال! تـكَلَّمْ!
أبِــنْ! وإلا أعــنْ قــلـ ـبي الممــزَّقَ وارحَمْ!

* * *

يــا غازياً يضرب القلـ ـب وهو حصنٌ مُحَطَّمْ
لـمَّــا طـلعـتَ عـليــه وهَــى وأنَّ وســلَّمْ
يــا فـتـنـتــة تـتـهــادى ورحـــمـــة تـتـبــسَّــمْ
إن لم يكن لي رجــاءٌ ولا لــحــظّيَ مـغــنـمْ
أو لَمْ يعُدْ لي نصيبٌ دعني بحسنك احلمْ!

* * *

الليالي

(١)

مكانيَ الهادىء البعيدْ
كُن لي مجيراً من الأنامْ
قد أمّكَ الهاربُ الطريدْ
فآوِهِ أنتَ والظلامْ

* * *

يا حسنها ساعة انفصالْ
لا ضنْك فيها ولا نكدْ
يا حقبةَ الوهم والخيالْ
هلّا تمهلتِ للأبدْ؟!

* * *

يا أيها العالم الأخيرْ
ماذا ترى فيك من نصيبْ؟
أراحةٌ فيك للضمير
أم موعدٌ فيك من حبيبْ؟

* * *

كم يَعذُب الموتُ لو نراهُ
أو كان فيك اللقاءُ يُرجى
ينفضُ عن عينه كراهُ
ويقبل الراقدُ المسجّى!

* * *

لكن شكّاً بما تجنّ
خيّم فوق العقولِ جمعَا

عجبتُ للمرءِ كم يشنّ
ويستطيبُ الحياةَ مرعَى

* * *

قد صار حبُّ الحياةِ منا
يقنع بالجيفةِ السباعْ
وعلم السمحَ أن يضنّا
وثبّت الجبنَ في الطباعْ!

* * *

(٢)

طال بنا الصمتُ والجمودْ
لا البدر يوحي ولا الغديرْ
يا عالم الضيم والقيودْ
برّحت بالطائر الأسيرْ!

* * *

هربتُ من عالمٍ أضرّا
وجئت يا كعبتي أزورْ
هاتي خيالاً إذن وشعرا
أسكبهُ في فمِ الدهورْ!

* * *

هرَبتُ من عالمِ الشقاءْ
وجئتُ عَلي لديكِ أحيا!
أشرب من روعةِ السماءْ
شعراً وأسقي الفؤادَ وحيا!

* * *

ملّت في هاته العوالمْ
مهزلةَ الموت والحياةْ
وصورةَ القيدِ في المعَاصمْ
ووصمةَ الذلِّ في الجباهْ

* * *

هياكلٌ تعبرُ السنين
واحدةٌ العيش والنظامْ
واحدة السخطِ والأنينْ
واحدة الحقدِ والخصامْ!

* * *

وواحد ذلك الطلاء
يسترُ خزياً من الطباعْ
أفنى البلى أوجهَ الرياءْ
ولم يذُبْ ذلك القناع!

* * *

بعينها كذبةُ الدموعْ
بعينها ضحكةُ الخداعْ
ومُنحَنى هاته الضلوعْ
على صوادٍ بها جياعْ!

(٣)

كأن صدر الظلام ضاقْ
من كَثرةِ البثّ كل حينْ!
يا ويحه كيف قد أطاقْ
شكوى البرايا على السنينْ؟!

* * *

كأنما ينفثُ الشهبْ
تخفيفَ كربٍ يئن منهْ
كالقلب إن ضاق واكتأبْ
تخفف الذكريات عنهُ

* * *

كم زفرة في الضلوع قرّتْ
يحوطها هيكلٌ مريضْ
مبيدة حيثما استقرت
فان نبُحْ سمّيت قريضْ!

* * *

كم في الدجى آهةً تطول
تسري الى أذنه وشعرْ!
لو يفهم النجمُ ما نقول!
أو يفهم الليلُ ما نسرّ!

* * *

ما بالها أعين الفلك
منتشرات على الفضاءْ
تطل من قاتمِ الحلك
بغير فهمٍ ولا ذكاءْ!

* * *

الا وفيٌّ الاّ معينْ
في مدلهمٍ بلا صباحْ؟!
وكلّما جَدَّ لي أنينْ
تسخر بي أنّةُ الرياحْ!

* * *

هنا شكونا بلا انقطاعْ
ما حظ شاكٍ بلا سميعْ

وحظ شعرٍ إذا أطاعْ
يا ليته عاش لا يطيع

* * *

يضيعُ في لجةِ الزمنْ
مبدداً في الورى صداهْ
ولن ترى في الوجودِ مَنْ
يدري عذاب الذي تلاهْ!

(٤)

يا أيها النهر بي حسدْ
لكل جارٍ عليك رفّ
أكُلُّ راجٍ كما يودّ
يروي ظماه ويرتشفْ

* * *

ومن حبيب إلى حبيب
ترنو حناناً وتبتسمْ
وكل غادٍ له نصيبْ
من مائِك البارِدِ الشبِمْ

* * *

يا نهرُ روّيتَ كل ظامي
فراح ريّان إن يذُقْ
فكن رحيماً على أوامي
فلي فمٌ بات يحترقْ

* * *

يا نهر لي جذوة بجنبي
هادئة الجمرِ بالنهارْ

فإنْ دنا الليلُ برَّحَتْ بي
وساكن الليل كم أثارْ

* * *

وقفت حرّان في إزائكْ
فهل ترى منك مسعدُ؟
وددتُ ألقي بها لمائكْ
لعلها فيك تبردُ

* * *

عالج لظاها فإن سكنْ
فرحمةٌ منك لا تحدْ
وإن عصت نارُها فكنْ
قبراً لها آخر الأبدْ!

* * *

تريني الهاجر الشتيتْ
وقربه ليس لي ببالْ
وكلّما خلتني نسيتْ
مَرَّ أمامي له خيالْ

* * *

تمر ذكرى وراء ذكرى
وكل ذكرى لها دموعْ
وتعبر المشجياتُ تترى
من كل ماضٍ بلا رجوعْ

* * *

ماضٍ وكم فيه من عثارْ
ومن عذابٍ قد انقضى
كم قلت لا يرفع الستارْ
ولا ادكارُ لما مضى!

* * *

يـا من أرى الآن نصب عيـني
خـيـالَـه عـطْر الـنـسـمْ
بـالله مـا تـبـتـغـيـه مـنـي
ولـم تـدع لـي سـوى الألَـمْ

* * *

فـي ذمـة الله مـا أضـعـتـمْ
مـن مهـجٍ أصـبـحـت هـبـاءْ
لم نجـزكم بـالـذي صنعتمْ
إنّـا غـفـرنـا لـمـن أسـاءْ

* * *

لا تـحـسـبـوا الـبـرءَ قـد ألَـمّ
فـلم يـزل جـرحـنـا جـديـدا
يـخـدعـنـا أنّـه الـتـأمْ
ولم يـزل يخبىءُ الـصـديـدا!

* * *

يـا أيهـا الليـل جئتُ أبكي
وجئـتُ أسـلو وجئـت أنـسـى
طـال عـذابي! وطـال شكـي
ومـات قـلبـي، ومـا تـأسّى!

* * *

الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ:
يا مانع الماء عني كيف تمنعهُ
غرَّ حسنك أن الخلدَ جدولُه
وأنّه من غريبِ السحرِ منبعهُ؟
يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ
مبددٌ مجده فيه مضيّعُه!
هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلهه
شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُه!
أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا
أدميته، والمغنّي إذ تقطّعُه
هل منك يوم رضىً ضنَّ الزمانُ به
أعيا خيالي وأضناني توقّعُه؟!
كم بتُّ منتبهاً أصغي لخطوته
أراه في الوهم أحياناً وأسمعهُ!
وأنت في أُفق الأوهام طيف صبا
سما ودقَّ على الأفهام موضعهُ
كأنك النسمُ النشوانُ منطلقا
أظل كالنفس الحيرانِ أتبعهُ
تعالَ وادنُ بيوم لا نحسُّ به
أجسادَنا. في صفاء، لا نضيعهُ!
لكن أحسك تجري في صميم دمي
أنت الحياةُ، وأنت الكونُ أجمعُهُ!

ليالي الأرق

(زيارة من حبيب يسأل: لماذا نتلقى هذه اللحظات الهاربة ما دمنا نفترق بعد ذلك).

هل في العصيب المدلهمْ   مصغٍ لشاكٍ لم ينمْ
سهدٌ على سهدٍ وذكـ   ـرى فوق ذكرى تزدحمْ
وحنين قلب لا يشـو   ب إلى خيالٍ لا يلمْ
يا من أحب وافتدي   ويلذُّ لي فيه الألمْ
لو كنتَ تسمع لاستر حـ   ـت من الشكايةِ للظلمْ
ان الكواكبَ ضقنَ بي   ذرعاً وآسيها سئِمْ
ومن العجائب في الليـ   ـالي والحوادث تستجمْ
شكوى الحيارى في الحيا   ة إلى حيارى في السدمْ!

* * *

لمنْ انتظاري في الظلا   م كأنَّ بي شبه اللممْ؟
وتساؤلي في حالكٍ   لا صوت فيه ولا قدمْ؟
وعلام اصغائي لعـ   ـلَّ خطاكِ هذي عن أممْ؟
ليلي العشية مثل ليـ   ـلي في غرامكِ من قِدَمْ
يا طالما أدنتكِ أو   هامٌ كواذبُ كالحُلمْ
فلمحتُ صبحكِ في السوا   دِ وخلتُ روحكِ في النسمْ
وشفيتُ وهمي من رضا   كِ ورُبَّ ذي يأسٍ وَهَمْ
ورويتُ أذني من حديـ   ـثكِ وهو معبود النغمْ
وحرقت قلبي من سنا   كِ على جمالٍ يضطرمْ
كفراشةٍ حامت عليـ   ـكِ وأيّ قلبٍ لم يحُمْ!

* * *

لك حسنُ نوّار الخميـ   ـلةِ طُلَّ صبحاً فابتسمْ
لك نضرةُ الفجر الجميـ   ـل على الذوائب والقممْ
لك طلعةُ البرءِ المرجّـ   ـى بعد مستعصى السقمْ

لك كل ما أوفى على　　قـدر النهايـة واستتمْ
فـبـأي قـلـبٍ أتـقـي　　وبـأي حصنٍ أعتصمْ؟

*　*　*

يـا زائـراً عجـلانَ لَمْ　　يـطل اللقـاءُ ولَمْ يقمْ
ودّعتَ مـا أشبعتَ لي　　روحي ولا نظري النهِمْ
ومضيتَ عن دنيا خلَتْ　　وجـرت بنعمى لم تَتِمْ
لم يبقَ من أثـرِ اللقـا　　ء بهـا سـوى عبقٍ ينمْ
وسؤالِ دمعك حين يسـ　　ـألني ومَن لي بـالكلمْ
لِمَ يـا أليفَ خواطـري　　غفت العيون ونحن لَمْ؟!

*　*　*

وإلامَ تـدفعنـا الحـوا　　دث في عُبـابٍ يلتطِمْ
دَفَعتْ بمـركبنـا المقـا　　ديـرُ الخفيـةُ والقِسَمْ
خَرَجَتْ وما تدري الغَدا　　ةَ بـأي صخرٍ ترتَطِمْ
بدَأتْ عَلَى ريح الرضا　　والله يـدري المختتمْ!

صخرة الملتقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها
ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا).

سألتكِ يا صخرةَ الملتقى
متى يجمع الدهرُ ما فرَّقا!
فيا صخرةً جمعت مهجتين
أفاءا إلى حسنها المنتقى!
إذا الدهرُ لَجَّ بأقداره
أجَدَّا على ظهرها الموثقا
قرأنا عَلَيْكِ كتابَ الحياةِ
وفضَّ الهوى سرها المغلقا
نرى الشمس ذائبةً في العباب
وننتظر البدرَ في المرتقى
إذا نشر الغربُ أثوابَه
وأطلق في النفس ما أطلقا
نقول هل الشمس قد خضبته
وخلَّت به دمها المهرقا
أم الغرب كالقلب دامي الجراح
له طلبةٌ عزَّ أن تلحقا
فيا صورة في نواحي السحاب
رأينا بها همّنا المغرقا
لنا الله مِنْ صورَةٍ في الضمير
يَراهَا الفتى كلما أطْرقا!
يرى صورةَ الجُرْحِ طيَّ الفؤا
دِ ما زال م هبباً محرقاً
ويأبى الوَفاء عليه اندمالاً
ويأبى التَّذكُّر أن يشفقا!

* * *

ويـا صَخْـرَةَ العهـد ابثُّ إليـكِ
وقـد مُـزِّق الشَّمـل مـا مـزقـا
اريـك مـشيـبَ الـفـؤادِ الـشـهيـ
ـدِ والشيـبُ مـا كلَّل المفـرِقـا
شكـا أســره في حبـال الهـوى
وود عـلى الله أن يُـعـتـقـا
فلمّـا قضى الحظ فـك الأسيـ
ـرِ حـنَّ إلى أسـره مـطلقـا

الشك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه، ولكنه
يشك في هذا النعيم الذي لقيه، فيبكي
في النعمة كما يبكي في الشقاء).

بي مـا تحسّ وفي فؤادِكَ مـا بي
فتَعـال نبـكِ أيـا نجيَّ شبـابي
تجـري الدمـوعُ وأنتَ دَانٍ واصلٌ
كـمسيلهنَّ وأنْتَ فـي الـغيَّـابِ
أنكـرت بي نـاري عشيـة لاَمَسَتْ
شفتـاي مِنْـكَ أنـامـلَ العنـابِ
وجـرت يمين في غَـزيـرٍ حـالـكٍ
مسترسـلٍ كـالجـدولِ المنسـابِ
وسـألتَ مـا صمتي ومـا اطـراقتي
وعَـلاَم ظلْت حيـرة الـمـرتـابِ
أقبِـلْ أذقني مـا اليقين وهـاتـه
خـلواً مـن الآلام والأوصـابِ
أقبِـلْ لأقسـمَ في حيـاتي مـرةً
ان الـذي أسقـاه ليس بـصـابِ
لهفي على هـذا اليقينِ! وطعمُـه
بفمي وتكـذيبي شـهيٌّ شـرابي!

* * *

مَنْ أنتَ؟! من أيِّ العوالم ساحرٌ
مـستـأثـرٌ بـأعـنـة الألـبـابِ؟
حـدَّثتُ نفسي إذ رأيْتُـكَ بـاديـاً
وأطَـلْتُ تسـآلي بغيـر جـوابِ
مـا يصنع الملكُ الـطهـورُ بعـالَمٍ
فـانٍ وأيّـامٍ كـلمـع سـرابِ؟

ما يصنع الأبرارُ بالأرض التي
ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
دوّارةً أبدَ السنين كعهدِها
من ليل آثام لصبح متابِ
تغلو الحياة بها الى أن تنتهي
عند التراب رخيصةً كترابِ!
يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه
الساحر النور الطهور رحابِ
لا صدقَ إلا في لهيبك وحده
وجلالُه الباقي على الأحقابِ
قدمتُ قرباني إليك بقية
من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
وأذبْتُ جوهَرَهَا فداءَ نَواظِر
قُدسيَّةٍ، عُلويّةِ المحرابِ!

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفتُ مساءً
كم أطلتَ الوقوفَ والاصغاءَ
وجعلتَ النسيمَ زاداً لروحي
وشربتَ الظلالَ والأضواءَ
لكأنَّ الأضواءَ مختلفاتٍ
جعلَتْ منكَ رَوْضةً غنّاءَ
مَرَّ بي عطرُها فأسكَرَ نفسي
وَسَرَى في جوانحي كيف شاءَ
نشوةٌ لم تطل! صحا القلبُ منها
مثلَ ما كان أو أشدَّ عناءَ
إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً
أيها البحر، نحن لسنا سواءَ
انت باقٍ ونحن حربُ الليالي
مزّقتْنا وصيرتْنا هباءَ
أنت عاتٍ ونحن كالزبدِ الذا
هبِ يعلو حيناً ويمضي جُفاءَ!
وعجيبٌ اليك يممتُ وَجهي
إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
أبتغي عندك التأسّي وما تمـ
ـلك رَدّاً ولا تجيب نداءَ!

* * *

كل يومٍ تساؤلٌ... ليت شعري
من ينبّي فيحسن الإنباءَ؟!
ما تقول الأمواجُ! ما آلم الشمسَ
فولّت حزينةً صفراءَ

تركتنا وخلفتْ ليلَ شكٍّ
أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ

* * *

وكأنَّ القضاءَ يسخرُ مني
حين أبكي وما عرفتُ البكاءَ
ويح دَمعي وويح ذلة نفسي
لم تدع لي أحداثهُ كبرياءَ!

* * *

مناجاة الهاجر

دع النفسَ تمرحُ في خيالٍ وأوهام
وخلٍّ لأجفاني كواذبَ أحلامي!
وقل يا حبيب القلب انك عائد
على جهلِ حساد وغفلة لوّامِ
وإنك دانٍ كالربيع وزائرٌ
بضاحك نوار ومخضلّ أكمامِ
تعال اسقني خمرَ المواعيد والرضا
وخلّ الأماني البيض تغمر أسقامي
أيحرم حتى وهم حبك من رمى
بمهجته في ناره دون إحجامِ
وأنفق فيه قلبه وشبابه
فلم يَبْقَ إلاّ الجرح والشفق الدامي!
ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!
فيا لهفه لو كنت أدري بموعدٍ
وراء الليالي أو رجاه بإلمام!
ولو كان عندي غير زفرة آسف
وحسرة أشعارٍ ودمعةَ أقلامِ
ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ
كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي
كأن ائتلاق النجم والنجم مُشرقٌ
ثناياه تبدو في عبوسة أيامي
كأنَّ نسيمَ الليلِ يحمل طيبه
كأنَّ اصطدام الموج معبودُ أقدام!
فيا أملي النائي إذا كنتُ مذنباً
فقد تبتُ عن ذنبي إليك بآلامي!

حبيتـك، لا أدري الهـوى مـا وراءه
وما بعد سقمي فيك عاماً على عامِ
جمـالُـك نبـراسي وروحُـك كعبتي
وعينـاك وحيي في الحياة وإلهـامي!

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى مفتـاحَ قلبي المقفلِ
في حبـه فتيَّ الصبـا وشبـاب أيـامي بـلي
يا ويحِ مـا ضيعت فيـ ـه من قليـل مخجلِ
مـاضيّ ضاع ولـو قدر ت لجدت بالمستقبـلِ
يـا رسم! كم من ليلةٍ ابكي وأستبكيـك لي
حتى رجعتُ مخـادَعاً ومضيتُ جـدُّ مضـلَّلِ
أرنُـو لـدمعي بـاديـاً في وجهـك المتهللِ
فـاخـال عينـك هـزّهـا شكوى الغريب المهمَلِ
فبكَتْ وتلك دموعهـا! هَذِي تَسيل وذِي تَلي!

رجوع الغريب

عادتْ لطائرها الذي غَنّاها
وشَدَا فهاج حَنينَها وشَجاهَا
أيُّ الحظوظ أعادها لوَفيِّها
ونجيِّ وحدتها وإلفِ صباهَا
مشبوبة التحنان تكتم نارَها
عبثاً وتأبَى أن يبين لظاهَا
يا إلفيَ المعبود! سِرّك ذائع
نار الحنين دفينها أفشاهَا

* * *

ماذا لقينا من لقاءٍ خاطفٍ
وعشية كالبرق حان ضحاهَا؟!
يا ويح هاتيك الثواني لَم تقف
حتى نسيغ هناءةً ذقناهَا!
حتى يمتع باليقين مكذب
عينيه في رؤيا يضلُّ سناهَا
تمضي لها الأبصارُ مُشعلة الهوى
وتحول عنها ما تطيق لقاهَا!

* * *

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتهي
ويَجف في زهرِ القلوبِ نداهَا!
وأنا أحسُّ اليومَ بدءَ علاقةٍ
وعنيف ثورتها وحسِّ مداهَا!

* * *

لم تُروِ منكِ نواظري وخواطري
ورجعت أزكى مهجةً وشفاهَا!

مدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ
ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاها
ما بالرياض؟! كآبةٌ في أرضِها
وسحابةٌ تغشى أديمَ سماهَا!
جمدت حمائمُ أيكِها وأنا الذي
شاكيتُها فاغرورقت عيناهَا!

* * *

كيف السبيلُ إلى شفاء صبابة
الدهر أجمع ما يبلُّ صداهَا!!
وإلى نسائم جنة سحرية
قرّحتُ أجفاني على مغناهَا!
قضيتُ أيامي أضمُّ خيالَها
وأضعت أيامي أقول عساهَا!

قميص النوم

(كان الشاعر مريضاً فارتدى قميص النوم فشفي).

يا ليلةً سنحت في العمر وانصرمَتْ
هَلّا رجعتِ؟ وهلّا عادَ أحبابي؟
(يا ليت شهدَك إذْ لم يَبْقَ لي أبداً
لَمْ يُبقِ في القَلب تذكاراً من الصابِ)
لَم أنسَ مُهديَتي جلبابَها وعلى
جسمي من السقمِ منها أيُّ جلبابِ
قميصُ يوسفَ ردَّ العينَ مبصرةً
ففاز بالنورِ ذاكَ المطرقُ الكابي
وأنتَ لو أنّ روحاً أزمعت سفراً
أعدتَها وخيالُ الموت بالبابِ
فَذُدْ خيالَ المنايا اليومَ عن رجُلٍ
أنشبنَ في روحِه أشباهَ أنيابِ
وإن عجزتَ فكنْ في الموت لي كفناً
أمتْ وألقى إلهي غيرَ هيّابِ

الغد

يا حناناً كيدِ الآسِيْ الرؤُومِ
وشُعاعاً يُشتهَى بعد الغُيومِ
أنا في بُعْدِكَ مفقودُ الهُدَى
ضائعٌ أعْشُو إلى نورٍ كريمِ
أشتري الأحلامَ في سُوق المُنى
وأبيعُ العُمْرَ في سُوق الهُمومِ !
لا تقُلْ لي في غدٍ موعدُنا
فالغدُ الموعُودُ ناءٍ كالنجومِ !

* * *

أغداً قلتَ؟ فعلِّمْني اصطبارَا
ليتني أختصرُ العُمْرَ اختِصارَا
عَبَرَتْ بي نَشوةٌ مِن فَرَحٍ
فرَقَصْنَا أنا والقلبُ سُكَارَى
وعَرَانا طَائِفٌ مِنْ خَبَلٍ
فاندَفَعْنا في الأماني نتبارَى
سنَذمُّ النورَ حتى يَتَلاشَى
ونذمُّ الليلَ حتى يتوارَى!

* * *

انفردنا أنا والقلبُ عشيا
ننسج الآمالَ والنَّجْوى سويًّا
فركبنا الوهمَ نبغي دارَها
وطوينا الدهرَ والعالَم طَيًّا
فبلغناها وهلَّلْنا لها
ونزَلْنا الخُلْدَ فَيْنَاناً نَديًّا
ولقينا الحسنَ غَضّاً والصِّبَا
وتملَّيْنَا الجلالَ الأبديَّا

* * *

قال لي القلبُ: أحقّاً ما بلغنا؟
كيف نام القَدَرُ السّاهرُ عنّا؟
أتراها خدعةٌ حاقت بنا؟!
أتراها ظِنةٌ مما ظَننّا؟
قلتُ: لا تجزع فكم مِن منزلٍ
عزٍّ حتى صار فوق المتمنى
أذِنَ اللّهُ به بعد النوى
فثوينا واسترحنا وأمِنّا!

* * *

يا جِنانَ الخُلْدِ قدّمْتُ اعتذاري
إذ يَطوف الخلدَ سقمي ودماري
أيها الآمرُ في مُلكِ الهوى!
اعف عن لهفةِ روحي وأواري
اشتهي ضَمَّكَ حتى أشتفي
فكأني ظامىءٌ آخذ ثاري!
غير أني كلّما امتدت يدي
لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيكَ ناري!

* * *

أيها النورُ سَلاماً وخشوعاً
أيها المعْبَدُ صَمْتاً ورُكُوعَا
ملكت قلبي ولُبي رهبةٌ
عصفت بالقلب واللُّبِّ جميعَا
رُبَّ قول كنتُ قد أعددتُه
لكَ إذ ألقاك يأبى أن يطيعَا
وحبيسٍ من عتابٍ في فمي
قد عصاني فتفجَّرتُ دموعَا!

* * *

لـذعتني دمعة تلفح خـدي
نبهتني من ضـلالٍ ليس يُجْـدِي
واختفتْ تلك الـرُّؤَى عن نـاظـري
وطـواها الغيبُ في سِحْـريٍّ بُـرْدِ
وتَـلَفَّـتُّ فـلا أنـت ولا
جنـةُ الخلد ولا أطيـافُ سَعْـدِ
وإذا بـي غـارقٌ فـي محنَـتـي
وبـلائـي، أقـطعُ الأيـامَ وَحْـدِي

* * *

هـاتِ قيثاري ودَعْني للخيـالِ
واسقني الـوهْمَ! وعَلِّلْ بـالمحـالِ!
ودَع الـصـدق لـمـن ينـشـده
الحجى خصميَ فـاغمرْ بـالضـلالِ
وخُـذ الأنـوار عـنِّـي، ربـمـا
أجدَ الـرحمـةَ في جـوف الليـالي
خلِّني بـالـشـوق أستـدني غـدا
فـغـدا عـنـدي كـآبـاد طـوال!

رثاء شوقي

(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قــلْ للذين بكَـوْا على (شـوقي)
الـنـادبيـن مـصـارعَ الـشُّهـبِ
وا لـهـفَـتــاه لـمـصـر والشَّـرْقِ
ولــدولــة الأشـعــار والأدبِ!

* * *

دنـيـا تَـفـرُّ الـيــومَ في لـحـدِ
وصحيفـةٌ طُـويتْ من المـجـدِ
ومُـسـافـرٌ مـاضٍ إلى الـخـلـد
سَـبَـقـتـهُ آلاءٌ بـلا عَـدِّ

* * *

هـذا ثرى مصْـرَ الكريمُ، وكمْ
أكـرمـتَـهُ وأشـدْتَ بـالـذكـرِ
يلقـاك في عـطفِ الحبيب فنمْ
في النـور لا في ظُلمـةِ القبْـرِ!

* * *

كـم مـن دفـينٍ رحـتَ تـحـيـيـهِ
وبَـعـثْـتَـهُ وكَـفـفْـتَ غُـرْبَـتَـهُ
فـاحـللْ عـليـهِ مُكـرّمـاً فـيـهِ
يـا طـالـمـا قـدَّسـت تُـربتَـهُ

* * *

يـا نـازلَ الصحـراء مـوحشـةً
ريَّــانــةً بــالـصـمــت والـعـدمِ
ســالتْ بهـا العبـراتُ مجهشـةً
وجَـرت بهـا الأحـزانُ من قـدمِ!

* * *

هــذا طــريــق قــد الــفــنــاهُ
نــمشــي وراءَ مُــشَــيَّــعٍ غــالِ
كــم من حــبيبٍ قــد بكَيْنَاهُ
لــم يُــمْــحَ مــن خَــلدٍ ولا بــالِ

* * *

وكــأنَّ يــومَــك فــي فــجيعتِــهِ
هــو أولُ الأيــامِ فــي الــشَّــجنِ
وكــأنَّــمــا الــبــاكــي بــدمــعــتِــهِ
مــا ذاق قبلك لــوعــةَ الحَــزنِ!

* * *

فــاذهبْ كمــا ذهب النهــارُ مضى
قــد شيَّعَتْــه مــدامــعُ الشــفــقِ
واغــربْ كما غــرب الشعاعُ قضى
رفَّت عــلــيــه جــوانــحُ الــغــســقِ

* * *

مــا كــنــتَ إلاَّ امــةً ذهَــبــتْ
والــعــبــقــريــةُ أمَّــةُ الأُمَــم
أو شُــعــلةٌ أبــصــارَنــا خــلبــتْ
ومــنــارةٌ نُــصــبــتْ عــلى عَــلَمِ

* * *

يــا راقــداً قــد بــات في مَثــوىً
بَعُــدَتْ بــه الــدُّنْيــا ومــا بَعُــدَا
أيْن النجــوم أصــوغ مــا أهْــوى
شعــراً كشعْرك خــالــداً أبــدَا؟!

* * *

لــكــنَّ حــزنــي لــو عــلمْــت بــه
لــم يُبْقِ لي صــبْــراً ولا جُهْــدَا
فــاعــذر إلى يــوم نفــيــك بــه
حقَّ النبــوغِ ونــذكــرُ المجْــدَا

هبة السماء

(أُلقيت في حفلة تأبين المرحوم احمد شوقي بك بمسرح حديقة الأزبكية).

راحوا بأرواحٍ ظماءْ يتهافتون على الفناءْ
جفّت حلوقٌ بعدهم لم تلقَ دونهمُ رَواءْ
وامأً لكأسٍ كالخُلو د ومنهلٍ فيه الشفاءْ
كنّا إذا ضجَّ الفؤا دُ وضاق بالدنيا ونساءْ
نمضي إليه فنستقي ونَعُبُّ منه كما نشاءْ
فاليومَ إذْ شطَّ المزا رُ بكم وقد عزَّ اللقاءْ
وبخلتُمْ بُخْلَ الضَّنين فحسْبُنا قطراتُ ماءْ!

* * *

أين الأمين على الإما رة والحريصُ على اللواءْ؟!
قبسٌ أضاء العالمي ن كما تُضيءُ لهم ذُكاءْ
ثم اختفى خلف الغيو ب مخلّفاً ظُلَمَ المساءْ
فكأنما هبة السّما ءِ قد استردّتها السّماءْ!

* * *

جزع الرياضُ لطائرٍ غنّى فأبدعَ في الغناءْ
حتى إذا خلب العقو لَ وقيل: سِحرٌ لا مراءْ!
ولّى عن الايك الفخو ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فكأنّه والسُّحْب تطـ ـويه فيمعن في الخفاءْ
دنيا من الأمل الجميـ ـل قد استبدّ بها العَفاءْ!
ووراءها شفقٌ من الذ كرى كجرحٍ ذي دِماءْ!
وتُسائل الدُّنْيا التي ناطت به كلَّ الرّجاءْ
عن أي سرٍّ طار عنْ هذي الرُّبى وعلام جاءْ؟!
قُم يا فقيدَ الشعر وانْـ ـظُرْ أيّ حفلٍ للرثاءْ!
أمَمٌ يُصبّرُ بعضُها بعضاً، وهيهات العزاءْ!

هذي الجموعُ الباكيا تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قاسمتها أشجانها ووفيت ما شاءَ الوفاءْ
أوَ لَمْ تجدكَ لسانها الـ شاكي إذا احتدم البلاءْ؟
أوَ لَمْ تكن غِرّيدَها ونديمها عند الصفاءْ؟
لِمَ لا توفّيك الجميـ ـلَ وتَسْتَقِلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُنَعَّمٍ بين القصورِ قد استَتَمَّ له الثراءْ
ما بالهُ حملَ الهمو مَ وجشَّم القلبَ العناءْ!
وينوءُ بالعبءِ الذي هو عن أذاه في غَناءْ!
ويبحَ الذكاءِ وما يكلِّـ ـفُهُ من الثَّمَنِ الذُّكاءْ!
أضنى قواه ولم يدَعْ من جسمهِ إلاّ ذماءْ
والمجد يوغل في حنا يا، روحه والمجدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدبِ الصميـ ـم له على الدنيا البقاءْ
الدَّهرُ يحمي ركنَه والفنُّ في روح البناءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرّ دِ والتفوق والعلاءْ
ذاك الرقادُ بساحةٍ كل الرجال بها سواءْ
وبرغم ذهن كالفرا شة حول مصباحٍ أضاءْ
مثواك لا تشكو السكو نَ ولا تمل من الثواءْ

* * *

هجاء أعمى بغيض. زوج حسناء

يا جمال الصِّبا وأنس النفوسِ
خبِّرينا عن زوجكِ المنحوسِ!
حدِّثي أنت عن عماه «الحيسي»
وصفي لي الغرام (بالتحسيسِ)!

* * *

حدثينا عن اللهيب المفدَّى
وجمالٍ يُصَيِّرُ الحُرَّ عَبْدا
وجنونِ الأعمى إذا ما استجدى
وهو يعشو لنارِه كالمجوسِ!

* * *

يا جمالاً في الترب يُلقى ويُرمَى
يا لَظلمِ الحظوظِ والحظُّ أعمى!
وبلائي أني أسميه ظلماً
وهو لفظٌ ما جاءَ في القاموس!

* * *

آه من قسوةِ الطبيعة شقتْ
ظلمةً في مكان نورٍ ورقتْ
دونَ قصدٍ لعينه فاستَبْقَتْ
كوةً في فضائها المطموسِ!

* * *

كوَّةٌ تنفذ الحفيظةُ عنها
ويُطلُّ الدهاءُ والخبثُ منها!
طالعتنا في طلعةٍ لم تزنها
«كالفتيل». الحقيرِ في (الفانوس)

كــذلــيــل الأبــقــار إذ ربــطوه
وتــراهــم بـخــرقــةٍ غــضْــبــوه
فــاذا مــا عصــاهمــو ضــربــوه
وتمشّى على غــنــاءِ «الالــوس»!

* * *

وتــراه تــقــولُ يقــطر بــغــضــا
حــيــوانٌ يــريــد أن يَــنــقَــضَّــا
حسبك الله! عشت تنظر أرضــا
فابق فيها! حُرِمْتَ نورَ الشمــوس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة
والظلام والبرد).

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا
وبالرحمانِ والذلِّ ارتضينا
وهان إذا عطفتَ ولو خيالاً
وأين خيالك المعبود أينا؟!

* * *

تعالَ! فلم يعد في الحيِّ سارٍ
وهوَّمت المنازلُ بعد وهنِ
وران على نوافذها ظلامٌ
وقد كانت تطلُّ كألف عينِ

* * *

تعالَ! فقد رأيتُ الكون يحنو
عليَّ ويدرك الكرب الملمَّا
ويجلو لي النجومَ فأزدريها
وأغمض لا أريد سواك نجما!

* * *

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي
كما انتظرتكَ أيامي جميعا
وهل كان الهوى إلَّا انتظاراً
شتائي فيك ينتظر الربيعا!

* * *

أرى الآباد تغمرني كبحرٍ
سحيقِ الغورِ مجهولِ القرار

ويأتمر الظلام عليَّ حتى
كأني هابط أعماق غارِ

* * *

وتصطخبُ العواطف ساخرات
وتطعنُني بأطرافِ الحرابِ
وتشفقُ بعدما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذةٍ وبابِ

* * *

فصحت بها إلى أن جف حلقي
فحين سكتُّ كلمني إبائي
وأشعرني العذابُ بعمق جرحي
وأعمق منه جرح الكبرياءِ

* * *

ولمّا لَمْ تفزْ بلقاك عيني
لمحتك آتياً بضمير قلبي
فأسمعُ وقعَ أقدامٍ دوانٍ
وأنصتُ مصغياً لحفيفِ ثوبِ

* * *

وأخلقُ مثلما أهوى خيالاً
وأستدني الأمانيّ والحبيبا
وأبدعُ مثلما أهوى حديثاً
لناءٍ صار من قلبي قريبا

* * *

أمدُّ يديَّ في لهفٍ إليه
أشاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقني إلى لقياه قلبي
وُثوباً ثم يرتدُّ في ضلوعي

* * *

فتصطخب العواطفُ ساخراتٍ
وتسطعنُني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعدما تقسو فتمضي
لتقرعَ كلَّ نافذةٍ وبابِ!

صلاة الحب

أحقاً كنت في قربي لعلي واهمٌ وهما
تكلَّمْ سيدَ القلب وقل لي: لَمْ يكن حُلما

* * *

دنوتَ إليَّ مستمعا فبُحْتُ، وفرطَ ما بحْتُ
بعادك والذي صنعا وهجرُك والذي ذقتُ

* * *

وحبِّي! ويحه حبِّي تَبيعك حيثما كنتَ
تكَلَّمْ سيدَ القلب وقل بالله ما أنتَ؟!

* * *

أرى في عمق خاطركَ جلالاً يشبه البحرا
والمسحُ في نواظركَ صفاء الرحمة الكبرى

* * *

وأنت رضىً وتقبيلٌ وأنت ضنىً وحرمانٌ
وفي عينيك تقتيلٌ وفي البسمات غفرانٌ

* * *

وأنت تَهَلُّلُ الفجر وبسمتُه على الأفق
وحيناً أنَّةُ النهرِ وحزن الشمس في الغَسقِ

* * *

وأنت حرارةُ الشمسِ وأنت هناءةُ الظلّ
وأنت تجاربُ الأمسِ وأنت براءةُ الطفل

* * *

وأنت الحسنُ ممتنعاً تحدَّى حصنه النجما
وأنت الخيرُ مجتمعاً وعندك عرشهُ الأسمى

* * *

وعندك كل ما أظما وردّ القلبُ لهفانا
وعندك كل ما أدمى وزاد الجرح إثخانا

* * *

وعندك كل ما أحيا ... وشدَّد عزمه الواهي
حنانُكَ نضرة الدنيا ... وقربُكَ نعمةُ اللّهِ!

* * *

وفيم هواجس القلب ... وفيم أطيلُ تسآلي
أحبك أقدسَ الحبِّ ... وحبك كنزيَ الغالي

* * *

سناكَ صلاة أحلامي ... وهذا الركنُ محرابي
بهِ ألقيت آلامي ... وفيه طرحت أوصابي

* * *

هوىً كالسحر صيَّرني ... أرى بقريحة الشهب
وطهَّرني وبصَّرني ... ومزَّق مغلقَ الحجبِ!

* * *

سموت كأنما أمضي ... إلى ربٍّ يناديني
فلا قلبي من الأرض ... ولا جسدي من الطين!

* * *

سموت ودق إحساسي ... وجُزتُ عوالم البشر
نسيت صغائر الناسِ ... غفرت إساءة القدرِ!

* * *

مصافحة اللقاء

أهاب بنا قلبينا ... مناد ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا ... تعانقنا بكفينا
كأن الحبَّ تيار ... سرى ما بين جسمينا
يؤجج في نواظرنا ... ويشعل في دمائنا!

مصافحة الوداع

يا أميري ! أزف البـ   ـين وما زلت ضنينا
أصغ لي! وانظرْ ودع كـ   ـفك في كفيّ حينا
آهِ من يمناك هذي   والذي منها سقينا
عللتنا بالأماني   فشربنا ظامئينا
ثم دارت بالمنايا   فوردنا طائعينا
آه من قاسية ريـ   ـانة ضعفاً ولينا
يا بناناً ساحراً قد   حكَّم الأقدار فينا
شفتي موتورة ظمـ   ـآنة جنت جنونا
وكأن الآن كفي   حملت ثأراً دفينا
تتمناك حبيساً   عندها العمرَ سجينا
طائراً ألفى على را   حتها وكراً أمينا
وشعاعاً قدسياً   هاديَ النور مبينا!

أُغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا   ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب   لَم نذقْ فيها أمانا
وإذا حلَّ الهوى هيـ   ـهات تدري كيف كانا
فإذا ما ملك الأنفـ   ـس أصلاها عوانا
فهو نصلٌ مستقرٌّ   ولهيب لا يداني!
يا حبيبي هدأ الليـ   ـل ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحيـ   ـنا ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقّ على الشا   كي ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرض السرا   مي كما شاء رمانا
وافِنيْ بالله نطرقْ   هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأ   س ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية، من أغاني هينه
(قصيدة رمزية)

يا أيها الحملُ الوديعُ أنا الذي
يحنو عليك. أنا الحبيبُ الراعي
كم ليلة والرعبُ يمشي في الدجى
والهولُ منتشرٌ على الأصقاعِ
أغفيت في كنفي وفي ظلِّ الكرى
كالطفلِ في أمنٍ مِنَ الأوجاعِ
يا ربِّ! قد وهت العصا واستأثرتْ
غيرُ الليالي بالقويِّ الباعِ
يا ربِّ إن تك قد حكمتَ بفرقةٍ
وأذنتَ للراعي بوشك زماعِ
فانظر إلى الحملِ الوديعِ وقِهِ
شرَّ النفوسِ وفتنةَ الأطماعِ
نضِّرْ له الدنيا ومدّ ربيعَها
وانشرهُ مؤتلقاً بكل شعاعِ
واجعلْ له الأيامَ ظلًّا وارفاً
وخريرَ أنهارٍ وخصبَ مراعي!

التذكار

معرّبة عن «ألفرد دي موسيه»

بي نزوعٌ إلى الدموع الهوامي
غير أني أخافُ من آلامي
أيهذا المكان! يا غالي التربِ!
ومثوى عبادتي واحترامي!
أنت مثوى الذكرى ومدفنُها الغا
لي القصيُّ المجهولُ في الأيام

* * *

هذه خلوتي فلا تمنعوني
ما الذي تحذرون يا خلاني
انها عادتي التي كنت أعتا
دُ وأهوى في سالفِ الأزمانِ
أخذتني لذي الرحاب وقادت
قدمي في سبيلِ هذا المكان!

* * *

أنظروا هذه السفوحَ وهذا النبـ
ـتَ إذ قام مزهراً تيّاها!
لكأني ما زلتُ تسمع أذني
في صموتِ الرمالِ وقع خطاها
وكأن النجوى بكل ممرٍّ
طوقتني في سترهِ يمناها!

* * *

قد تراءى الصنوبر النضر إذ أيـ
ـنع في قاتمٍ من الألوانِ
وتراءى ليَ المضيقُ البعيدُ الـ
ـغور يمتدُّ في رخيِّ المجاني

موحشات لكنما كن ألا
في ومهد الهنيء من أزماني

* * *

أنا ما جئتُ ها هنا أذكر الأشـ
ـجانَ في موطنٍ عرفت فيه هنائي
ذلك الغاب رائع الحسن والصمـ
ـت مثال الجلال والكبرياءِ
وتزدي عاتٍ كرائع هذا الـ
ـغاب مستكبرٌ على البرحاءِ!

* * *

من يشأ أن يفيضَ يوماً بشكوا
ه فما هذا موضع الأحزان
قل لشاكٍ هلاّ مضيت لتجثو
عند مثوى ميت من الخلان!
كل شيء حيٌّ هنا ونباتُ الـ
ـقبرِ ينمو في غيرِ هذا المكان!

* * *

طلع البدرُ يرتقي ذروةَ الأفـ
ـقِ ويجتازُ حالكَ الأسدادِ
يا أمير الظلام إنك تبدو
حائرَ الرأي، واضحَ الترداد
ثم تمضي مجاوزاً حجبَ الليـ
ـلِ وترمي بنورِك الوقّادِ

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نورٍ
مرسلٍ من جبينك الوضّاحِ
وإذا الأرض قد تضوّعَ منها
عن ثراها النديِّ عطرُ الصباحِ

استثارت عطرَ القديمِ من الحبِّ
دفينَ العبيرِ في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المحبب ما زر
تك حتى سألت عن أوصابي
أين راحت لواعجي أين آلا
مي اللواتي أهرمنَني في الشباب
عاودتني طفولتي فيك حتى
خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهـ
ـرِ قويّاً مثل الجبابرِ عاتي
كل ماضي صبابَة قد أخذتن
فمن مدمعٍ ومن حسراتِ
ورحمتنَّ لي أزاهر ذكرى
علقتْ في ذبولها بالحياةِ

* * *

فسلام مني على الأيامِ
كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكن أدري أن جرحاً بما كا
بدتُ منه من فاتك الآلامِ
معقبٌ لذةً لنفسي واحسا
سَ هناءٍ لديَّ بعد التئامِ

* * *

فليَّن عيَ السخيّفُ من الرأ
يِ وتنأى سفاسفُ الأقوالِ
وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثـ
ـوابُها حُبَّ عاشقين ضلّالِ

جعلوها مظاهراً لهواهم
والهوى الحقُّ ليس منهم ببالِ

* * *

ايه دانتي! أأنت ذاك الذي قا
ل قديماً عن ذكرياتِ الهناءِ:
انها إن مرَّت على ذاكريها
زمن الحزن فهي أشقى الشقاء!
أي بؤسي أملت عليك مريرَ الـ
ـقولِ حقّاً أسأت للبأساءِ!

* * *

أو إنْ أقبل الدجى بعد ادبا
رِ نهارٍ صافي الضياء قضيتَهْ
تنكرُ النورَ في الوجودِ فيغدو
محضَ وهمٍ كأنه ما رأيتَهْ
ذلك القول وهو جدّ عجيب
أيها الخالد الأسى كيف قلتَهْ

* * *

قسماً بالطهورِ من لهب الحب
مضيئاً في القلب شبه المنارِ
ما عهدْنا في قلبك الوافر الإيـ
ـمانِ هذا الضلال في الأفكارِ
لا أرى للهناءِ والله صدقاً
مثل صدقِ الهناءِ بالتذكارِ

* * *

أو إنْ ابصرَ الشقيُّ وميضاً
في رمادِ الهوى فقام إليهِ
باسطاً نحوَه يديه بلهفٍ
حارصاً أن يمرُّ من كفّيهِ

ويـه مـن إشـعـاعـه أثـرُ الـبـر
قِ إذا مـرّ خـاطـفـاً نـاظـريـه

* * *

أو إن غاصت روحهُ في عباب الذ
كـريـات التي طـوتـهـا السنينُ!
وعـلى مـرآةٍ مـجـرّحـةٍ مِـنـ
ـهـا جرى دمعُـه السخيُّ الهتون!
أو هـذا السـرور من ذِكـرِ المـا
ضي تسميه بـالعـذابِ المبين!

* * *

ان تـروى أدمعي فلا تـزجـروني
ودعـوني انـي أحـب الـدمـوعَـا
لا تـجـفـف ايـديكمُ ادمعـاً تَـنْـ
ـفـعُ قلباً لمّـا يـزلْ مـوجـوعـا
أدمعي سـترٌ مسبـلٌ فـوق مـاضٍ
قـد تـولى مـا يستطيـع رجوعـا!

* * *

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شاطىءٍ لشواطىءٍ جددِ
يرمي بنا ليلٌ من الأبدِ
ما مَرَّ منه مضى فلم يعدِ
هيهات مرسى يومِه لغدِ!

* * *

سنةٌ مضت! وختامُها حانا
والدهرُ فرّق شملَنا أبدا
ناجِ البحيرةَ وحدك الآنا
واجلسْ بهذا الصخرِ منفردا!

* * *

قل للبحيرةِ تذكرين وقد
سكن المساءُ ونحن بالّلجِّ
لا صوت يسمع في الدنى لأحدْ
الا صدى المجدافِ والموجِ

* * *

فاذا بصوتٍ غير معتادِ
هزَّ السكونَ هتافهُ العذبُ
أصغى العبابُ ورجَّع الوادي
أصداءَه وتناجتِ السحبُ

* * *

يا دهر في رفقٍ ولا تدرِ:
ساعاته في هينةٍ وقفى
حتى تتاح هناءةُ العمرِ
وتطول لذتُها لمقتطفِ

* * *

هــلا الــتـفــتَّ لــذلــك الــكــونِ
وعلمت كم في الــنــاس من بــاكي
يــدعــوك خــذني والأسى المضنيْ
خــلِّ الممتِّــعِ وامضِ بــالشــاكي

* * *

هــذا الــنـعـيـم وهـــاتــه الــمـحـــنُ
يــتـــنــافـســـان الــدهـــر اقـــلاعـــا
فــبـــأي عـــدلٍ أيــهـــا الـــزمـــنُ
تــتــشـــابــهُ الــحـــالان إســـراعـــا

* * *

يــا أيـهـا الابــد الــسـحـيـق أجبْ
وتــكــلـمـي يــا هــوة الــمــاضـي
مــا تـصـنـعـان بــأشـهـرٍ وحـقـبْ
ونـعـيـم عـمـرٍ غـيـر مـعـتـاض

* * *

نــاج الــبـحـيـرةَ والـصـخـورِ وغُــدْ
فــاسـتـجـلِف الأغــوارَ والــغـابــا
قــل! صُــنْ ذكــر غــرامنــا فــلـقـدْ
صين الــشــبــابُ عــلـيــك أحـقــابــا

* * *

ولـتـبـق يــا هــذي الـبـحـيـرة فـي
حـــالـــيــك ثائرة وهـــادئـــةً
فــي بــاسـق لــلـمــاء مــنـعـطـفِ
فــي رائـعــات الـصـخـر نــاتـئــةً

* * *

فـي عــابــر الــنـسـمـاتِ مــرتـجـفًــا
في النجم فـضـض صفـحـةَ المــاءِ

في الريح أنّ أنينه وهفا
في الغصن نفَّس حسر أحشاءِ

* * *

في الجو مستبقاً بريّاك
خطرت ملاعبة رقيق صبا
في كل هذا هاتفٌ باكي
سيقول يا أسفا لقد ذهبا!

وداع المريض

(مهداة الى س. . .)

«مريضٌ عزيزٌ سهر الشاعر عند سريره يعنى به،»
«وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية»

فيم الغدوّ غداً وأيْن رواحي
ويح الصباح! لقد مضى بصباحي
عصفتْ علينا غيرَ راحمةٍ لنا
يا صفوة الأحباب، أيّ رياحِ!
عبثت بمعبود العيونِ وصيَّرتْ
كالورس لوناً توأم التفاحِ
ذهبوا به كالوردِ جافاه الندىٰ
ومضوا به شبحاً من الأشباحِ
يا هاتفاً باسمي فديت منادياً
ردّ النداء عليه حرّ نواحي!
يا آسيَ الآسيْ لممت جراحتي
وأسلت يوم نواك أيَّ جراحِ!
طأطأتُ للبين المشتتِ هامتي
وخفضت للقدر المغيرِ جناحي!
أيّ الليالي العاتيات سهرتها
في أيّ آلام وأيُّ كفاحِ!
هدم الضنى العادي قويُّ شكيمتي
وثنى معاندتي وردَّ جماحي!
وطغى على الملك الموسد بيننا
في لطف زنبقةٍ وضعف أقاحِ!

* * *

كيف المآب إلى مكان موحشٍ
متجهمِ العرصاتِ قفر الساح!

في كل ناحيةٍ خيالٌ هاتفٌ
ومذكرٌ بجبينك الوضاحِ!
وموسد كالطيف صاحٍ ليله
أمسيت أرعاه بجفنٍ صاحِ!
عاد الشقيُّ إلى قديم شقائه
ومحى من الدنيا السعادةَ ماحي
ويح الحياة اليوم أين جمالها
وعلامَ اخفاقي بها ونجاحي
أنت الذي وهب الحياة لميتٍ
في الأرضِ منفردٍ بغير طماحِ
أشرقت في ظلمائها وغمامها
وطلعت مثل البارقِ اللماحِ!

* * *

فرحة جديدة

أدركت عنـدك يـومـيَ المـوعـودا
ولـقيـت فيـك مثـالـيَ المنشـودا
وا فرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهـو ويخلق كـل يـوم عيـدا
وا فرحتي بك فرحة الطير الذي
مـلأ الـروابي المصغيـات نشيـدا
طـربتْ لصدحتِـه وصفق ظـافـراً
جذلانَ في عرض الفضـاءِ سعيدا
في مـوكبٍ من قلبِـه وحبيبِـهِ
من راح تحسبـه العيـون وحيـدا
وا فرحتي بك فرحة الضال الذي
يطوي القفـارَ اللافحـاتِ شـريـدا:
لاحت لـه بعـد الهـواجـر أيكـةٌ
غنّـاء تبسط ظلها الممـدودا
مـا أعجب الدنيا التي بعث الهوى
وأحـالهـا روضـاً أغـر جـديـدا
شـتى غـرائبهـا وأعجبهـا فتـى
يغـدو لمهجتـه عليـك حسـودا
يتهـالكـان على جمـالـك صبـوة
يتنـافسـان ضـراعـة وسجـودا
يتنـازعـانـك غيـرة وتغضبـاً
كـل يـراك حبيبـه المعبـودا
مـا أعجب الإيمـان يغمر خـاطـري
كـالفجر قـد غمر السمـاء وئيدا
مـزقتِ شكي فـاسترحتُ لأعين
علمنـني الإيمـان والتـوحيـدا

استقبال القمر

أقبِلْ بموكبك الأغَرّْ ما أظمأ الأبصارَ لكْ!
العين بعدك يا قمرْ عمياءُ! والدنيا حلَكْ!

* * *

تمضي وراءَ سحابةٍ تحنو عليك وتلثُمُكْ
وأنا رهينُ كآبةٍ بخواطري أتوهّمُكْ!

* * *

كن حيث شئتَ فما أنا إلاّ معنًّى بالمحال
أغدو لقدسك بالمنى وأزور عرشك بالخيال!

* * *

وأقول صبراً كلَّما عزَّ الفكاك على الأسيرْ
روحي وروحك ربما طابا عناقاً في الأثيرْ!

* * *

مهما تسامى موضعُكْ وعلا مكانُك في الوجودْ
فأنا خيالُك أتبعُكْ ظمآن أرشفُ ما تجودْ!

* * *

قمرَ الأماني يا قمر إني بهمٌ مسقمِ
أنت الشفاءُ المدَّخرْ فاسكب ضياءك في دمي

* * *

أفرِغ خلودَكَ في الشبابْ واخلعْ على قلبي الصفاءْ
أسَفاً لعمرٍ كالحبابْ والكأسُ فائضة شقاءْ

* * *

خذني اليك ونجّني مما أعاني في الثرى
قدحي ترنّق فاسقني قدح الشعاع مطهّرا!

* * *

واهـاً لأحـلامٍ طـوالْ   وأنـا وأنـتَ بـمـعـزلِ
نَعْلو على قمم الجبـالْ   ونـرى العوالم من عَـلِ

* * *

نفرتيتي الجديدة

(إلى ممثلة فنانة)

لِـمَـن هـاتـه الـفـتـنـةُ الـنـادرهْ!
وما هـاتـه الأعـينُ الـسـاحـرهْ؟
ومـا ذلـك الـمـرَحُ الـقـدسـيُّ؟
ومـا هـاتـه الضحكـةُ الـطاهـرهْ؟
تـطوف مـطاف الـحـنـان الـعـمـيـم
وتـسـقط كـالـنـعـمـة الـوافـرهْ
وتـمـتـدُّ مـثـل امـتـدادِ الـعـبـاب
وتـرجـع كـالـمـوجـة الـسـاخـرهْ
وتـنـقش أصـداءهـا فـي الـقـلـوب
وتبقى مـدى العمـر في الـذاكـرهْ
فـيـا رِقَّـةً سُكِـبَتْ فـي الـنـفـوس
كـمـا تُـسـكـبُ الـخـمـرةُ الـقـاهـرهْ
نـسـيـنـا بـك الـعـالَـمَ الـدنـيـويَّ
وأسـمـعْـتِـنَـا نَـغَـمَ الآخـرهْ
ويـا ربـةً من نـواحـي الألـمـب
أطـلَّت عـلى مـهـجٍ شـاعـرهْ
حنينـا الـرؤوسَ لمجـد الجمـالِ
ولُـذنـا بـعـرشـكِ يـا آسـرهْ
(.....) مـثَّـلْتِ هـذي الـحـيـاة
وصـوَّرت أدوارَهـا الـزاخـرهْ

وحمّلت روحك أثقالها
وروحُك كالريشة الطائرهْ
وكلّفتِ قلبكِ خوض الجحيم
وقلبُك كالجنةِ الناضرهْ
دفعتِ به في اللظى كالخليل
وعدتِ مباركة ظافرهْ
رجعتِ من النارِ ياقوتةً
مطهّرةً حرّةً باهرهْ
(.....) إن كرّمتكِ البلادُ
ودانت لمعبودةٍ قادرهْ
فوالله ما فهمتك العقولُ
ولا قدرت قدرَكِ «القاهرهْ»!
فللشعر عينٌ يراكِ بها
بغير عيونِ الورى الناظرهْ
يرى لك حُسْنَ الشعاعِ الجميل
أغار على الظلمة الغامرهْ
فجلّل بالسحر هذي الدُنى
وصيّرها جنةً زاهرهْ
فنوّر أكواخها الباليات
وهلّلَ في دورها العامرهْ
رسولٌ يجوس خلال الديار
وينزل كالرحمة الزائرهْ
بعين قد اغرورقت بالدموع
لها مُقلةُ الغيمةِ الماطرهْ
يطوفُ على الناس إنسانُها
ومهجتُه . للورى غافرهْ

الفراشة

أجلْ! يعلم الحبُّ أني لظاهُ
وتدري الفراشة أنّي اللهبْ
وأني بدوتُ لها في الظلام
فرفَّت بأجنحةٍ تضطربْ
وبين ذراعيَّ سرُّ الحيا
ةِ وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهُبْ
دنت خطوة ثم عادت إليَّ
مجاهِلها من خفيِّ الحجُبْ!
وشتّان بين السنا والظلا
م لعابدةٍ لِلسنا عن كثبْ!
وفي صدرها لهفة للعنا
قِ وفي قلبها جنةُ المغتربْ
يلوح لها شبحٌ لِلعذا
ب ويبدو لها الأبدُ المقتربْ
كأن اللظى قدَحٌ مس سلا
فٍ لها فوقه وثباتُ الحببْ
فراشة روحي تعاليْ وُثوباً
ستلقين قلباً إليكِ يثبْ
إذا ما امتزجنا احترقْنا معاً
ونلنا الخلود بهذا العطَبْ!!

الى س . . .

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها
وردت ظمأى وعادت بصداها
آه من عينكِ! ماذا صنعتْ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!
نبعته تقتفي أحلامَهُ
كلّما أغفى اطلّت فرآها
يا سقى اللّهُ «لليلى» أيكةً
وجزاها الخيرَ عنّا ورعاها
وغذاها من أمانينا ومن
حبنا الشهدَ المصفى وسقاها
قرِّبي عينكِ مني قرِّبي!
ظلليني واغمريني بصفاها!
وأريني هدأة البحر إذا انـ
ـبسط البَحرُ جلالاً وتناهى
وأريني لجةَ السحر التي
ضلَّ فيَ أعماقها الفكرُ وتاها
ألمحُ اللؤلؤ في أغوارها
وأرى الطيبةَ تطفو في سناها
وأراها تُخبِّىءُ الخلدَ لمن
باع دنياه وبالروح اشتراها!

* * *

نحن أرواحٌ حيارى افترقتْ
ثم عادت فتلاقت في شجاها
سوف ينسى القلبُ إلّا ساعةً
مِنْ رضاً في وكرِكِ الحاني قضاها

هتف القلب وقد حدثتني
أيّ ماضٍ كشفت لي شفتاها
هَمَسَتْ في خاطري فاستيقظتْ
روحيَ الحيْرى وأصغت لنداها
فأنا إنْ لَمْ أكُنْ توأمَها
فكأني كنت في الغيبِ أخاها
نحن أرواحٌ حيارَى ثملتْ
وانتشتْ سكرى على لحنِ أساهَا
قرِّبي روحَكِ مني قرِّبي!
ظلليني واغمريني برضاهَا!
وتعاليْ حدّثيني! حدّثي!
انت مرآة شجوني وَصَداهَا
فهبيني ساعة الصفو التي
تقسمُ الأيامُ ما فيها سواها
ثم أمضي لحياةٍ مرَّةٍ
صبْحُها عندي سواءٌ ومَساهَا!

نداء للشباب

وطنٌ دعا وفتىً أجابْ   بوركت يا عزم الشبابْ!
يا فتية النيل المسا   لم والكريم بلا حسابْ
جناته مرآتكمْ   ولكم خلائقُها العِذابْ
ولكمْ جمال الزهر ر   فَّ على الأماليدِ الرطابْ
ولكم فؤاد النهر ر   ق على المحاني والشعابْ!
يمضي فيضحك للسهو   ل ولا يضن على الهضابْ
حتى إذا نادتكم الأ   وطان والوادي أهابْ!
حتى إذا طغت الكوا   رث واستفزكم العذابْ
أصبحتم كالغيل تحـ   ـميه الليوثُ بألف نابْ
قل للشباب اليوم يو   مكم الأغر المستطابْ!
اليوم يبدو حبّ مصـ   ـر فلا خفاءَ ولا حجابْ!
إن كان اثماً يا شبا   بُ فلا رجوع ولا متابْ!
الله ينظرُ والليا   لي عندها لكم الحسابْ
والعهدُ في القلب المصا   بر والأمانةُ في الرقابْ!
هاتوا الفدا الغالي لمصـ   ـر وأرخصوه كالترابْ
المال، والأرواح كـ   ـل ضحية ولها ثوابْ

في يوم الشباب

اليوم يومُك في الشباب فناد
لا نوم بعدُ. ولا شهيَّ رقادِ
قل للذي يبغي الصلاحَ لقومه
بنبيل صنعٍ أو شريفِ جهادِ
بالطبِّ أو بالشعر أو بكليهما
كل الجهودِ فداءُ هذا الوادي!
لا خير في قلمٍ اذا هو لَمْ يكنْ
حرّاً طهوراً كالشعاعِ الهادي
لا خير في طبٍّ اذا هو لم يزُرْ
ظلم الحياة كفرحةِ الأعيادِ
يا أيها الوطن الجريح وجرحه
بصميم كل حشاشة وفؤاد
صبراً فنحن أساءتك الرحماء في الـ
ـبأساء قد جئنا بكلِ ضمادِ
قل للبناةِ المصلحين ألا اخلقوا
شم الذرىٰ ورواسخَ الأطوادِ
جيلاً من النشء القوي إذا مشوا
رفعوا الرؤوسَ بعزةٍ وعنادِ
لا خير في الأرواحِ تسكن منزلاً
متهدماً رثاً من الأجسادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ موطناً
متخاذلاً لا يرتجىٰ لجلادِ
أبَكتْ عيونَكم الضعيفَ يصير في
ناب القويِّ فريسةَ استعبادِ
فتبينوا اذن الحقيقةَ واعلموا
ان الطبيعةَ هكذا من عادِ

الجوُّ ملكُ السر يخشاه على
ما يشتهي والغابُ للآساد.
مهلاً بني قومي أتيت مذكراً
في ساحةٍ مجموعة الأشهادِ
واخجلتا مما نقدمه إذا
حان الحسابُ وجاء يومُ معادِ
أي الصحائف في غد وحسابكم
في ذمةِ الأبناءِ والأحفادِ
أيّ البلاد هو السعيد وأهله
يتنابذون تنابذ الأضدادِ
كل يعيش لنفسه في أمةٍ
شقيتْ بسطولٍ تفرقِ الأفرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياةِ تآلفاً
وتكاتفاً في رغبةٍ ووداد
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه
بيد الكفاح الحر لا بمدادِ
صونوا البلادَ وأدركوا فلأَحكم
كاد الحمىٰ يغدو بغير عمادِ
حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ الى
كرب تمر به بلا تعدادِ
هذي ديارُكمُ وذلكَ نيلُكم
هبةُ السماءِ ومنحةُ الآبادِ
هذي ديارُكمُ وهذي شمسُكم
طمعُ الغريب وحرقةُ الحسادِ
ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلداً كثير مناهل الروادِ
والخيرُ مدرارٌ عليه وربه
جوعان محروم الرعاية صادِ!

والـزرع نضـر في الحقـول وأهله
يتهيـأون لمنجـل الحصـادِ!...
هـذا زمـانـكم وذا ميـدانـكـم
مـاذا بكم مـن عـدة وعتـادِ؟..
نبغي شداد القوم قد شحذوا القوىٰ
في ليـل احـداث نـزلـن شـدادِ
ونـريـد شبـانـاً بمصـر استعصمـوا
ومضـوا يصـدون الغـريبَ العـادي
ونـريـد اطفـالاً اذا مـا أرضعـوا
فـرضـاعـهـم وطـنـيـة بـسـهـادِ
لـطفـل منهـم مثـل امـي أو أبي
شفتـاه اول مـا تقـول بـلادي!...
يُغـذون في الأرحـامِ حب بـلادهم
لتكـون مصـراً صـرخـة الميـلادِ!

إلى روح الشاعر

ألقيت في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم
طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم
الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقفٌ حانَ فاغتنِمْ   وتخيرْ مِن الكلِمْ
كلُّ لفظٍ أرقُّ مِن   ضحكةِ الزهر للدِّيَمْ
مستَمَدٌّ من الرُّبى   مُستعارٍ من النَّسمْ
اجمعِ الآنَ طاقةً   غضَّةَ النور تبتسمْ
أهدِها روحَ شاعرٍ   خالدٍ بالذي نَظمْ

* * *

قلمي ! ما الذي لديـ   ـكَ من الخير يا قلمْ؟!
قمْ فذكِّر وناجِ قو   مَكَ واخطُبْ وقل لهُمْ:
قل لأهلِ الغناءِ في   كنفِ المعهد الأشمّ
ذلك الشاعرُ الذي   باتَ في خاطرِ الظُّلَمْ
هو منكم وفنُّهُ   علَمَ الله فنكمْ

* * *

كان لحناً فصار ذكـ   ـراً كما يُذكَرُ الحُلمْ
انما الشعر مزهرٌ   قد حكى قصةَ الأممْ
وبأوتاره المنى   تتلاقى وتزدحمْ
هو نايٌ مُرجِّعٌ   لشجيٍّ وما كتمْ
هو قيثارةُ الزما   نِ ونجواه مِنْ قِدَمْ
هو أنشودة الحيا   ةِ وفيضٌ من النغمْ

* * *

أيها المعهد الذي   بلغ المجدَ واستتمّ
كلُّ لحنٍ مذكرٍ   أشعل القلب فاضطرمْ
نظمته يدُ الأسى   وقَّعته يدُ السقَمْ

* * *

وأناشيدكم وما صاغه الفنُّ من عِظَمْ
هي أنّاتُ أنفسٍ بالمقادير ترتَطِمْ
وصباباتُ أعينٍ يشهدُ الليلُ لَم تنمْ
وأغانيكمُ التي هي في قمةِ القمَمْ
هي آهاتُ شاعرٍ عرف الحبُّ والألمْ!

* * *

ذلك الشاعرُ الذي روحهُ الآن بينكمْ
لكانني أراه حَـ ـيّاً والقاهُ عن أمَمْ
وهو في ذروة الشبا ب وفي خفةِ القَدَمْ
غاشياً كلُّ منتدىً عاليَ الرأسِ محترمْ
كلما قال شعرَه غمر السهلَ والعلمْ
دافقاً ليس ينتهي أبداً سيلُه العرمْ
باذلاً للصديق والآ هلِ كلَّ الذي غنِمْ

* * *

زوجه والبنون هُم مجدهُ والرجاءُ هُمْ
درجوا في ذُرَا العلا نوّروا في رُبى النعمْ
نشأوا في حِمى العفا فِ وجلُّوا عن التُّهمْ

* * *

حين ظنوا بأنَّ ما أمّلوا في الزمانِ تمّ
إذ شكا الضعفَ سيد الـ ـبيتِ خارت به الهِممْ
نام في حضنهِ الضّنى وعلى صدره جَثَمْ
وإذا بالطيور قد دخل الموتُ وكبرهُمْ
شِبْهَ لصٍّ مخادعٍ غشي البيت فالتهَمْ
وإذا الفاقةُ الجريـ ـئةُ تَطْغَى وتَنْتَقِمْ
صنعتْ في رجائهمْ فعلَةَ الذئب بالغنمْ
كأتونٍ مسعَّرٍ غاضبٍ ينثُرُ الحُمَمْ!
مَن رأى البؤسَ إن عدا! مَنْ رأى الضنك إن هَجَمْ؟
مَن رأى العفةَ العريـ ـقةَ بالدهر تصطدمْ؟!

* * *

أُمّتي! ليس يُهزَمُ الـ ـفنُّ في أُمّة الشَّمَمْ
أُمّتي! ليس يخذلُ الـ ـجُودُ في أمّة الكرَمْ
أُمّتي! أمّةُ العلا وأبي الهول والهرَمْ

* * *

ساعة التذكار

ألقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الأدب المصري
بالاسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم
احمد شوقي بك

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ
مَنْ مُسعدي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرُ افِضْ عليَّ خواطراً
وابعث خيالَكَ في النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشةً
غراءَ حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلى أفِقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانه
ومضى ليهتفَ في ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
نهبُ الخطوب قليلةُ الأنصارِ
والحظُّ أطمارٌ كما شاءَ البلَى
والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!

عامٌ مضى وكأنّ أمس نعيشُه
يا ما أقلَّ العامَ في الأعمار!
أيْنَ الامارة والأميرُ ودولةٌ
مبسوطةُ السلطان في الأمصارِ
خمسون عاماً وهي وارفةُ الجنَى
تحت الربيع دؤوبة الأثمار!
مَدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ
ومضى الربيعُ الضاحكُ النّوارِ!

* * *

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً
جمعتْ صحابَك في غروب نهار[1]
والشمس في سقم الغروب وأنتَ في
لونِ الشحوب معصفرٌ ببهارِ
منحتْ وقد ذهبت شعاعاً غارباً
كسناكَ طوّافاً على السّمارِ
تشكو ليَ الضعفَ الملمَّ لعلَّ في
طبي مقيلاً مِن وشيكِ عثارِ
وكشفتَ عن متهدّمٍ جالَ الردى
متهجماً في صَرحه المنهارِ.
فرأيتُ ما صنع الضنى في صورةٍ
حالتْ، وخلى هيكلاً كإطارِ
ووجمتُ! ألمحُ في الغيوب نهايةً
وأرى بعينيَ غايةَ المضمارِ
وأرى النبوغَ وقد تهاوى نجمُه
والعبقريةَ وهي في الإدبارِ!
أوَلم يكن لك من زمانِك ذائداً
وثباتُ ذهن ماردٍ جبارِ؟

---

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية أبولو) في كرمة ابن هاني في يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣.

أوَلَمْ يكن لكَ من حِمامِك عاصمٌ
ذاكَ الجبينُ مكللاً بالغارِ؟
ولُبثتَ في إثرِ الذين رثيتهُم
واقمتَ فيهم مأتمَ الاشعار
وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدُ
محتومةُ الاقداحِ والأدوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفْقاً
فمضيتَ في متدفقِ التيارِ

* * *

في ذمةِ الاجيالِ ما غنَّت به
قيثارةٌ سحريةُ الاوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقَّعتْ
أنغامَها المحجوبة الأسرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً
منها ومن إعجازها بغرارِ
مسترسلاً رحباً كعينٍ ثرّةٍ
شتى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ
متعالياً حتى الأشعةِ مشرقاً!
متألقاً كالكوكبِ السيّارِ!

* * *

شوقي! نظمتَ فكنت برّاً خيّراً
في أمة ظمأى الى الأخيارِ!
أرسلتَ شعرَكَ في المدائن هادياً
شبهَ المنارِ يطوف بالأقطارِ
تدعو إلى المجد القديمِ وغابرِ
طيِّ القرون مجلّلٍ بوقارِ!
تدعو لمجدِ الشرق: تجعل حبَّهُ
نصبَ القلوبِ وقبلةَ الأنظارِ!
تبكي العراقَ اذا استُبيحَ ولا تضنّ

علي الشآم بمدمعٍ مدرارِ

وترى الرجالَ وقد أهين ذمارهم
خرجوا لصون كرامةٍ وذمارِ
فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم
كفّاً مضرجةً مع الاحرارا

* * *

ما زلتَ تُبعثُ في قريضِكَ ثاوياً
أو ماضياً حَفِلاً بكلِّ فخارِ
حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ: شاعرٌ
ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ!
فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما
لَم يعهدوا من معجز الافكار!
شيخٌ يدبُّ الى الاصيلِ وقلبُهُ
وجنانُهُ في نضرة الأسحارِ
ويحسُّ تبريحَ الصبابَةِ واصفاً
مجنونَ ليلى في سحيقِ قفارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشراً
تلك العصور وطيفَها المتواري!
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبُّ الحيا
ةَ! هما شعارُ العيش أيُّ شعارِ

* * *

دَين الأحياء

أُلقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى العام
الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دَينٌ... وهـذا اليـومُ يـومُ وفـاءِ
كـم منّـةٍ للميْـتِ في الاحيـاءِ!
إن لَم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعَه
فلعـلَّ في التـذكـار بعضَ جـزاءِ
يـا سـاكنَ الصحـراء منفـرداً بهـا
مستـوحشـاً في غـربـةٍ وتنـائي
هـل كنتَ قبلاً تستشفّ سكـونَها
وترى مقامَـك في العـراء النـائي
فـأتيتَـ والـدنيـا سـرابٌ كلهـا
تروي حـديثَ الحبِّ في الصحـراءِ
ووصفتَ قيساً في شـديـدِ بلائـه
ظمـآن يـطلب قـطرةً مـن مـاءِ
ظمـآن حين المـاء ليلى وحـدُهـا
عـزَّت عليـه ولَم تُـتح لـظمـاءِ!
هيمان يضرب في الهـواجر حـالمـاً
بـظلال تـلك الجنـة الفيحـاءِ
فـاذا غـفـا فلطيـفهـا، وإذا هـفـا
فلوجهـهـا المستعـذبِ الـوضّـاءِ
يـا للقلوب لـقصـةٍ بقيـت عـلى
قِـدم الـدهـور جـديـدةَ الأنبـاءِ
هي قصةُ الطيف الحزين، وصورةُ الـ
ـقلب الـطعين، مجللاً بـدمـاءِ
هي قصـةُ الـدنيـا، وكم مـن آدم
منـا لـه دمـعٌ عـلى حـوّاءِ

كل به قيسٌ إذا جنَّ الدجى
نزع الإباءَ وباح بالبرحاءِ
فاذا تداركه النهارُ طوى المدا
معَ في الفؤاد وظُنَّ في السعداء
لا تعلم الدنيا بما في قلبه
من لوعةٍ ومرارةٍ وشقاء
كلٌّ له «ليلى» ومن لَم يَلقَها
فحياته عبثٌ ومحضُ هباءِ
كلٌّ له «ليلى» يرى في حبها
سرَّ الدُّنى وحقيقةَ الأشياءِ
ويرى الأماني في سعير غرامها
ويرى السعادةَ في أتمِّ شقاءِ
الكونُ في احسانها والعمرُ عنـ
ـد حنانها، والخلدُ يومُ لقاءِ
يا للقلوب لقصةٍ محزونةٍ
لم تُروَ إلاّ روِّحت ببكاءِ
خلُدت على الدنيا وزادت روعةً
ممّا كساها سيدُ الشعراءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً
من جودة التمثيل والإلقاءِ
من فنّ (زينبها) ومن (علاّمها)
زَين الشباب وقدوةِ النبغاء

الأجنحة المحترقة

يـا أمتي كم دمـوعٍ في مـآقينـا
نبكي شهيديك أم نبكي أمانينا؟!
يـا أمتي. إن بكينـا اليـوم معـذرةً
في الضعفِ بعضُ المآسي فوق أيدينا
واهـاً على السربِ مختالاً بموكبه
وللنسور على الأوكـار غـادينـا
قـالـوا الضبـاب فلم يعبأ جبـابـرةً
لا يـدركـون العـلا إلاّ مضحِّينـا
والمـانش يعجب منهم حينما طلعـوا
على غـواربِـهِ القصـيرىٰ مـطلّينـا
فـاستقبلتهم فـرنسـا في بشاشتهـا
تجـزي البسـالـة ورداً أو ريـاحينـا
قـالـوا النسـور فهبَّ القـومُ وادَّكـروا
نسـراً لهم مـلأ الـدنيـا ميـادينـا
وهـلل السِّين إذ هـلَّت طـلائعنـا
طـلائـع المجـد من أبنـاء وادينـا
حان الأمانُ ووافى السـربُ فافتقـدوا
نسـرين ظنـوهمـا قـد أبـطآ حينـا
لكنـه كـان إبـطاءَ الـرَّدىٰ فـهمـا
لمـا دعـا المجـد قـد خَفَّـا ملبينـا
فلبيـكِ من شـاء وليُشبـعْ محـاجـرَهُ
وليتحبْ مـا يشـاءُ الحـزنَ بـاكينـا
يبكي الحبيب وتبكي فقـد واحـدهـا
من لا تـرى بعـده دنيـا ولا دينـا
هُنيهـة ثم يسلو الـدمـعَ سـاكبُـه
لا يـدفعُ الـدمـعُ شيئاً من عـوادينـا

فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صائحُنا:
فداك يا مصر لا زلنا قرابينا
فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً
والنسر محترقاً والليث مطعونا!

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلاًّ بقينا
أحُلْماً كان عطفُكِ أم يقينا؟!
أهجراً في الصبابة بعد هجرٍ
أرى أيامَهُ لا ينتهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى
على الرَّمَقِ الذي أبقيتِ فينا
كأنَّ قلوبَنا خُلِقَتْ لأمرٍ
فمذ أبصرنَ من نهوى نسينا
شُغِلْنَ عن الحياةِ ونِمْنَ عنها
وبِتْنَ بمنْ نحبُّ موكَّلينا
فإن مُلِئت عروقٌ بِنْ دماءٍ
فإنَّا قد ملأناها حنينا!

أصوات الوحدة

يا وحدتي جئت كي أنسَى وهائنذا
ما زلتُ أسمعُ أصداءً وأصواتا
مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفةً
يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتا!
جَرَّتْ عليَّ الأماني مِنْ مجاهلِها
وجمَّعَتْ ذِكَراً قد كُنَّ أشتاتا
ما أسْخفَ الوحدةَ الكبرىٰ وأضيعَها
إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا
يَعشن ما كان مطويّاً بمرقدهِ
ولم ينزِلْنَ إلى أن هبَّ ما ماتا
تلفَّتَ القلبُ مطعوناً لوحدته
وأين وحدته؟ باتتْ كما باتا!
حتى إذا لم يجدْ ريّاً ولا شبعاً
أفضى إلى الامل المعطوب فاقتاتا!

(من شعر الصبا)
الختام

عجباً لقلبٍ هيض منكَ جناحُهُ
وجرى به نصلُ الندامةِ يذبحُ
ومضى الحِمامُ يدبُّ فيه فان جرتْ
ذكراك طار اليك وهو مجنَّحُ
لهفي على الناقوس بين جوانحي
وعلى بقيةِ هيكلٍ لا تصلحُ
لا فرق بين أنينه ورنينهِ
وصداه في وادي المنيةِ أوضحُ

يا قلب! صهباء الهوى وبساطه
وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّحُ
وقفٌ على متنقلين على الهوى
يبغون من لذاته ما يسنحُ
متبدّلين موائداً وأحبةً
ما خاب من حب فآخر يفلحُ
فالحبُّ آسيه وراء عليله
فيهم، ويلمسه على ما يجرحُ
يا قلبُ! ويح ثباتنا ماذا جنى
أترى شعاعاً في البقيةِ يُلمحُ!

* * *

يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلاً
ذاق الردى من عابديك مسبحُ
كثرت ضحاياه وطال قيامُه
وصيامه فمتى رضاءك تمنحُ؟
يا دوحة الأرواح يُحمد عندها
فيءٌ ويعبد زهرُها المتفتحُ
أينال ظلَّك والرعايةَ عابثٌ
بجلالك البادي وآخر يمزحُ
ويبيت يحرمه قتيل صبابةٍ
قضّى الحياةَ الى ظلالك يطمحُ
ليلى! حبيُكِ كالحياة وذقتُ في
ناديك كأساً بالأماني تطفحُ
فتكسرت قدح المنى ورجعتُ من
سقم الهوى وهزاله أترنحُ
نزل الستار على الرواية وانقضتْ
تلك الفصولُ وفُضّ ذاك المسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس
(ألقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة)

تحت عين الصباح والأنوار
ورقيق الأنداء والأسحار
في حمى سنتريس شبَّ غلامٌ
شاعريُّ الكلامِ والأنظارِ
أزرق العينِ هادئٌ هدأة البحر
بعيد الرضى! بعيد القرار!
ساهم يلمح السحائب في الأفق
بعينٍ عميقةِ الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائم والزهر
وفي صحبة الغديرِ الجاري
ونضيرِ الحقول والعشب المخضلّ
يكسو شواطئ الأنهارِ
ومصيخاً إلى غناءِ السواقي
شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
باكياتٍ على الصبا والأماني
والهوى والنوى وبعدِ المزارِ
غير أن الذي شكا خطبه الأهـ
ـلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ
انَّ ذاك الفتى الوديعَ الظهورَ الـ
ـقلبِ في رقة النسيم الساري:
مغرمٌ بالعصا! فلوْ خلف سورٍ
لتخطى شواهق الأسوارِ
ولأجل العصاسط(١) على الافرع الخضـ
ـراء زانت بواسق الأشجار

ولأجل العصا سطا[٢] على خشب البيـ
ـت، طموحاً حتى لِباب الدارِ
ولو أنَّ العصيَّ عزَّت عليه
لتمنّى حتى عصا التسيارِ

* * *

ان تلك العصا لرمزٌ على القسو
ةِ في قلب ماردٍ جبّارِ
لا يرى القرية الصغيرة كفؤاً
لكبار الآمال والاوطارِ
ساخراً من هدوئها مستعدّاً
لصراع الخطوب والأخطارِ
أين يمضي؟! لـلأزهر الشامخ
الرأس، القويِّ الباقي على الأدهارِ
مطلع عبده وسعداً ورهط المجـ
ـد والبأس والعلى والفخارِ

* * *

فرح الأهلُ بالغلام الذي صا
ر حديثاً في ندوة السُّمّارِ
عمّموه وقفطنوه فأمسى
أملَ القومِ، فارس المضمارِ
ومضى يطلب العلوم وحيداً
موحشاً قلبهُ، غريبَ الدار
ناظراً في هوامشٍ تأكل العقـ
ـل وتبلي نواضر الأبصار
لا يبالي الطوىٰ ولا يحفل الأقدا
ر جاءت بكل أمرٍ ضاري
لا يبالي غداة يصغي الى الشيـ
ـخ وللشيخ هالة من وقارِ:

احصيرٌ ممزقٌ أم حريرٌ
مقعدٌ للمجاهدِ الصبّارِ
آه من هاته الشدائدِ فهي النـ
ـار تبلو القلوبَ في الأخيارِ
إنَّ قلبَ العظيم ياقوتةٌ تسـ
ـمو سموّاً وتزدهي بالنارِ!
أي شيء في الدهر كالألم الجبا
ر يجلو ضمائرَ الأحرارِ؟!

* * *

عجبي من «مجاور» ضاق بالأز
هر واحيرة النفوس الكبارِ!
ثم أمسى مطربشاً واكتسى البذ
لة ما بين ليلةٍ ونهارِ
ثم ضاقت بهمهِ مصرُ فاشتا
ق لغيرِ الأوطانِ في الأمصارِ
ضمَّ أشياءه اليه، وأضحى
في سفينٍ تجوبُ عرض البحارِ
ثم أمسى مبرنطاً يقصد السيـ
ـن ويغزو مدينةَ الأنوارِ

* * *

والذي يبعثُ السرورَ ويدعو
كلَّ نفسٍ للزهو والاكبارِ
رجلٌ ما ازدهته فتنةُ باريـ
ـس وما في باريس من أسرارِ
ظلَّ في ذلك الحمى مصرياً
عربيٌّ الحياةِ والأفكارِ
كلما هبّت الغواني عليه
ضاق ذرعاً بالغادةِ المعطار

يزفر الزفرة العنيفة ترمي
من لظاها فحمَ الدُّجى بشرار
يذكر النيلَ، والأحبة بالنيـ
ـلِ ويشدو بِرائعِ الأشعارِ!

* * *

كرّموا نابغيكموا واعرفوهم
فضياعُ النبوغِ في الانكارِ
فزكيٌّ مباركٌ شعلةٌ في
مصر تهدي شبابها كالمنارِ
قسماً لو يُتاح لي الغارُ كللـ
ـتُ بكفي جبينَهُ بالغارِ!

* * *

على البحر

(من شعر الصّبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره)

هل أنتِ سامعةٌ أنيني يا غايةَ القلب الحزينِ
يا قِبلة الحب الخفيِّ وكعبة الأمل الدفينِ
أني ذكرتك باكياً والأفق مُغبّر الجبينِ
والشمس تبدو وهي تغـ ـربُ شبه دامعة العيونِ
أمسيتُ أرقبُها على صخر وموج البحر دوني
والبحر مجنون العبا ب يهيج ثائره جنوني
ورضاكِ أنتِ وقايتي فاذا غضبتِ فمَن يقيني؟!

كلانا

(من شعر الصبا)

كلانا عليل فلا تجزعي   ودمعـــك تسبقـــه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نار   فنار الصبابة في أضلعي
وان كان نجم هنائك غاب   فنجم هنائي لَم يطلع...

لــيَالي الــقاهــرة

الاهداء

«إلى صديقي ع. م»
الذي ندّى الزهر الذابل من خمائل الماضي، وأنبت في روض الحاضر، زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة.. إليه أقدم ما أوحى به إليّ..

كلمة

الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة..
وأشرف منها على الأبد..
وما وراء الأبد..
هو الهواء الذي أتنفسه..
وهو البلسم داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة
هذا هو شعري..

ابراهيم ناجي

ليالي القاهرة

وكان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلاماً متجاوباً مع ظلام في النفوس، وحلوكة تجثم على الصدور، وقد مرّت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صوراً في هذه الملحمة المختلفة الضروب والايقاع.

- ١ -

في الظلام

أليلاي ما أبقى الهوى فيّ من رشدِ
فردي على المشتاقِ مهجتَه ردّي
أينسى تلاقينا وأنت حزينةٌ
ورأسك كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ
أقول وقد وسّدتُه راحتي كما
توسّد طفلٌ متعبٌ راحة المهدِ..
تعاليْ إلى صدرٍ رحيبٍ وساعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غير منهدِ
بنفسي هذا الشعر والخُصَل التي
تهاوت على نحرٍ من العاجِ مُنقَدِ
ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى
تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خدِ
وتلك الكروم الدانيات لقاطفٍ
بياض الأماني من عناقيدها الرّبْدِ
فيا لك عندي من ظلامٍ محببٍ
تألق فيه الفرقُ كالزمن الرغد

ألا كُلُّ حسنٍ في البريـة خـادمٌ
لسلطانـة العينين والجيـدِ والقـدِّ
وكل جمالٍ في الـوجـود حيـالـه
بـه ذلـةُ الشـاكي ومـرحمـةُ العبدِ
ومـا راع قلبي منـك إلا فـراشـةٌ
من الدمعِ حامتْ فوق عرش من الوردِ
مجنحـةٌ صيغتْ من النـور والنـدى
تـرفُّ على روضٍ وتهفـو إلى وردِ
بها مثل ما بي يا حبيبي وسيِّدي
من الشجن القتال والظمأ المُردي
لقـد أقفـر المحـرابُ من صلواتـه
فليس بـه من شاعرٍ ساهرٍ بعـدي
وقفنا وقـد حـان النـوى أي مـوقفٍ
نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يجـدي
كـأن طيوفَ الـرعب والبين مـوشـكٌ
ومزدحمَ الآلامِ والوجـدُ في حشـدِ
ومضـطرمَ الأنفاسِ والضيقُ جـاثمٌ
ومشتبـك النجوى ومعتنق الأيـدي
مـواكب خُـرس في جحيم مؤبـد
بغيـر رجـاءٍ في سـلام ولا بـرد
فيا أيكـة مـدّ الهـوى من ظـلالها
ربيعاً على قلبي وروضاً من السعـد
تـقلصـتِ إلا طـيفَ حبٍّ محيِّـر
على درجٍ خـابي الجـوانب مسـودِّ
تـردَّدَ واسـتـأنـى لـوعـد ومـوثـق
وأدبرَ مختـوقـاً وقـد غص بـالـوعـدِ
وأسلمني لليـلٍ كـالـقبـرِ بـارداً
يهب على وجهي بـه نفَسُ اللحـدِ

وأسلمني للكـون كـالـوحش راقـداً
تمـزقني أنيـابُـه في الـدجى وحـدي
كـأن على مصـر ظـلامـاً معلقـاً
بآخـر من خـابي المقـادير مـربـدِ
ركـودٌ وإبـهـامٌ وصـمـتٌ ووحـشـةٌ
وقـد لفهـا الغيبُ المحجبُ في بُـردِ
أهـذا الـربيـعُ الفخمُ والجنةُ التي
أكـاد بهـا أستـافُ رائحـةَ الخـلدِ

تـمـيـرُ إذا جـن الـظلامُ ولـفـهـا
بجنـحٍ من الأحلام والصمتِ ممتـدُّ
مـبـاءةَ خمّارٍ وحـانـوتَ بـائـعٍ
شقيِّ الأماني يشتري الرزق بالسهـدِ
وقـد وقفـ المصبـاحُ وقفـة حـارس
رقيب على الأسـرارِ داعٍ إلى الجدِّ
كـأن تـقـيـاً غـارقـاً فـي عـبـادةٍ
يصوم الدجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
فيا حارس الأخـلاق في الحيِّ نائمٌ
قضى يومَه في حومة البؤسِ يستجدي
وسـادته الأحجـارُ والمضجـعُ الثرى
ويفتـرش الافـريـزَ في الحـر والبـردِ
وسـيـارةٌ تمـضـي لامـر مـحـجـب
محجبـة الأستـارُ خـافيـة القصـدِ
إلى الهدف المجهولِ تنتهبُ الدجى
وتومض ومض البرق يلمـع عن بُعدِ
متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ
مـرنقـة بـالجـوع والصبـرِ والكـدِّ
ينقـبُ كلبٌ فـي الحـطام وربـمـا
رعىٰ الليل هرٌّ سـاهرٌ وغفـا الجندي

أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ
ولا فيك من مصغٍ لشاعرك الفردِ
أهاجرتي، طال النوى فارحمي الذي
تركتِ بديدَ الشملِ منتثرَ العقدِ
فقدتكِ فقدانَ الربيعِ وطيبَهُ
وعدتُ إلى الإعياء والسقم والوجدِ
وليس الذي ضيعتُ فيك بهيِّنٍ
ولا أنتِ في الغيّاب هينة الفقدِ

* * *

بعينيك استهدي فكيف تركتني
بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي
بوُدِّكِ أستسقي فكيف تركتني
لهذي الفيافي الصم والكثب الجردِ
بحبكِ استشفي فكيف تركتني
ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
وهذي المنايا الحمر ترقص في دمي
وهذي المنايا البيض تختال في فودي
وكنت إذا شاكيت خففت محملي
فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ
وكنت إذا انهار البناءُ رفعتُهُ
فلم تكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّي
وكنت إذا ناديتُ لبيْتِ صرختي
فوا أسفاً كم بيننا اليوم من سدِّ
سلامٌ على عينيك ماذا اجتنتا
من اللطف والتحنان والعطف والودِّ
إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرعٌ
فمنكِ الذي يحيي ومنكِ الذي يردي
إذا جُرِّد لم يفتكا عن تعمدٍ
وإن أغمدا فالفتك أروع في الغمدِ

هنيئاً لقلبي ما صنعتِ ومرحبا
وأهلا به إن كان فتكُكِ عن عمدِ
فإني إذا جن الظلامُ وعادني
هواكِ فأبديتُ الذي لم أكن أبدي
وملتُ بسراسي كابياً أو مواسياً
وعندي من الأشجان والشوقِ ما عندي
أقبِّلُ في قلبي مكاناً حللتِه
وجرحاً أناجيه على القرب والبعدِ
ويا دار من أهوى عليكِ تحية
على أكرم الذكرى على أشرف العهدِ
على الأمسيات الساحرات ومجلسٍ
كريمِ الهوى عفُّ المآرب والقصدِ
تنادُمنا فيه تباريحُ معشرٍ
على الدم والأشواكِ ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الصلدِ
وماذا عليهم إن بكوا أو تعذبوا
فإن دموعَ البؤس من ثمنِ المجدِ..

- ٢ -

أنوار

طابت بكِ الأيامُ وافرحتاهْ
أنتِ الأمانيُّ والغنىْ والحياهْ
فليذهبِ الليلُ غفرنا لهُ
ما دام هذا الصبح عقبى دجاهْ

يـا من غَفَتْ والفجـرُ من دارهـا
شعشـع في الآفـاق أبهى سنـاهْ
قـد طـرق البـابَ فتىً متعبٌ
طـال بـه السـيـر وكـلت خـطاهْ
نـقَّـل فـي الأيـام أقـدامـهُ
يبغي خيـالاً مـائـلاً في مُنـاهْ
عـنـدك قـد حطّ رحـال المـنى
وفي حمى حـبـك ألقى عصـاهْ
كـم هـدأ الـليـلُ وران الـكـرى
إلا أخـا سـهـدٍ يغـنّي شـجـاهْ
نـاداك من أقصى الـربى فـاسمعيْ
لـمن عـلى طـول الـليـاليْ نـداهْ
نـادىٰ أليفـاً نـام عـن شجـوهِ
عـذبٌ تـجنـيـه عـزيـزٌ جـنـاهْ
أحـبُّـكِ الـحـبُّ وغـنّـى بـهِ
عـفُّ الأمـانيْ والـهـوىٰ والـشـفـاهْ
وإنـمـا الـحـبُّ حـديثُ الـعـلىٰ
أنـشـودة الخـلدِ ونحنُ الـرواهْ..

- ٣ -

أحلام سوداء

رُبَّ ليـلٍ قـد صفـا الأفـق بـهِ
وبـمـا قـد أبـدعَ الـلّهُ ازدهـرْ
وسـرى فـيـه نـسـيـمٌ عَـبِـقٌ
فـكـأن الـلـيـلَ بُـسْـتـانٌ عَـطِرْ

قلتُ يا رب لمن جمَّلته
ولمن هذي الشريات الغرزْ..؟
فمرا الأفقَ قتامٌ وبَدَتْ
سحبٌ تحبو إلى وجهِ القمرْ
كلما تقرب تمتد لهُ
كأكفٍّ شرهاتٍ تنتظر
صحت بالبدر: تنبَّهْ للنذرْ
أدركِ الهالةَ حفت بالخطرْ
لا تبخْ مائدة النور لهم
لا تبخها لسوادٍ منعتكرْ
قهقه الرعدُ ودوّى ساخراً
فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكرْ
قمتُ مذعوراً وهمت قبضتي...
ثم مدت، ثم ردت من خَوَرْ
لهف القلب على الحسن إذا
قهقه الغربانُ والذِّئبُ سخرْ
تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإن
كثر القطافُ لم تغنِ الابرْ
آهِ من غصنٍ غنيٍّ بالجنى
ومن الطامع في ذاك التمرْ
آه من شك ومن حب ومن
هاجساتٍ وظنونٍ وحذرْ
كست الأفقَ سواداً لم يكن
غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوق الفكرْ
طالما قلت لقلبي كلما
أنَّ في جنبي أنينَ المحتضرْ
إن تكن خانتْ وعقت حبَّنا
فأضفْها للجراحاتِ الأخرْ

- ٤ -
الميعاد الضائع

«في ليلة من ليالي القاهرة العصيبة، وقفت تنتظره،
ولكن حال بينهما القدر، وأقبل هو بعد ذهابها،
لتخيل فزعها، ووحدتها، وحاجتها إليه، فجاءت
هذه القصيدة عرضاً لتلك الخواطر».

يـا من طـواهـا الليـلُ في بَيْـدائـه
روحـاً مـفـزعـة عـلى ظـلـمـائـهِ
تـتـلفـتـيـن إلـيَّ فـي أنـحـائـهِ
لهف الفؤاد على الشـريـد التـائـهِ

* * *

إن تـظمئي لِيَ كم ظمئت إليـكِ
جـمـع الـوفـاءُ شـقـيـةً وشـقـيـا
يـا منيـتي قـسـتِ الـحيـاة عليـكِ
وجـرت مقـادرهـا الجسـامُ عليـا

* * *

أسفـاً عليـكِ وأنـت روحٌ حـائـرٌ
والكـونُ أسـرارٌ يضيق بهـا الحجىٰ
تـجتـازُ عـابـرة ويـسـرع عـابـر
وتـمـر أشبـاحٌ يـواريـهـا الـدجى

* * *

فـي وجـنـتـيـكِ تـوهـجٌ وضـرامُ
وبـمـقـلـتـيـكِ مـدامـعٌ وذهـولُ
وكـذا تـمـر بمثلكِ الأيـامُ
مـجـهـولـةٌ وعـذابُـهـا مـجـهـولُ

* * *

ولَيتِ قبل لقائِنا يا جنتي
لم تظفري مني بقولٍ مسعدِ
وكعادةِ الحظِّ الشقيِّ وعادتي
أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ

* * *

تتعاقبُ الأقدارُ وهي مسيئةٌ
كم عقنا ليلٌ وخان نهارُ
وكأنما هذا الفضاء خطيئة
وكأن همسَ نسيمِه استغفارُ
وكأنه أحزانُ قومٍ ساروا
هذي مآتمهم وثم ظلالها
عفتِ القصور وظلت الأسوار
كمناحة جمدت وذا تمثالها

* * *

ران السواد على وجودِ الدورِ
وسرى إليَّ نحيبُها والأدمعِ
وكأنني في شاطىء مهجورِ
قد فارقتهُ سفينةٌ لا ترجعِ

* * *

حملتْ لنا أملاً فلما ودَّعت
لم يبقَ بعد رحيلها للناظر
إلا خيال سعادة قد أقلعت
ووداع أحبابٍ ودمع مسافر

* * *

ـ ٥ ـ

اثنان في سيارة

العمرُ أكثرهُ سدى وأقلُّهُ
صفوٌ يتاحُ كأنه عمران
كم لحظةٍ قصرت ومدت ظلَّها
بعد الذهاب كدوحة البستانِ
ويمر في الذكرى خيالُ شبابها
فكأن يقظتَها شبابٌ ثاني
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي
كفَّاه في كفَّيَّ هاجعتانِ
لكأننا والأرضُ تُطوى تحتَنا
نجمان في الظلماءِ منفردانِ
لكأننا والريحُ دونَ مسارنا
خطان في الأقدارِ منطلقان
إني التفت إلى مكانك بعدما
خليتهِ فبكيتُ سوء مكاني
هل كان ذاك القربُ إلا لوعةً
ونداء مسغبةٍ إلى حرمان
حمى مقدرة على الإنسان
تبقى بقاء الأرض في الدورانِ
وكأنما هذي الحياة بناسها
وضجيجها ضرب من الهذيانِ

- ٦ -

لقاء في الليل

«كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف».

قالت تعال فقلت لبيكِ   هيهات أعصيّ أمرَ عينَيكِ
أنا يا حبيبة طائرُ الايكِ   لم لا أغني في ذراعيك

* * *

أفديكِ مقبلةً على جزعٍ   بسطت إليَّ يمينَ مرتجفِ
وبها إرتعاشةُ طائرٍ فزعٍ   من قلبها تسري إلى كتفي

* * *

شحبتْ كلون المغرب الباكي
وتألّقتْ كالنجم عيناها
فتلفتّتْ كحبيس أشراكِ
وحكى اضطراب الموج نهداها

* * *

وأخذتُ أدفىء بردَها بفمي
لو تنفعنْ حرارةُ القبلِ
قلتُ اهدئي لم ثورة الندمِ
كفّاكِ ترتجفانِ يا أملي

* * *

وجذبتُها بذراعِها نمشي
نمشي وما ندري لنا غرضا
إلفان قد فرا من العشِّ
يتبادلان سعادةً ورضا

* * *

يا لحظة ما كان أسعدها وهناءة ما كان أعظمها
مر الغريبُ فباعدت يدَها وخلا الطريقُ فقربت فمها

* * *

مرت بنا سيارةٌ ومضت فضاحة خطافة النورِ
كشفت لعينيْنا وقد ومضت
ظلين مقتنعين في السورِ
ضحكتْ لظلينا وقد عجبت
مما يخال فؤاد مذعورِ
وكأن ضحكتها وقد طربت
قطرات ماء فوق بلورِ

* * *

عوذتها من شر أمسيةٍ
تعيا بها وتضل أبصارُ
وكواكب ليست بمنجدية
ظلم مكدسة وأحجارُ

* * *

عثرت بها فرفعتها بيدي
جسماً يكاد يشف في الظلمِ
ويرف مثل الزهر وهو ندى
ويخف مثل عرائس الحلمِ

* * *

وكأنني مما يسوء خلي
وحياتيَ انجابت حوالكُها
أرمي الطريق بناظريْ رجل
وأنا لها طفل أضاحكُها

* * *

ملكتها الدنيا بما وسعتْ
وأنا أهامسها بأسراري
وأسرها بحكاية وقعت
ورواية من نسج أفكاري

* * *

وإذا الطريق يسير منعطفا
وإذا رياح تضرب السدفا
وكأن منها منذرا هتفا
بلغ المسير نهاية، فقِفا

* * *

يا توأما من صدري انتزعا
يا من دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعي هواك دعا
والدهر يأبى أن نظل معَا

* * *

انظر ذراعيَّ اللذين هما
قد طوقاك مخافة البينِ
أقسم بأنك عائدٌ لهما
إني لممدودُ الذراعينِ

* * *

- ٧ -

ختام الليالي

الليالي! يا ما أمرّ الليالي
غيبتْ وجهك الجميل الحبيبا
أنت قاسٍ معذبٌ ليت اني
أستطيع الهجران والتعذيبا
ان حبي إليك بالصفح سبّا
قٌ وقلبي إليك مهما أصيبا
يا حبيبي كان اللقاءُ غريبا
وافترقنا فبات كل غريبا
غير أني أستنجد الدمعَ لا ألـ
ـقى مكان الدموعِ إلا لهيبا
آه لو ترجع الدموعُ لعيني
جف دمعي فلست أبكي حبيبا

* * *

الاطلال

وهذه قصة حب عاثر: إلتقيا وتحابا ثم
انتهت القصة بأنها صارت أطلال جسد،
وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل
وقائعها كما حدثت».

يا فؤادي رحم اللّهُ الهوى
كان صرحاً من خيال فهوى
اسقني واشربْ على أطلالِهِ
وارو عني طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبراً
وحديثاً من أحاديث الجوى
وبساطا من ندامى حلم
هم تواروا أبداً وهو انطوى.

* * *

يا رياحا ليس يهدا عصفها
نضب الزيتُ ومصباحي انطفا
وأنا أقتات من وهم عفا وأفي العمر لناسٍ ما وفى

كم تقلبت على خنجره
لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا

وإذا القلبُ على غفرانِهِ كلما غاربه النصلُ عفا
يا غراما كان مني في دمي قدراً كالموت أوفى طعمِهِ
ما قضينا ساعة في عرسِهِ وقضينا العمر في مأتمه
ما انتزاعي دمعةً من عينِهِ واغتصابي بسمةً من فمِهِ
ليت شعري أين منه مهربي أين يمضي هاربٌ من دمِهِ

* * *

لست أنساكِ وقد أغريتني
بفمٍ عذبِ المناداة رقيقْ
ويدٍ تمتد نحوي كيدٍ
من خلال الموجِ مُدّتْ لغريقْ
آه يا قِبلة أقدامي إذا
شكتِ الأقدامُ أشواكَ الطريقْ
وبريقاً يظمأ الساري لهُ
أين في عينيك ذيَّاك البريقْ
لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحْ
انت روح في سمائي وأنا
لك أعلو فكأني محضُ روحُ
يا لها من قمم كنّا بها نتلاقى وبسرِّينا نبوحْ
نستشف الغيبَ من أبراجها
ونرى الناسَ ظلالاً في السفوحْ

* * *

أنتِ حسن في ضحاه لم يَزَلْ
وأنا عنديَ أحزان الطَفَل
وبقايا الظل من ركب رحلْ
وخيوطُ النور من نجمٍ أفلْ
ألمح الدنيا بعيني سئمْ
وأرى حوليَ أشباحَ المللْ
راقصات فوق أشلاء الهوى
معولاتٍ فوق أجداثِ الأملْ
ذهب العمرُ هباءً فاذهبي
لم يكن وعدُك إلا شبحا
صفحةٌ قد ذهب الدهرُ بها
أثبت الحب عليها ومحا

انظري ضِحكي واقصّي فرحا
وأنا أحمل قلباً ذُبِحَا
ويراني الناسُ روحاً طائراً
والجوى يطحنني طحن الرحى؟

* * *

كنت تمثال خيالي فهوى
المقادير أرادتْ لا يدي
ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ
حطمت تاجي وهدّت معبدي
يا حياة اليائس المنفرد
يا يباباً ما به من أحدِ
يا قفاراً لافحاتٍ ما بها
من نجي.. يا سكون الأبدِ..

* * *

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ
فيه نبلٌ وجلالٌ وحياءْ
واثقُ الخطوةِ يمشي ملكا
ظالمُ الحسن شهيُّ الكبرياءْ
عبقُ السحرِ كأنفاسِ الربى
ساهمُ الطرفِ كأحلامِ المساءْ
مشرقُ الطلعةِ في منطقِهِ
لغةُ النورِ وتعبيرُ السماءْ

* * *

أين مني مجلسٌ أنت بهِ
فتنةٌ تمت سناء وسنى
وأنا حبٌ وقلبٌ ودمٌ
وفراشٌ حائرٌ منك دنا

ومن الشوقِ رسولٌ بيننا
ونديمٌ قدّم الكأسَ لنا...
وسقانا. فانتفضنا لحظةً
لغبارٍ آدمي مسنا!
قد عرفنا صولةَ الجسمِ التي
تحكم الحيَّ وتطغي في دماه
وسمعنا صرخةً في رعدِها
سوط جلّادٍ وتعذيب إله
أمرتْنا فعصينا أمرَها
وأبيْنا الذلَّ أن يغشى الجباه
حكم الطاغي فكنا في العصاهْ
وطردنا خلفَ أسوارِ الحياهْ

* * *

يا لمنفيين ضلا في الوعورْ
دميا بالشوك فيها والصخورْ..
كلما تقسو الليالي عرفا
روعة الآلامِ في المنفى الطهورْ..
طردا من ذلك الحِلم الكبيرْ
للحظوظِ السودِ والليلِ الضريرْ
يقبسان النورَ من روحيْهما
كلما قد ضنتِ الدنيا بنورْ

* * *

أنت قد صيرت أمري عجبا
كثرتْ حوليَ أطيارُ الربى
فإذا قلت لقلبي ساعةً
قم نغردْ لسوى ليلى أبى
حجبتْ تأبى لعيني ماربا
غير عينيك ولا مطلبا

أنتِ من أسدلها لا تدعي
انني أسدلت هذي الحُجُبا
ولكم صاح بي اليأسُ انتزعها
فيرد القدرُ الساخرُ: دعها

يا لها من خطة عمياء لو أنني أبصرتُ شيئاً لم أطعها
وليَ الويل إذا لبيتُها ولي الويلُ إذا لم أتبعها

قد حنت رأسي ولو كل القوى
تشتري عزة نفسي لم أبعها

* * *

يا حبيباً زرتُ يوماً أيكَهُ
طائر الشوق أغنيّ ألمي
لك ابطاءُ الدلالِ المنعمِ
وتجنيّ القادرِ المحتكمِ
وحنيني لك يكويْ أعظمي
والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقبٌ في موضعي
مرهفُ السمعِ لوقعِ القدمِ

* * *

قدم تخطو وقلبي مشبه
موجة تخطو إلى شاطئها
أيها الظالم بالله إلى كم
أسفح الدمعَ على موطئها
رحمةٌ أنت فهل من رحمةٍ
لغريب الروحِ أو ظامئها
يا شفاء الروح روحي تشتكي
ظلمَ آسيها إلى بارئها...

* * *

أعطني حريتي أطلقْ يديّ
انني اعطيتُ ما استبقيتُ شيّ
آه من قيدك أدمى معصمي
لمَ أُبقيهِ وما أبقى عليّ
ما احتفاظي بعهود لم تصُنْها
وإلام الأسر والدنيا لديّ
ها أنا جفتْ دموعي فاعفُ عنها
انها قبلَك لم تبذلْ لحيْ

* * *

وهبِ الطائر عن عشك طارا
جفتِ الغدرانُ والثلجُ أغارا
هذه الدنيا قلوب جَمَدتْ
خبتِ الشعلةُ والجمرُ توارى
وإذا ما قبس القلب غدا
من رمادٍ لا تسلْهُ كيف صارا
لا تسلْ واذكرْ عذابَ المصطليْ
وهو يذكيهِ فلا يقبسُ نارا

* * *

لا رعى اللّهُ مساءً قاسيا
قد أرانيْ كلَّ أحلامي سدى
وأراني قلبَ من أعبدُهُ ساخراً من مدمعي سخر العدا
ليت شعري أي أحداث جر ت أنزلت روحَك سجناً موصدا
صدئت روحك في عيهبها وكذا الأرواح يعلوها الصدا

* * *

قد رأيتُ الكونَ قبراً ضيقا
خيّم اليأسُ عليهِ والسكوتْ

ورأت عيني أكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوطِ العنكبوتْ
كنت ترثي لي وتدري ألمي
لو رثى للدمع تمثال صموتْ
عند أقدامك دنيا تنتهي
وعلى بابك آمالٌ تموتْ

* * *

كنت تدعوني طفلاً كلما
ثار حبي وتندتْ مقلي
ولك الحق لقد عاش الهوى
فيّ طفلاً ونما لم يعقلِ
ورأى الطعنة إذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفلَ فأدمتْ قلبهُ
وأصابتْ كبرياءَ الرجلِ
قلت للنفس وقد جزْنا الوصيدا
عجلي لا ينفعُ الحزمُ وئيدا
ودعي الهيكلَ شبتْ نارُهُ
تأكلُ الركّعَ فيهِ والسجودا
يتمنّى لي وفائي عودةً
والهوى المجروحُ يأبى أن نعودا
لي نحو اللهب الذاكي به
لفتة العود إذا صار وقودا

* * *

لستُ أنسى ابداً ساعة في العمر
تحت ريحٍ صفقتْ لارتقاصِ المطرَ
نوّحتْ للذِكَر وشكتْ للقمرَ
وإذا ما طربتْ عربدتْ في الشجرَ

هاك ما قد صبت الريـ   ـح بأذن الشاعر
وهي تغري القلب اغرا   ء النصيح الفاجر

أيها الشاعر تغفو
تذكرُ العهدَ وتصحو
وإذا ما التأم جرحُ
جد بالتذكارِ جرحُ

فتعلمْ كيف تنسى   وتعلمْ كيف تمحو
او كل الحب في رأ   يِكَ غفرانٌ وصفحُ

* * *

هاك فانظرْ عددَ الرمـ   ـلِ قلوبا ونساءْ
فتخيرْ ما تشاءْ   ذهب العمرُ هباءْ
ضل في الأرض الذي   ينشد أبناء السماءْ
أي روحانية تعـ   ـصر من طين وماءْ..

* * *

أيها الريح أجلْ لكنما
هي حبي وتعلاتي ويأسي
هي في الغيب لقلبي خلقتْ
أشرقتْ لي قبل أن تشرقَ شمسِ
وعلى موعدها أطبقتُ عيني
وعلى تذكارها وسدتُ رأسي

* * *

جنّتِ الريحُ ونادتـ   ـه شياطين الظلام..
أختاماً كيف يحلو   لك في البدء الختام
يا جريحا اسلمَ الجر   حَ حبيبا نكأهْ
هو لا يبكي إذا النـ   ـاعي بهذا نبأهْ
أيها الجبار هل تصـ   ـرع من أجل امرأة..

* * *

يـا لهـا من صيحـةٍ مـاً بعثت
عـنـده غـيـر ألـيـمِ الـذكـرِ
ارقت في جنبـه فـاستيقـظت
كـبـقـايـا خـنـجـر مـنـكـسـرِ
لـمـع الـنـهـرُ ونـاداه لـه
فـمـضـى مـنـحـدراً لـلـنـهـرِ
نـاضـبُ الـزادِ ومـا من سـفـرِ
دون زادٍ غـيـر هـذا الـسـفـر

* * *

يـا حـبيبي كـل شيء بقضـاءْ
مـا بـأيـديـنـا خُـلِقْـنـا تـعـسـاءْ
ربـمـا تـجـمـعُـنـا أقـدارُنـا
ذات يـومٍ بـعـدمـا عـزّ الـلقـاءْ
فـاذا أنـكـر خـلٌ خـلَّه
وتـلاقـيـنـا لـقـاء الـغـربـاءْ
ومـضـى كـلٌّ إلـى غـايـتِـهِ
لا تقـلْ شيئا! وقـل لي الحظ شاءْ

* * *

يـا مغني الخلد ضيعت الـعـمـرْ
في أنـاشيـد تـغـنّـى لـلـبـشـرْ
ليس في الأحيـاءِ من يـسـمـعـنـا
مـا لـنـا لسنـا نغني لـلـحـجـرْ
لـلـجـمـارات التي لـيـستْ تـعـي
والـرميمـات البـوالي في الحـفـرْ
غـنّهـا سـوف تـراهـا انـتـفـضـتْ
تـرحـم الـشـاديْ وتـبـكـي لـلـوتـر

* * *

يـا نـداء كـلـمـا أرسـلْتـهُ
ردّ مـقـهـوراً وبـالـحظّ ارتـطم
وهـتـافـاً من أغـاريـد المـنـى
عـاد لـي وهـو نـواحٌ ونـدمْ
ربّ تـمـثـالِ جـمـالٍ وسـنـا
لاح لـي والعـيش شـجـو وظـلمْ
ارتـمى الـلحنُ عـليـهِ جـاثـيـاً
لـيس يـدريّ أنـه حـسـنٌ أصـمّ

* * *

هـدأ الـليـلُ ولا قـلب لـه
أيها الـسـاهـر يـدري حـيـرتـكْ
أيـهـا الشـاعـر خـذ قـيـثـارتـكْ
غنِّ أشجـانـك واسكبْ دمـعتـكْ
ربّ لـحـن رقص الـنـجـمُ لـه
وغـزا الـسحب وبـالـنجم فـتـكْ
غـنِّـهِ حتى نـرى سترَ الـدجى
طـلع الـفجـرُ عـليـه فـانـهتـكْ

* * *

وإذا مـا زهـرات ذعـرت
ورأيـت الـرعـبَ يـغـشى قـلبـهـا
فـتـرفـقْ واتئـدْ واعـزفْ لـهـا
من رقيقِ اللحنِ وامسحْ رعبَها
ربـمـا نـامتْ عـلى مـهـدِ الأسى
وبـكـتْ مـسـتـصـرخـاتٍ ربـهـا
أيـهـا الـشـاعـر كـم من زهـرةٍ
عـوقبتْ لـم تـدرِ يـومـاً ذنبَـهـا

* * *

متفرقات

ذات مساء

وانتحينا معاً مكاناً قصياً
نتهادى الحديث أخذاً وردّا
سألتني مللتنا أم تبدلـ
ـتَ سوانا هوىً عنيفاً ووجدا
قلت هيهات! كم لعينيكِ عندي
من جميلٍ كم بات يهدى ويسدى
انا ما عشت أدفع الدين شوقا
وحنيناً إلى حماكِ وسهدا
وقصيداً مجلجلاً كل بيتٍ
خلفَه ألفُ عاصفٍ ليس يهدا
ذاك عهدي لكل قلبك لم يقـ
ـض ديونَ الهوى ولم يرعَ عهدا
والوعودُ التي وعدتِ فؤادي
لا أراني أعيش حتى تؤدّى

رواية

نزل الستارُ ففيمَ تنتظرُ
خلت الحياةُ وأقفر العمرُ
لم يبقَ إلا مقفر تعس
تعوى الذئابُ به وتأتمرُ
هو مسرحٌ وانفضّ ملعبُهُ
لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ

ورواية رويست وموجزها
صحبٌ مضوا وأحبّةٌ هجروا
عبروا بها .صوراً فمذ عبروا
ضحك الزمانُ وقهقه القدرُ

يأس على كأس

- ١ -

أصبحتُ من يأسي لو أن الردى
يهتف بي، صحتُ به هيا
هيا فما في الأرض لي مطمح
ولا أرى لي بعدها شيا
ماذا بقائي ها هنا بعدما
نفضتُ منه اليومَ كفيا
أهربُ من يأسي لكأسي التي
أدفنُ فيها أملي الحيّا
يا أيها الهارب من جنتي
تعال أو هات جناحيا
نبكي شبابنا ونبكي المنى
ونرتمي بين ذراعيا

* * *

- ٢ -

اني على يأسي وكأسي كابي
وعلى سرابي عاكف وشرابي
ولقد فرغتُ من التعلل بالمنى
الا وميضاً في الرماد الخابي

رمقاً يعللني بأنك عائدٌ
يوماً لقلبي قبل يوم ذهابي
حتى اذا الأقدار شئن وعللتِ لي
راجعتُ نفسي واتهمت صوابي
اأرى شروقك في أفول مغاربي
وأشم عطرَك في ذبول شبابي!

* * *

- ٣ -

هات اسقني واشربْ على سر الأسى
وعلى بقايا مهجة وشجاها
مهلا نديمي! كيف ينسى حبها
من ينشد السلوى على ذكراها
ما زلت تسقيني لتنسيني الهوى
حتى نسيتُ، فما ذكرت سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قصةٌ
هذا الحباب أعادها ورواها
الآن غشاها الضبابُ وها أنا
خلفَ المآسي والدموعِ أراها
غال الزمانُ ضبابَها وحبابها
وتبخرتْ أحلامُها ورؤآها
لا تبكها ذهبتْ ومات هواها
في القلب متسعٌ غدا لسواها
احببتُها وطويتُ صفحتَها وكم
قرأ اللبيبُ صحيفةً وطواها
تلك الوليدة لم تطل بشراها
لمّا تكد تطأ الثرى قدماها
زف الصباحُ إلى الرمال نداءها
وسرى النسيمُ عشيةً فنعاها

عاصفة روح

(الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أين شط الرجاءْ يا عُباب الهمومْ
ليلتي أنواءْ ونهاري غيومْ

* * *

اعولي يا جراحْ اسمعي الديّانْ
لا يهم الرياحْ زورقٌ غضبانْ

* * *

البلى والشقوبْ في صميم الشراعْ
والضنى والشحوبْ وخيالُ الوَداعْ

* * *

اسخري يا حياةْ قهقهي يا رعودْ
الصبا لن أراهْ والهوى لن يعودْ

* * *

الأماني غرورْ في فم البركانْ
والدجى مخمورْ والردى سكرانْ

* * *

راحتِ الأيامْ بابتسام الثغورْ
وتولى الظلامْ في عناق الصخورْ

* * *

كان رؤيا منامْ طيفك المسحورْ
يا ضفاف السلامْ تحت عرش النورْ

* * *

اطحني يا سنين   مزقي يا حرابْ
كل برق يبينّ   ومضه كذابْ

* * *

اسخري يا حياةْ   قهقهي يا غيوبْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يؤوبْ

* * *

كبرياء

- ١ -

نداؤك يا فؤادُ كفى نداءَ
أما تنفك تسقيني الشقاءَ
أنا ظمآن لم يلمعْ سرابٌ
على الصحراءِ الا خلتُ ماءَ
وأنت فراش ليلى كل نور
وتبعث كلَّ برق قد أضاءَ
فؤادي قل لها لما افترقنا
على شجن، وما نرجو اللقاءَ
حبيبتكِ ما شدوت شعراً(!!)
ولكني اعتصرت لكِ الدماءَ
إذا أنا في هواك أضعت روحي
فلست أضيعُ فيك دمي هباءَ
غرامُكِ كان محراب المصلي
كأني قد بلغتُ بكِ السماءَ
خلعت الآدميةَ فيه عني
ولكن ما خلعت به الإباءَ

فلم أركعْ بساحته رياءً
ولا كالعبد ذلاً وانحناءَ
ولكني حببتُكِ حبَّ حرٍّ
يموتُ متى أراد وكيف شاءَ

* * *

- ٢ -

وحبيبٍ كان دنيا أملي
حبه المحرابُ والكعبةُ بيتُهْ
من مشى يوماً على الوردِ له
فطريقي كان شوكاً ومشيتُهْ
من سقى يوماً بماءٍ ظامئاً
فأنا من قدحِ العمرِ سقيتُهْ
خفقَ القلبُ له مختلجاً
خفقةَ المصباحِ إذ ينضبُ زيتُهْ
قد سلاني فتنكرتُ لهُ
وطوى صفحةَ حبي فطويتُهْ

* * *

- ٣ -

أقبلتُ للنيلِ المباركِ شاكياً
زمني وقد كثرتْ عليَّ همومي
ومسحتُ كفيْ والجبينَ بمائهِ
علّي أهدىء ثورةَ المحمومِ
وجلست أنشرُ جعبةً معمورةً
بالذكرياتِ جديدِها وقديمِ

لهفي لحب مات غيرَ مدنسٍ
وشباب عمر مرَّ غيرَ ذميمِ
خان الأحبةُ والرفاقُ ولم أخنْ
عهدي لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ
أيخيفُني العشبُ الضعيفُ أنا الذي
أسلمت للشوكِ الممضِّ أديمي
وإذا ونى قلبي يدق مكانه
شممي وتخفقُ كبرياءُ همومي
اني لأحمل جعبتي متحديا
زمني بها وحواسدي وخصومي
أحني لعرش الله رأساً ما انحنى
بالذل يوماً في رحابِ عظيمِ

اذكري

اذكري ذاك المساءْ — كيف كنا سعداءْ
لم يدعْ عنديَ همّاً — ومحا عنك الشقاءْ
ملأ الدنيا صفاءْ — عندما شئتِ وشاءْ
أحسن الدهرُ إلينا — بعدما كان أساءْ
كلما أقبلت السحـ — ـب فظلّلن السماءْ
قاتمات غائمات — يتهادينَ بطاءْ
لاح نجمٌ من بعيد — فتجلى واضاءْ
وتصدّى قمرٌ را — ح على الأرضِ وجاءْ

رسائل محترقة

ذوت الصبابةُ وانطوتْ وفرغتُ من آلامها
لكنني ألقى المنايا من بقايا جامها
عادت إليَّ الذكرياتُ بحشدها وزحامها
في ليلة ليلاء أرّ قني عصيب ظلامها
هدأت رسائل حبها كالطفل، في أحلامها
فحلفت لا رقدت ولا ذاقت شهيَّ منامِها
أشعلت فيها النار تسـ عى في غزيز حطامها
تغتال قصة حبنا من بدئها لختامها
أحرقتُها ورميت قلـ بي في صميم ضرامها
ويبكي الرماد الآدمي على رماد غرامها

الغريب

يا قاسيَ البعد كيف تبتعدُ
انـي غريبُ الديارِ منفردُ
إن خانني اليومُ فيك قلت غداً،
وأين مني ومن لقاك غدُ
إنّ غداً هوةٌ لناظرها
تكاد فيها الظنون ترتعدُ
أطل في عمقِها أسائلها
أفيك أخفى خيالَهُ الأبدُ
ألامس الجرحَ ما الذي صنعتْ
به شفاهٌ رحيمةٌ ويدُ
ملء ضلوعي لظى واعجبُهُ
انـي بهذا اللهيبِ ابتردُ

يـا تـاركي حيث كـان مجلسنـا
وحـيث غـنَّـاك قـلبـيَ الـغـرِدُ

أرنـو الى النـاس في جمـوعهم
اشقتْهمُ الحـادثـاتُ أم سـعـدوا

تـفـرقـوا أم بـهـا احـتـشـدوا
وغـوَّروا هـابـطيـن أم صـعـدوا

اني غـريبٌ تـعـال يـا سكني
فـليس لـي فـي زحـامِهـم أحَـدُ

بعد الفراق

- ١ -

أجـل! أهـواكِ أنتِ مُنى حيـاتي
وأنـت أحب مـن بصـري وسـمعي

وهـل أنسـاكِ كـلا لسـت أنسى
هـوى قـد كـان إلهـامي ونبعي

لبست من الـتصبـرِ عنكِ درعـا
فـهـا أنـا تـنـزعُ الأيـامُ درعـي

وهـا أنـا لست أدري عنـك سـرا
عـرفتِ محبتي ورأيـت دمـعي

تـلاشـت قـوتـي وغـدا فـؤادي
كـأن خـفـوقـه خـلجـاتُ نـزعِ

أبـشـره فـيـرقص فـي ضلوعـي
وأنـظرُ سـودَ أيـامـي فـأنـعـي

وقـد نضبَ الخيـالُ وغـاض طبعي
ومـات على حياض اليـأسِ زرعي

أجـرجـرُ وحـدتي في كـل حشـدٍ
واحمـل غـربتي في كـل جمـع

- ٢ -

مـزَّقَـتـه فـصـار والله لا يـقـ
ـدر حتى أن يسأل اللّهَ رفقا
لجةٌ بعد لجةٍ كلما صا
رع ردت له أمانيه غرقى
فيلقٌ بعد فيلقٍ حجب الشمـ
ـس ولم يبقِ للنواظر أفقا
وسنانُ الغروب تغزوه حمرا
وسنانُ العذاب تطعن زرقا
وجيوشُ الظلامِ تزحفُ زحفاً
وثقالُ الأقدامِ تسحقُ سحقا .

المآب

«خرج الشاعر من مصر مريضاً، ورجع
اليها مكسور الساق يحمل عكازتين، فلما
أشرفت السفينة على بور سعيد استقبل الشاعر
مصر بهذه الأبيات»:

هتفتُ وقد بدت مصر لعيني
رفاقي! تلك مصر يا رفاقي
أتدفعني وقد هاضت جناحي
وتجذبني وقد شدت وثاقي
خرجتُ من الديارِ أجرُّ همي
وعدتُ الى الديار أجرُّ ساقي

في الأوتوجراف

من ن الى هـ

طلبتِ الكتابةَ يا جنتي
وماذا تريدين أن أكتبا
وما في الجوانح خافٍ عليكِ
وقلبك يعلم ما غيبا
سأكتب أنكِ أنت الربيعُ
وأنكِ أنضر ما في الربى
وأنكِ أنت الجمالُ الفريدُ
وفجرُ الشبابِ وحلمُ الصبا
أهلل باسمكِ عند الصباح
وأطوي على ذكركِ المغربا..

شكوى الزمن

يا ويلتا من عمريَ الباقي هذا سوادٌ تحت أحداقي
هذا بياضُ الشيبِ واعجبي من مغرب في زي اشراقِ
ويلي على كأسٍ معربدةٍ
وعلى دمٍ في الكأس مهراقِ
وعلى سراب خادعٍ وعلى متألقِ اللمحاتِ براقِ
طاف الزمان به على نفرٍ مالوا بهاماتٍ وأعناقِ
صُرعوا وأنت تظنهمُ سكروا
مات الندامى أيها الساقي
يا دهر لم أشك الكلالَ ولا
ملكتْ خطوبُ الدهر إرهاقي
عذبت أيامي بعِفّتها
وقتلتها بصفاء أخلاقي

يا كم غرست وكم سقيت وكم
نضرت من زهر وأوراقِ
ما حيلتي والأرضُ مجدبةٌ
سيان إقلالي وإغداقي
أين الذين رفعت فانحدروا
وبنيتُهم بنيان خلاق
أن الوفاء بضاعةٌ كسدَتْ
ومآل صاحبِها لإملاقِ
إن كنتُ لم أغنمْ فقد ظفرا
مني بمغفرتي وإشفاقي
لكنني والجرح يُلهب لي
حسي ويكوي كَي إحراقِ
هيهات أنسى أنهم عبثوا
ووفيْتُ لم أعبث بميثاقي

كل الورى

كل الورى يدعون حبكْ
أنا الوحيد الذي أحبكْ
صدرُك فيه اضطرابُ شوقٍ
يقرع قرع الباب جنبكْ
فكيف تخلي به مكاني
وتسكن الغادرين قلبكْ
لما اعتنقنا على اشتياقٍ
لمست بالساعدين خطبكْ
تعال لا تعتذر لذنب
بقدر حبي غفرت ذنبكْ

* * *

طال على المتعب الطريق
بلا حبيب ولا صديق
قد بعد الشاطىء المرجى
والموج لا يرحم الغريق
في واضح النور جنح ليل
وفي الرحاب الفساح ضيق
يا أرجوان الغروب مهلا
ولتتئدْ أيها العقيق
صبغت عمري فصرت أمشي
على دمائي التي أريق..

* * *

يا مسرحاً والفصول تترى
عليه مالي بك اغترارْ
فلا بخير ولا بشرّ
ولا طوال ولا قصارْ
ما خنت عهدي لمن تولى
كلا ولا خانني اصطبارْ
أين الليالي التي تسرّ
بلا لقاء ولا مزارْ
كم قلت ذا مشهد يمرّ
ولم أقلْ أنه ستارْ

* * *

إن كان للمشجيات رسمُ
إني تمثالها المقامْ
بلا دموع ولا شكاة
قد جمد الدمعُ والكلامْ
يا طالب الحزن في المآقي
لا تنشد الدمع في الرخامْ

وخـذهُ مـن أخـرسٍ مـريـرِ
من شفـه دمعُهـا سـجـامْ
فـهـل فمٌ قـد بكى بكـائي
من ذا رأى دمعـةَ ابـتـسـامْ

صور شعرية

- ١ -

راقصة

عجباً لعاريةٍ كسا   ها الفنُّ حسناً رائعا
سمراء وشتهـا بنا   تُه بياضاً ناصعا
شبه الفرائد قد كسيـ   ـن في الغمام براقعا
خبأن نصفا بي الدجى   وجلون نصفا لامعا
من أي وديان الظبا   ء ملاعبا ومراتعا؟
من عبقر، ومن الالـ   ـب، ومن فنونهما معا
تبدين ريان الشدي   لنا وخصراً جائعا
وترين كونا يشبه الـ   ـكونَ الرحيبَ الواسعا
متغاير الابداع مخـ   ـتلف المحاسن جامعا
لك خفة الطير المحـ   ـلق طائراً أو واقعا
لك خفة البطل المجـ   ـلي مقبلاً أو راجعا
متمهلاً للخصم حيـ   ـنا للّقاءِ مسارعا

الصنم الجميل

يا قلبي الشاكي المعذ   ب هذه الشكوى لِمَا
حان الفرارُ وآن للمـ   ـسجون أن يتنسما
حان الحسابُ وآن للـ   ـموتور أن يتكلما
يا طفليّ النواح آ   ن اليوم أن تتعلما
أسفي لغالي الدمع تبـ   ـذله لمرتخص الدمى

أفنيتـه ورجعـت حـ ـتى من دموعك معدما
فإذا افتقدت الدمع عـ ـز فتبكينّ تبسما
تبكي على العرش المصو غ من المدامع والدما
تبكي على الصنم الجميـ ـل يكاد أن يتهكما
تبكي تراب الأرض مصـ ـبوغا بألوان السما

الليل في فينيسيا

يا رب ما أعجب هذي البلاد
لا ليلَ فيها! كل ليلٍ صباح
وكل وجه في حماها ضِماد
ومصر لا تنبت الا الجراح

شكوك

يا رامي السهم يدري أين موضعه
مني ويعلم ما داريت من ألمِ
رميتَ في ساحةٍ موسومة بدمٍ
منقوشةٍ بندوبِ الحبِّ والندمِ
لا يخدعنَّكَ منها وهي صامتةٌ
صمت القبور فراغُ الموتِ والعدم
فكم شفاه جراحاتٍ اذا انطبقت
جرح الإباءِ عليها غير ملتئم
فيم انتقامك من قلب عصفتَ به
لم يبقَ من موضع فيه لمنتقمِ
وفيم لذعة سخطٍ من جوى برمٍ
ترمي بجمرته في جوف مضطرم!

النسيان

حـان الـشفـاءُ فـودع الألـمـا
واسـتقبـل الأيـامَ مـبتـسـمـا
ضيفٌ مـن الـسـلوان حـل بنـا
حـدبُ اليـدين مبـاركٌ قـدمـا
أو ما ترى الضيفَ الـذي قدما
يطوي الغيوبَ ويـذرعُ الـظلما
في كـفِـهِ كـأسٌ يـقـدمـهـا
تمحـو العذابَ وتغسـلُ الـندما
فـاشربْ ولا تـرحمْ ثمالتَهـا
لهفي عليـك شـربتَ أي ظمـا
فيض من النسيان يغمرني اني لأحمد سيله العرما
مـستـسلمـاً لـلمـوج يغـمـرني
فـرحـان حين أعـانقُ العـدمـا

المساء

يـا غـلة المتلهـفِ الـصـادي
يـا آيتي وقصيـدتـي الكبـرى
مـاذا تـركـت لـديَّ مـن زادِ
إلا استعـادة هـذه الـذكـرى
يـا لـلمسـاء الـعبقـري ومـا
أبقى على الأيـام في خـلدي
شفتـاك شـفـا لـوعـةً وظمـا
وجمـالـك الجبار طوعُ يـدي
نمشي وقـد طـال الـطريقُ بنـا
ونـودُّ لـو نـمشـي إلى الأبـدِ

ونــود لــو خلتِ الحـيـاة لنــا
كـسطريقنا وغـدتْ بـلا أحـدِ
نبني على أنـقـاض مـاضيـنـا
قصـراً من الأوهـام عمـلاقـا
ونـظل نـنـسـج مـن أمـانيـنـا
وشـيـا مـن الأحـلام بـراقـا
وأظـل أسقيـهـا وتـمـلأ لـي
من مـورد خلف الـظنون خفي
حتى إذا سـكـرت من الأمـلِ
وتـرنحت مـالـت على كـتفي
حـلفت بـأنـي مغـتـد مـعـهـا
حيث اغتـدت وهواي في دمها
فمسحت بـالـقبـلات أدمـعَهـا
وطبعت ميثـاقي عـلى فمـهـا

عذاب

ألمي محا ذنبي إليك وكفّرا
هبني اسأت ألم يحنْ أن تغفرا
روحي ممزقةٌ وأنت تركتَها
لمخالب الدنيا وأنياب الورى
روحي ممزقةٌ ولو أدركتها
جمّعت من أشلائها ما بعثرا
أو ليس لي في ظل حبك موضع
أحبو اليه وأرتمي مستنصرا؟
ما كنت أصبر عن لقائك ساعة
كيف اصطباري عن لقائك أشهرا
من بدّل الثغرَ الجميلَ عبوسة
ومضى إلى وجه السماء فكدرا
يا هاته الأقدارا عينك لا ترى
تحت الدجى سأمان ممتنع الكرى
ظمآن، لو باع الأحبةُ قطرةً
بالعمر والدنيا جميعاً لاشترى
اخفى جراحك واستعز بفتكها
غريدك الشادي المحلق في الذرى
يرنو اليك على البعاد ويعتلي
فيجره الجرحُ المميتُ إلى الثرى
قد عاش وهو معذبٌ بإبائه
ولقد يلاقي يومَه متكبرا
حتام كتماني وطول تجلدي
يا أيها الجاني عليّ وما درى
ومتى المآب إلى رحابك مرة
لأريك جرحي والدما والخنجرا

ملحمة السراب

- ١ -

السراب في الصحراء

السرابُ الخؤون والصحراءُ
والحيارى المشردون الظماءُ
وليالٍ في إثرهن ليالٍ
سنة أقفرت وأخرى خلاءُ
قلّ زادي بها وشح الماءُ
وتولى الرفاق والخلصاءُ
كيف للنازح الحبيب ارتحالي
وجناحاي السقم والبرحاءُ
وجراحي المستنزفات الدوامي
وخطاي المقيدات البطاءُ
ادركي زورقي فقد عبث اليـ ـم به والعواصف الهوجاءُ
والعبابُ العريضُ والأفقُ المو حشُ واللانهاية الخرساءُ
أفق لا يجد للعين قد ضا ق فأمسى والسجن هذا الفضاءُ
سهرت ترقب الصباحَ وعين الـ ـنجم كلّت وما بها إغفاءُ
عجبي من ترقبي ما الذي أر جو ولما يعدْ لقلبي رجاء
وأنا مرهفُ المسامع فيه
لي إلى كل طارقٍ إصغاءُ...

* * *

التقينا كما التقى بعد تطوا فٍ على القفر في السرى انضاءُ
قطعوا شوطَهم على الدم والشو ك وراحوا على اللهيب وجاؤوا
في ذراعي أو ذراعيك أمن وسلامٌ ورحمةٌ ونَجاءُ
وعلى صدرك المعذب أو صد ريَ حصنٌ وعصمةٌ واحتماءُ

كم أناديك في التنائي فترتـ ـد بلا مغنم لِيَ الا صداء
وأناديك في دمائي فتنسا ب على حسرةٍ لديَ الدماءُ
وأناديك في التداني وما أطـ ـمع إلا أن يستجاب النداءُ
باسمك العذب إنه أجملُ الأسـ ـماء مهما تعددت أسماءُ
لفظة لاتبين تنطلق الأقد ارُ عن قوسها ويرمي القضاءُ

* * *

وهي بين الشفاهِ نايٌ وتغريـ ـدُ وطيرٌ وروضةٌ غنَّاءُ
وهي في الطرس قصةٌ تذكر الأحـ ـبابُ فيها وتحشد الأنباءُ
صدفةٌ ثم وقفةٌ فاتفاقٌ فاشتياقٌ فموعد فلقاءُ
فقليلٌ من السعادةِ لا يكـ ـمل فيه ولا يطولُ الهناءُ
فحنينٌ فلوعةٌ فاحتراقٌ فجحيمٌ وقودُه الشهداءُ
ما بقائي وأجمل العمر ولّى
وانتظاري حتى يحين الشتاءُ
يطلع الفجرُ مرهقاً شاحب النو
ر عليه الكلالُ والإعياءُ
وبنفسي دب المساءُ وحل الـ
ـليل من قبل أن يحين المساءُ

* * *

زرتني كالربيع في موكب الزهـ ـر له روعةٌ وفيه رواءُ
ولك الوجه أومض الحسنُ فيه
والتقى السحرُ عنده والذكاءُ
وشحوبٌ كظلِ خمر وللند مان تجلو شحوبُها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعا أودع الصا نعِ فيه من قدرة ما يشاءُ
قدٌ من مرمر وشعشعه الفجـ ـرُ بوردٍ وصب فيه الضياءُ
وأنا الطائر الذي تصطبي نفـ ـسي السماوات والذرى الشماءُ
راشني صائدٌ رماني فأدما ني وولّى الجاني وعاش الداءُ
مرحباً بالهوى الكبير، فإن يـ ـبقَ وإن تسلمي يطبْ لي البقاءُ
فهو القمةُ التي تهزمُ المو تَ ولا يرتقي إليها الفناءُ

مرّ يومي كأمسِه مسرحاً تعـ ـرض فيه الحياةُ والأحياءُ
آدم كـالقديم قلبـاً وتفكيـ ـراً ولكن تبـدل الأزيـاءُ
لم يحـلْ طبعـه ولا ذات يـوم
لـبسـت غـيـر نـفـسـهـا حـواءُ
والنضارُ المعبود قُدِّسَ وقربا نٌ وربٌ والشهرةُ الجوفاءُ
والحـطامُ الفـاني عليـه اقتتـالٌ
والأمـانـي بـسريـفُـهـا إغـراءُ
وسـفـيـنٌ تـمـر أثـر سـفـيـنٍ
والـريـاحُ الـلذات والأهـواءُ
والـغيـوبُ الـمحجبـاتُ رحـابٌ
تعبت في رمـوزهـا الـحكـمـاءُ
عنـدهـا المـرفأ المؤمـل والشط
المـرجّى والصخـرة الـصمـاءُ..
مرّ يومي كـأمسه وأتى لـ ـيلٌ بهيج تزف فيه السماءُ
قـد جلت فيه عـرسَها، كـل نجم
قـدحٌ يستحم فـيـه الـضـيـاءُ
لم تزل تسكب السلاف وللأقـ ـداحِ فيها تجددٌ وامتلاءُ
لم تزل.. حتى هوّم الحانُ نعسا نَ وأغفى البساطُ والندماءُ
غير نجم في جانب الليل يقظا نَ، له روعة بِهـا وجلاءُ
ذاك نجمُ الحبيب مني له الشو قُ ومنه الوميضُ والإيماءُ
كم أغنّيه بالحنين كما غـ ـنت على فرعِ غصنها الورقاءُ
وذراعـيَّ في انتـظارٍ، وصـدري
فيـه بـالضيف فـرحـةٌ واحتفـاءُ
مـوقـداً للغـريـب نـار ضـلوعي
فعسى للغـريب فيهـا اهتـداءُ...

* * *

لمَ خليتني وباعدت مسرا كَ ومالي إلى ذراك ارتقاءُ
بـالذي فيـك من سنـا لا تـدعني
فـيـم هـذا الـمـطال والإبـطاءُ

ما تراني وقد ذهبت بحظيْ
اخطأتني من بعدك النعماءُ
وانتهى بعدك الجميلُ فلا فضـ ـلٌ لمسدٍ ولا يدٌ بيضاءُ
ومشى الحُسن في ركابك والإحـ ـسان طراً والغرة السمحاءُ
حسنات كانت يد الدهر عندي
فانطوت بانطوائك الآلاءُ

ـ ٢ ـ
السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاؤوا
ولا لقلبك عن ليلاك أنباءُ،
جفا الربيعُ ليالينا وغادرها
وأقفر الروضُ لا ظل ولا ماءُ
يا شافي الداء قد أودى بي الداءُ
أما لذا الظمأ القتال إرواءُ
ولا لطائر قلبٍ أنْ يقر ولا
لُمركب فزع في الشط إرساءُ!
عندي سماء شتاءٍ غير ممطرةٍ
سوداء في جنبات النفسِ جرداءُ
خرساء آونة هوجاء آونة
وليس تخدع ظني وهي خرساءُ
وكيف تخدعني البيداءُ غافية
وللسوافي على البيداء إغفاء
أأنت ناديت أم صوتٌ يخيل لي
فلي إليك بأذن الوهم إصغاءُ
لبيك لو عند روحي ما تطير به
وكيف ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا
لهم به صخبٌ عالٍ وضوضاءُ
وآخرون كسالى في أماكنِهم
كأنهمْ في رمال الشط أنضاءُ
هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم
وقبل أن تتحدّى الحبَّ بغضاءُ
ضاقت نفوسٌ باحقادٍ ولو سلمت
فإنها كسماء البحر روحاءُ...
تألقتْ شمسُ ذاك اليوم واضطرمت
كأنها شعلٌ في الأفْقِ حمراءُ
طابت من الظل، ظل القلب ناحيةً
لنا، وقد صَلِيَتْ بالحرِّ أنحاءُ
ما لي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها
وما وعت ولقلبي منك إغناءُ
لو أنه أبدٌ ما زاد عن سنةٍ
ومدةُ الحلم بالجفنين إغفاءُ
أرنو اليك وبي خوفٌ يساورني
وانثني ولطرفي عنك اغضاءُ
إذا نطقت فما بالقول منتفعٌ
وان سكت فإن الصمتَ افشاءُ
وأيما لفظة فالريحُ ناقلةٌ
والشطُّ حاكٍ لها والأفقُ أصداءُ

يا ليل من علم الأطيارَ قصتنا
وكيف تدري الصبا أنا أحِباءُ
لما أفقنا رأينا الشمسَ مائلةً
إلى المغيب وما للبين إرجاءُ
شابت ذوائبُ، وانحلت غدائرُها
شهباء في ساعة التوديع صفراءُ

مشى لها شفقٌ دامٍ فخضبها
كأنه في ذيولِ الشعرِ حِناءُ

* * *

يا من تنفس حر الوجد في عنقي
كما تنفس في الأقداح صهباءُ
ومن تنفست حر الوجد في فمه
فما ارتويت وهذا الري إظماءُ
ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد
ولن تواريك عن عينيّ ظلماءُ..

- ٣ -

السراب في السجن

يا سجين الحياة أين الفرارُ
أوصد الليلُ بابه والنهارُ
فلمنْ لفتةٌ وفيم ارتقابٌ
ليس بعد الذي انتظرت انتظارُ
والتعلات من هوى وشباب
قصة مسدلٌ عليها الستارُ
ما الذي يبتغي العليلُ المسجَّى
قد تولى العوادُ والسمارُ
طال ليلُ الغريب وامتنع الغمـ
ـض وفي المضجع الغضا والنارُ

* * *

وهَب السجنُ بابه صار حسرا
لكَ لا حائل ولا أسوارُ

وعفا القيدُ عنك كفاً وساقاً
فإذا الأرض كلها لك دارُ
أين أين الرحيل والتسيار
بعدت شقة وشط مزار
والخطى المثقلاتُ باليأس أغلا
لٌ لساقيك والمشيبُ عثارُ
ما انتفاع الفتى اذا عفت الجـ
ـنة واجتاح دوحَها الأعصارُ
عشتُ حتى أرى خمائلَ حبي
تتهاوى كشامخ ينهارُ
تحت عيني ويذبل الحسنُ فيها
ويموتُ الربيعُ والانوارُ
ما انتفاع الفتى بموحش عيشٍ
بقيَتْ كأسُه وطاح العقارُ
وبقاء البساط بعد الندامى
كأس سم بها يدور البوارُ
ما انتفاعي وتلك قافلة العيـ
ـش وفي ركبها اللظى والدمارُ
الدمار الرهيب والعدم الشا
مل واللفحُ والضنى والأوارُ
يا ديار الحبيب هل كان حلماً
ملتقى دون موعد يا ديارُ؟
يا عزيز الجنى عليك سلام
كيف جادت بقربك الأقدار
بورك الكرم والقطوف واوقا
ت كأن العناقَ فيها اعتصارُ
كلما أطلقتك كفي استردتك
كما يحفز الغريم الثارُ

آمال كاذبة

لا البـراء زار ولا خيالـك عـادا
مـا أكـذب الآمـال والـميعـادا
عجباً لحبك يـا بخيلة كيف يخـ
ـلق من جـوانـح عـابـد حُسـادا
إني لأهتف حين أفتـرش المـدى
وأرى الجحيم لـجـانبـي مِهـادا
آها على الرأس الجميل سلا وأغـ
ـفى مـطمئنـا لا يحس سهـادا
فرشت له الأحلام واحتفل الهـدو
ء يد ومـد لـه الجمال وسـادا
يـا حبها مـا أنت مـا هـذا الـذي
جمـع الغـريب وألّف الاضـدادا
كم أشرئب إلى سمـاك بنـاظري
مستلهـمـاً بـك قـوةً وعـمـادا
ولكم أبيتُ على السآمة طـاويـا
في خـاطري شبحـاً لهـا عـوادا
فأراك تعبث بي كطفـل في السما
ء يـصـرف الأقـدار كـيـف أرادا
ولقـد أقول هـوى كما بـدأ انتهى
فـإذا الهـوى وافى النهـايـة عـادا
مـات الـرجـاءُ مـع المسـاءِ وإنمـا
كـان المـمـاتُ لـحـبنـا ميـلاداً
مـاذا صنعت بنـاظـر لا يـثنـي
مـتـطلعـاً مـتـلفـتـاً مـرتـادا
وأنـا غـريب في الـزحـام كـأنني
آمـال اجـفـان حـرمـن رقـادا

ولقد ترى عيني الجموعَ فما ترى
دنيـا تمـوج ولا تـحس عبـادا
فاذا رأيتك كنت أنت الناس والأ
عـمـار والآبـاد والآمـادا
وأراك كل الزهـر كل الروض أنـ
ـت لـديَّ كـلُّ خميلةٍ تتهـادى

البعث

يا جمالا وجلالا يتدفقْ   رجع البلبلُ أم عاد الربيعْ
بهر النورُ عيوني فترفقْ   حين تدنو انني لا أستطيعْ

* * *

أيها الورد الذي طاف بنا   أيها الطل الذي بلَّ الظما
لا أراك الله حالي وانا   أطأ الشوك ويغزوني الغما

* * *

يا أماني وحبي وخيالي   لا تضيع لحظة فالعمر ضاعْ
لا أراك الله حالي والليالي   كاسفات ليس فيهن شعاعْ

* * *

قد بلوت الويلَ فيها لا بلوتا   وانا أبدأ يومي بالمساء
وعرفت الضيق ضيق القلب حتى
لم أجد في الكون ثقباً من رجاء

* * *

لا وربي ليس في الدنيا ختام
حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلب من منام
والمنادي أنت والحب المجيب

المنصورة

بأي معجزة في الحب نتفقُ
يا قلب لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ

يا قلب انا لقينا اليومَ معجزةً
تكادُ في ظلماتِ الليل تأتلقُ
ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها
بقيةً من بقايا العمرِ تحترقُ
وافيتُها وفلول النور دامية
تطفو وترسب أو تعلو فتحتلقُ
لم أدر حين تبدتْ لي إذا شفقي
ابصرته أو على المنصورة الشفقُ؟
يا من منحت الأماني البيض معذرة
اني بهذي الأماني البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجى في جوانبها
اني رجعت وليلي كله أرقُ
اقبلتُ أنشد امنا في هواك بها
فلم أنل وتولى قلبي الفرقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي
إنا بشيءٍ وراءَ الروحِ نعتنقُ
ويحي على كفكِ البيضاء إذ بسطتْ
عند السلام وويحي حين تنطبقُ
هل يسمع النيلُ اذ سرنا بجانبهِ
والموجُ مجتمعٌ فيه ومفترقُ
صوتاً تماوجَ في روحي فجاوبه
من جانب القلبِ موجٌ راح يصطفقُ
تظل تنهبُ اذني من أطايبه
كأنها من خفايا الغيبِ تسترقُ
يا جنة من جنان الله أعبدها
لن تبعدي ولدي السحر والعبقُ

وقفة على دار

قف يا فؤادُ على المنازل ساعا
فهنا الشبابُ على الأحبة ضاعا
وهنا أذلَّ اباءه متكبرٌ
أمرت عيونٌ قلبه فأطاعا
أحسست بالداء القديم وعادني
جرح أبيت لعهده إرجاعا
ومشىٰ مع الأمل الذهول كأنما
طارت بلبي الحادثات شعاعا
كثرت عليّ متاعبي فمحونني
ومحون حتى السقم والأوجاعا
يا من هجرت لقد هجرت إلى مدى
فإلىٰ اللقاء ولن أقول وداعا

الراهبة الباكية

لمن العيون الغائرات خشوعا
لمن النواظر قد صفت ينبوعا
وتكللت بالطهر مؤتلقَ السنا
وجلت لنا معنى الجمال رفيعا
مهلاً فتاة الدير والحسن الذي
تصبو له مهجُ العبادِ جميعا
الحسنُ من حق الورى وحملته
مستخفيا متأبيا ممنوعا!
في الدير مثواه وفي جنح الدجى
يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا

يا مؤنس الدنيا فديتك موحشاً
تهتاج وجداً أو تضيق ضلوعا
تتحرق الدنيا عليك وربما
أوقدت نفسك في الظلام شموعا

من ن الى ع

ـ ١ ـ

يا شطر نفسي وغرامي الوحيدْ
ما شئتِ يا ليلاي لا ما أريد
يا من رأت حزني العميقَ البعيدْ
داويتِ لي جرحي بجرحٍ جديدْ
هتكتِ عن روحي خفي النقابْ
فلم يزلْ يا ليلَ هذا الحجابْ
حتى مشت كفّاكِ فوق العذابْ
يا ليلَ اني لشقي سعيدْ
عمري سرابٌ في بقايا سرابْ
وكل أيامي المواضي اغترابْ
فاليوم يا ليلاي طاب المآب
في ظلك الرحب الجميلِ المديدْ
فليذهب الماضي البعيدُ السحيقْ
فيه صريعٌ للبلى لا يفيقْ
في جدثٍ يزدادُ ضيقاً وضيقْ
في كفنٍ ضمَّ الشبابَ الشهيدْ!

- ٢ -

ويوم لقياك على سلمِ
في جانب مكتئب مظلمِ
يا عذبة العينين والمبسمِ
وغضة الحسنِ الشهيِّ الفريدْ!
في لحظةٍ يقفز فيها دمي
وتعقدُ الدهشة فيها فمي
من أي كون جئتِ لم أعلمِ
يا نفحةً من نفحات الخلودْ

* * *

هيا ! أجل! هيا إلى أينا؟
لحيث نحكي حلمَ روحينا
لحيث نروي سرَّ قلبينا
فإن فرغْنا من حديث نعيدْ!
أي مكان بهوانا يضيقْ؟
فامضِ بنا، إن زحامَ الطريقْ
في ظل حبنا رحيبٌ طليقْ
وكل ركنٍ طيبٌ في الوجودْ
من أنتِ؟ لا أدري، ولا من أنا
فيا إله الحب ماذا اسمنا
إنّا حبيبان وذا حبُّنا
انّا وليدان، وهذا وليدْ
ومجلس قد ضمنا في الزحامْ
رف على قلبين فيه السلامْ
ترمقُنا فيه ظنونُ الأنامْ
ولا تخلينا عيونُ الحسودْ!

وحين ودعتِ خلال الجموعْ
مشى على أثرك قلبي الوجيعْ
مشى به الحبُّ، وكيف الرجوعَ!
وفي ضميري هاتف: هل تعودْ!!

رثاء الهمشري

الشاعر النابغ الذي انطفأ
نجمه في نضارة الشباب.

لا تجزعوا للشاعر الملهم
ما مات لكنْ صار في الأنجمِ
ما كان إلَّا زائراً عابراً
لأي سرٌّ جاء لم نعلمِ
والآن قد رُدَّ إلى سربِهِ
في قُدْسِ ذاك الفلكِ الأعظمِ
الآن قد رُدَّ إلى ربه
فتى إلى الخلدِ مشوقٌ ظمي
الآن قد أصبح في قربِهِ
فتى لآفاق السما ينتمي
كان فراشاً حائراً في الدنى
في نورها أو نارها يرتمي
فان نجا من نارها مرة
فمن لهيب النفس لم يسلم

* * *

لا تجزعوا للشاعرِ الملهمِ
بنضرةِ الأيامِ لم ينعمِ

مـرَّ بهــذا الكـونِ في لحـظةٍ
طـالت كعمـرِ الأبـدِ الأعـظمِ
أي جـلالٍ فـاتـه وصـفُـهُ
وأي حـسن فيـه لـم يـرسـمِ
فـان يـكـن ردَّ إلـى حضـنِـهِ
فـعـودةُ الـمـغـرمِ لـلمـغـرمِ
ورجـعـةُ الـقـلب إلى صـدرِهِ
بـالعـطف في احنـائـه يـرتمي
لا تجـزعـوا للشـاعـر الملهمِ
والله مـا نـام مـع الـنـوَّمِ
ولـم ينـلْ منـه أكـول البلى
وإنـمـا غـاب إلـى مـوسـمِ

الدكتور عبد الواحد الوكيل
وزير الصحة

هي صفحةٌ طويت وحان ختامُ
آسيٌ الأساة على ثراك سلامُ
لهفي عليك تسلّمتك يدُ البلى
وانفض عنك إلى النشور زحامُ
الحفلُ منتظمٌ تكامل عقدُهُ
أين العشيُّ خيالُك البسامُ
يتلفتون به كأنك عائدٌ
هيهات في ريب المنون كلامُ
لا صحو من سِنة المنونِ وانما
سهر الخلود عليك حيث تنامُ
يا أيها الآسي العزيز بمضجع
ناءٍ له الإكبار والاعظامُ
أنتَ الطبيبُ وقد بلوت حياته
ومجالُها الأوجاعُ والاسقامُ
جلت الحياة له حقيقتها فما
في ظلها لبسٌ ولا أوهامُ
وله مع القدر الرهيب وقائعٌ
وله مع الموت الملم صدامُ
ووراء ذلك قوةٌ أزليةٌ
خرساءُ عنها ما أميط لثامُ
أي الأساة هو المدلّ بفنه
سبحان من تحنى لديه الهام!
بلدٌ على بلد كأنك ضارب
في الأرض ما يدري لديه مقامُ
فرجعتَ من حمى الحياة لمثلها
حمّى تهد الصرح وهو مقامُ

سفـرٌ على سفـرٍ فهـذي رقـدةٌ
شفي الغليـل بهـا وطـاب أوامُ.
يلقي الغـريب على جوانبه العصا
وتـقـر فيـهـا أعيـن وعـظامُ
رقـد الصغير إلى الكبير مجاوراً
وتـعـانق الأحبـابُ والأخصـامُ
هجعوا إلى يـوم النشورِ وهكـذا
هجعتْ هنـالـك إلفـةٌ وخصـامُ

رثاء الشاعر محمد الهراوي

القيت في حفلة تابينه

هـا هنا حفـلٌ وذكـرى ووفـاءُ
لـبّنـا انت مـلبِّـي الأصـدقـاءُ
يـا لـهـا من غـربـة مضنيـة
لـيس تـنـجـاب وأيـام بـطاءُ
ذهب المـوتُ بـأغلى صـاحب
وثـوى في التـرب أوفى الأوفيـاءُ
لـست أنسـاك وقـد أقبلت لي
تشتكي غـدر صـديق قـد أساءُ
آه من جـرح ومن قـلب على
ألم الجـرح انطوى مـر الابـاءُ
كـلمـا آلـمـك الـجـرح فـأحـ
ـسست بـه لطّفتـه بـالكبـريـاءُ
أيهـا الشـاكي من الـدهـر استرحْ
كلنـا يـا أيهـا الشـاكي سـواءُ
الـجـراحـاتُ التي عـانيتَـهـا
لـم تـدعْ أرواحَـنـا إلا ذمـاءُ

بـرم الـعيش بـهـا لم يـشـفـهـا
وتـولى الـدهـر سـأمـان وجـاءْ
أذن الـمـوت لـهـا فـالـتـأمـت
وشفـاهـا بعـدمـا استعصى الشفـاءْ
لـسـت أرثـيـكَ أيـرثـى خـالـد
في رحـاب الخلد موفـور الجـزاءْ
كـيف أرثـيـك أيـرثـى فـاضـل
عـاش بالخيرات موصـولَ الدعـاءْ
انمـا الـدنيـا هي الخيـر على
قـلةِ الـخـيـر وقـحطِ الـعـظمـاءْ
انمـا الـدنيـا فتىً عـاش لـكم
بـاذلاً من قـوتـه حتى الفـنـاءْ
فـاذا مـات فـقـد عـاش بكـم
فهـو بـالـذكـرى جـديـر بـالبقـاءْ
ذلـك الـشـاعـر قـد واسـاكـمْ
ويـبكـي آلامَكـم كـل الـبـكـاءْ
ذلـك الـشـاعـرُ قـد غنـاكُـمُ
صـادحاً في ايكِكُم بشـرى الهنـاءْ
وأولـو الشعـر المصـابيـح التي
حـطمـتـهـن ريـاحَ الـصـحـراءْ
خـلدت أنـوارُهـم رغـم الـبـلى
وبهـا المدلـج في الليـل استضـاءْ
سـوف يفنى القـولُ الاّ قـولـهم
ويـمـوت الـنـاسُ الا الـشـعـراءْ
عـد الـيـنـا نـسـمـة حـائـرة
ذات نـجـوى وحـنـيـن وولاءْ
ثـم حـلق بـجـنـاحـيـن الـى
عـالـم نـحـن لـه جـد ظـمـاءْ
طِرْ مـطارَ النسم واتـرك قـدَمـا
ثقلت بـالشوك في أرض الشقـاءْ

تكريم السيد ابراهيم عبد الهادي

(وزير الصحة)

خذ من طبيب الحي رأي النادي
واسمع إلى غريد هذا الوادي
اني عن الفئتين قمت وانه
شرفٌ بلغت به أجل مرادِ
أنا لا أوفي اليوم حقك وحده
لكن أؤدي فيك حق بلادي
يا عائداً تحدو السلامةُ ركبَهُ
بوركت في الغيّاب والعواد
مصر التي بك في اشتدادِ كروبِها
عرفتْ فتى الفتيانِ يوم جهادِ
رفت عليك قلوبها وتطلعت
وهفت اليك منابرُ الأعوادِ
أي المحامد فيك لم ترفعْ به
رأساً ولم تتحد كل معادي
وطنيةٌ ملء الفؤادِ وهمةٌ
علوية من حكمة وسدادِ
فلو ان أعواد المنابر قد مشت
لمشت لابراهيم عبد الهادي
أنا ما التفت اليك الا عادني
طيفٌ يراوح خاطري ويغادي
طيفٌ من الماضي الكريم وصفحةٌ
اخذت لها عهداً على الآبادِ
إني به مترنم وبكل ما از
دانت به تلك الصحيفةُ شادي
أيام يجمعنا الشبابُ وكلنا
بالروح والدم والجوارح فادي

السجنُ مثل الأسرِ مثلُ النفي مثـ
ـل القتلِ ، تلك قضيةُ استشهاد

تكريم الدكتور علي ابراهيم
في يوبيله الفضي

اليك أزف في اليومِ الجليلِ
تحياتِ الزميل الى الزميلِ
تحياتٍ يرفُّ عليك منها
ندى الأسحارِ في ظلٍّ الخميلِ
سلاماً للإمامِ عليّ جئنا
إليه بالعشير وبالقبيلِ
نبايع منه فناً عبقرياً
وعقلاً في العقولِ بلا مثيلِ
تلفتْ يا عليُّ تجد وفاءً
وما احتاج الوفاءُ إلى دليلِ
أقول لحاسب الستين مهلاً
وقعت على الحساب المستحيلِ
إذا أحصيتَ للاجسامِ عمراً
فكيف تعدُّ أعمار العقولِ
ولو أن الألى انقذتَ جاؤوا
يؤدون القديمِ من الجميلِ
ولو أن الألى علمت جاؤوا
يؤدون القليل من القليلِ
ولو منحوك عمرهم جميعاً
وما هو بالكثير ولا الجزيلِ
اذن لرأيت عمرك عمر نجم
له في اللانهاية ألف جيلِ

بـربـك كم وصلت حيـاة قـومٍ
وكـم حـاربتَ من داءٍ وبيـلِ
وكم أنقـذت من أسـر المنـايـا
وكم نضـوٍ شفيتَ وكم عـليـلِ
إذا مـا الموت أبـدى نـاجـذيه
إذا انـطفأت عيـونٌ في الـذبـول
إذا غـامت محـاجـرُهـا ظمـاةً
كمـا غـامت نجـومٌ في الأفـول
فمـا هـو غيـر أنْ أقبلتَ حتى
تبـدل كـل أمـرٍ مستحيـلِ
كـأنـك لمـعُ برقٍ في الأعـالي
يـحيي مقـدم الـغيث الهـطولِ
كـأنـك واحـةٌ في القفـر لاحت
رأتـهـا أعيـنُ الـركبِ الـكليـلِ
كـأنــك جنـةٌ في البيـد تنـدى
بعـذبِ الماءِ والـظلِّ الـظليـلِ
ولـو أيامـك العصمـاء جـاءت
بـكـلٍّ اغـر مـزدانٍ حـفـيـلِ
إذن لـطلعن في الـظلمـات بيضـا
من الغـرر الـلوامـع والحـجـول
ولـو أن الـمـآثـرَ ذاتُ قـولٍ
لـقلت تـكلمـي وصـفـي وقـولـي
أضـفهـا فـهي أعـمـارٌ أضيـفـت
ومـا تـدري لمـاضيـك النبيـلِ
تـعـال أذعْ لنـا سـرَّ الـفجـولِ
ودع صمت الحيي أو الخـجـولِ
سـلالـة عـبـقـرٍ وعـشيـر جـنٍّ
بعـدتـم في الحيـاة عن الشكـولِ

فمـا للشيبِ مـن بـاب إليكم
ولا لُلضعفِ يـومـاً من سـبيـل
لقد جهـل الألى حسبوك شيخاً
فـلا تقبـل حـسـابـاً من جهـولِ
أعيذ صباك كيف يكـون شيخاً
شعـاع سـلافـة وسنـا شمـولِ
ومـا ظفـروا بـأثبت منـك عـوداً
ولا أقـوى وأصلب في الحمولِ

ولا ظفروا بأصفى منـك روحاً
كـأن مـزاجـهـا من سلسبيـلِ
أرى سحرَ الشبابِ عليك غضّاً
وقـاك اللّهُ أنفـاسَ الأصيـلِ
تـعـالى الله كـم من مـعـجـزاتٍ
مـعلقـة بـإصبعـك النحيـلِ
محيـل القسوة الكبـرى حنانـاً
ورافـعـهـا إلـى فنٍّ جـمـيـلِ
معـاركُ من دمٍ ام سـاحُ حـربٍ
أسنتهـا منغـمـة الصليـلِ
يسيـر المبضـعُ الجبـارُ فيهـا
بـكفـك سيـرَ مطواعٍ ذليـلِ
معـاركُ كم كسبـت بهـا حيـاة
ومـا لك في المـواقـع من قتيـلِ
تقسمـك الـورى قسومـاً فقـومـاً
ومـا لك بـالـورى ضجـر الملولِ
تقضي في مسـائـك ألف أمـرٍ
وتقـطع في نهـارك ألف ميـلِ
وإمـا سـرت عن حفـل قصيـر
فـعن وعـد بـمؤتـمـرٍ طـويـلِ

وأنت أب لذا وأخ لهذا
ومنك لمن وجاك يَدا خليلِ

* * *

نبي الطب أدركنا إذا ما
تطلعت العيونُ إلى رسولِ
فكم في مصر أجسام مراض
بأرواح كأشباح الطلولِ
فيا أسفا إذا تركت فظلت
فرائس للدعيّ وللدخيلِ
عليٌّ لقد ملكت عصاة موسى
فقمْ واضرب بها أفعى الخمولِ
أقول لأعين الطب الحيارى
وقعت من الفخار على سليلِ
أبا حسن سلمت على الليالي
وعش متعت بالعمر الطويلِ

المرحوم انطون الجميل

رئيس تحرير الأهرام[1]

كيف أنسى زمناً كنت بهِ
من أخ أغلى وأسمى من أبِ
ضقت ذرعاً بزماني وكذا
ضاقت الأيامُ والآلامُ بي
راشحاً في لجة طاغية
غادياً في عاصف مضطربِ
قد تغشاني ظلامٌ لا أرى
فيه مغداي ولا منقلبِ
صامداً للظلم والظلمُ له
معولٌ يهدمني عن كثبِ
وأنا أدفعُهُ عن منكبي
بيدي حتى تهاوى منكبي
وتماسكتُ فلم يبقَ سوى
كبرياء هي درعٌ للأبي
هتفتْ بي النفسُ فلنمضِ إلى
ذلك الوردِ الكريمِ الطيبِ
إن «أنطون» وما أعظمه
طاهرُ القلب نبيلُ المشربِ
كأس ودٌّ لم ترنق أبداً
وصفت كالذهب المنسكبِ
وندامـاه على طول المدى
رفقة حفّوا به كالحببِ

* * *

(١) ألقيت في حفلة تكريم في منزل صديقه الأديب الوزير ابراهيم دسوقي أباظه.

مكتب لا بل بساط عامر
بالمعالي يا له من مكتب
مكتب قد صيغ من عالي
المساعي ونبيل الدأبِ (؟!)
مكتب يُزهى بحُر ماجد
ثابت الرأي سني المأربِ
صائد الدر تراه غارقاً
في صحيفٍ غائصاً في كتب
مصغياً في حكمة، أو مطرقاً
في وقارٍ، سامعاً في أدب
فإذا أدلى برأي تلقه
راح يدلي بالعجيبِ المطربِ
مستفيضاً ببيان جامعٍ
سحر «هوجو» وجلال العربِ
ذاك «أنطون» وما أروعه
صفحة لا تنتهي من عجبِ
قطرات حسبت من عرقٍ
وهي لو حققتَها من ذهب
أسعد الأيام يوم ضمني
بك في دار كأفق الشهب
كُرِّمت من شرف وارتفعت
بالعلا، وازّينت بالحببِ
لدسوقي وما أنسى له
إنه مثلك في الفضل أبي
كيف أنسى فضله وهو الذي
ذاد عني عاديات الحقبِ
أنتما للمجدِ ذخرا فابقيا
للمعالي، واسلما للأدبِ

عبد الحميد عبد الحق

في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

أنت فـوق التكريم فـوق الثناءِ
جلَّ ما قـد أسديت عن إطراءِ
يـا عـظيم الشؤون جلَّتْ شؤون
أنت منهـا في الـذروة الشمـاءِ
يـا عـظيم الأوقـاف جلتْ أمورٌ
عـرّفتنـا مـواقـفَ العـظمـاءِ
لم نكرمك للوزارة والمنـ ـصبوالمجد والسن والرواءِ
نحن قوم نهيم بالرجل الكا مل يمضي للأمرِ دون التواءِ
الرحيب الصدر، القوي على الخطـ
ـب، السريع الهدم، السريع البناءِ
قد رأيناك كالمنار المعلى مثلاً للقوي في الأقـوياءِ
ورأيناك في الرجال فريداً فاقتفينا خطاك أي اقتفاءِ
وحبيناك ما بنـا من نفاق لا ولا في قلوبنا من رياءِ

* * *

أيْ وربي لأنتَ من صور الما ضي ومجد الجدود والآباءِ
وجلال الصعيد والملك في الوا دي عزيز البنود ضافي اللواءِ
قد ينام التراثُ جيلاً فجيلا غافياً في مجاهلٍ خرساءِ
وتنامُ الروحُ العريقةُ في المجـ ـدِ لتبدو في طلعةٍ سمراءِ
فتراها مصرية السمت والقو ة والعزم والحجى والمضاءِ
قسـمـاً قـد غـفـا الـجـلال لـيـصـحـو
من جـديـد في وجهـكَ الـوضـاءِ
أيها الكوكب الدؤوب على الدهر
بـلا فـتـرة ولا إبـطـاءِ
تصنعُ الخيرَ واضحـاً شبه نجم
سـاكـب نـورَه بعـرض الـفضـاءِ

وتؤديه خافياً مثل نجم
مستتر خافٍ خلال السماءِ
غير أن النفوسَ تعلم مسرا ه وان كان ممعناً في الخفاءِ
وعظيم الفعال يجمل بالافـ صاح عنه كالسيف غب الجلاءِ
ما جمال الربيع في الروض ان لم
يشدُ طير في الروضةِ الغناءِ
ما جمال السماء والبدر ان لم
يشدُ سارٌ في الليلة القمراءِ؟
واضياع النبوغ في مصر ان لم
تتحدثْ منابرُ الخطباءِ
واضياع النبوغ في مصر ان لم
يَكُ تخليده على الشعراءِ
طاقة الشعر طاقة الورد معنى
جلَّ قصداً وقلَّ في الاهداءِ
لست تجزى به أقل الجزاء
فتقبله آية لمن وفاءِ

* * *

كيف ننساك والعفاة على با بك حشد يموجُ بالبأساءِ
الشريدُ الطريدُ والعاملُ المر هقُ يشقى من صبحه للمساءِ
وبيوت هي العريقة في الأمـ جاد صارت عريقة في الشقاءِ
لم تطق أن ترى دموعَ اليتامى تترامى على أكفِّ السخاءِ
والأيامى كالكأس بعد الندامى
ذكرت حظها من الصهباءِ
وقف الدهرُ دونَهم: كل باب
طرقوا صم عن ذليل النداءِ
غير باب من المروءات سمح
لك، ما ردَّ مرةً عن نداءِ
انظرِ الحفلَ، داوياً بالدعاءِ
وانظر البحرَ زاخراً بالنداءِ

أنت ورد النبوغ جادت به الدنـ
ـيا لقوم إلى المعالي ظماءِ
كلما اطلعت لهم عبقرياً
جعلوا منه معقداً للرجاءِ
حمدوا فيك يوم سهم واطمـ
ـأنوا مشرئبين للغد المتراثي
كيف ننساك في المحاماة حراً
طاهراً ذيله عفيف الرداءِ
وقف المجلس المحير يوما
مرهف المسمعين بالاصغاءِ
إذ يرى فيك نائباً وخطيباً
دامغاً بالحقيقة البيضاءِ
مفعماً مقحماً قوياً جريئاً
ماحقاً للخصوم والأعداءِ

- ٢ -

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

قـل لـوزيـر الحق وهـو الـذي
قـد استقـامت في حجـاه الأمـورْ
خـذ مـن مـقـالـي ذمـةً انـنـي
عنهم إلى سـاح المعـالي سفيـرْ
يـا جاعـل الأوقـاف في عهـده
مـدينـة والقـفـر فيـهـا قصـورْ
ونـابشـاً فيـهـا الكنـوز التـي
مـرت عليها بـالعفـاءِ العصـورْ
نبـشـتَ فـيـهـا عـبـقـريـاتـهـا
منقبـا عن كـل قـدر خـطيـرْ
فكـل مـا قيـل ومـا لـم يقـلْ
عن فضلك الجم الغفيرِ الـوفيـرْ
ممـا جـرى في شفـةٍ عـاجـزاً
ومـا تـوارى في حنايا الصـدورْ
من حق عبـد الحق في عـدلـه
لـه ـ وان يـأبى ـ إليـه المصيرْ
تـحـيـة لـلأصـل مـردودة
وبـاقـة قـد قـدمـت لـلوزيـرْ
سبحـان ربي قـد رأينـا الـدجى
يجلوه في عهـدك صبـحٌ منيـرْ
مـاشيت هـذا العصـر في سيره
والعصـر يعلو بجنـاح النسـورْ
مـا زلت بـالأوقـاف حتى رأت
محـطم القيـد وفـادي الأسيـرْ

كم عيروها بسلحفاتها
فلينظروها بجناحٍ تطيرْ
يا نابشاً فيها كنوز الحجى
من كل وهاجٍ قليل النظيرْ . .
من ذهب الدار وآياتها
فتى كبير القلب صافي الضميرْ
له معاني البحر في هدأة
وفيه روح كانسياب الغديرْ
خذ من سجاياه ومن علمه
ما يهب الورد وتطويْ البحورْ.

ـ ٣ ـ

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

عش مديداً وجددِ | واعل والمع كفرقدِ
لو رأى الحق عبده | وهو بالحق يهتدي
وعلى الحق رائحاً | وعلى الحق يغتدي
بسط التاج باليد | قائلاً قم تقلدِ
قم تقلدِ | يا أميري وسيدي
وبإيمان ركع | وتسابيح سجدِ
بايع الحق عبده | والبرايا بمشهدِ

* * *

انظر الساح داويا | بالنداء المرددِ
انظر البحر زاخراً | بالشباب المجندِ
حمدوا فيك يومهم | مشرئبين للغدِ
عش مديداً لتبتني | كل صرح ممردِ

فلك الـرأي قـاطعـاً مـا بـه مـن تـرددِ
يهدأ السيف في القراب ويـشـوى بـمـرقـدِ
ولـك السيف ساهـراً يـقـظاً غيـر مـغـمـد

* * *

خـذ بيـانـا نـظمتـه شـبـه عقـد منضـد
مـا بـه مـن تـزلـف جـل شعري ومقصدي
خـالـدٌ أنت بـالعلى والـفـعـال الـمـسـدد
فتقبـل على الـمـدى كـل شـعـر مخـلـد

الشاعر عزيز اباظة

في حفلة تكريمه بمنزل الوزير
الأديب دسوقي أباظة

غيثٌ على القفـر حيّـانـا وأحيـانـا
يا شاعر الجيل كان الجيل ظمـآنا
كنـا نعيش من الـدنيـا على عِدةٍ
نبني من الأمـل المـوعـودِ دنيـانـا
فـالآن قد حققتْ مـا كان منتـظراً
منهـا وإن لمعت بالـوعـد أحيـانـا
جـاءت بأروع من هـز البيانْ ومن
أعـاد مجد القـوافي مثل مـا كانـا
ريحـانةُ النيـل هزت نفسّهـا طرِبـاً
وقـدمت لأميـر الشعـر ريحـانـا
مـاذا نقول ونبـدي بعـدمـا سبقت
لـك الشهادة من تكـريم مـولانـا
أقمت من عبقـري الشعر بـرهـانـا
وقبلهـا كنت لـلأخـلاق عنـوانـا

بـآيتـين: وفـاء لـلتـي ذهـبـتْ
وأنت مَنْ حفظ الذكرى ومن صانا
ان التي نصرت عيشاً نعمت بـه
وصيـرت بيتـك المعمـور بستـانـا
لو لحظة نحو ذياك الضـريح رنت
عيناك، تلق الهوى لم يختلف شانا:
وآيـة من وفـاء لـلألى سحبت
عليهم حـادثـات الـدهـر نسيـانـا
عهد الرشيد وعهد المجد في زمن
بـه تـوطـد ملك العـرب سلطانـا
وعهـد بغـداد حيث العيش مؤتلقٌ
يهفـو خمـائـل أو يهتـز أفنـانـا
جـلوتـه وهـو فتـاك بـجـعـفـره
والسيف يقطر بغضاءً وعـدوانا
يا للطلاء الذي يكسو النفوس لكم
كسى النفـوس من التزييف ألـوانا
تلك الـطبيعـة لا شيء يغيـرهـا
ينـام فيهـا خيـال الفتـك وسنـانـا
الحـرص يـوقـظه والمجـد يـوقـظه
والويل ان وثب الـوسنان يقظانا.

* * *

جوزيت عن لغة الفصحى وأمتها
عمـراً مديـداً وتكـريمـاً وإحسـانـا

أغنية

أنتِ

أنتِ إن تؤمني بحبي كفاني
لا غرامي ولا جمالكِ فاني
أجدب الهجرُ خاطري وخيالي
وأجف النوى دمي ولساني
فتعاليْ روّي الظما في عيوني
أجنوني لقطرة من حناني
طال والله في تنائيك ذلي
ووقوفي على ديار الهواني
أي روح أحسه أي سر
في جناحيك كلما ظللاني
أي روح أحسه أي سحر
سكبت فيّ هاته العينان
لكأن الرميمَ ما تبعثان   وكأن النشورَ ما تسكبانِ
وكأني محلقٌ في سماءٍ   ومطلٌّ منها على الأكوانِ
مستعز بما منحت قويٌّ   أجمع الكونَ كلَّه في عناني

الابراهيميات

«لصاحب المعالي دسوقي أباظه فضل على الأدب والأدباء،
فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع،
هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في
الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج
في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل».

- ١ -

في حفلة تكريمه في دار الأوبرا..

منىً نلتها كانت لأنفسنا منى
تلفت تجد مصرا بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى
وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكن قلب الحرِّ تعروه نشوةٌ
فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدرُ المنيرُ مكانه
تملك آفاق السما وتمكنا
إذا الملك المحبوب قدر سيداً
وعن رأيه في الفضل والنبل أعلنا
فعن ثقة ممن يحب ويجتبي
وإيمانُ قلب بات بالحق مؤمنا
سلاماً مليك النيل أنت ربيعه
وانك مغنيه وفي ذاتك الغنى
فذلك تكريم الربيع لروضة
جلاها الاباطيون وارفة الجنى
أجل! روضة صارت لكل عظيمة
وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجد والعلى
إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي اذا راح سيد
غدا آخر نحو اللواء فما ونى

* * *

عصي القوافي سار نحوك مسرعاً
ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا

وأنت الـذي فـك القيـود جميعهـا
عن الشعـر تـأبى أن يهـان فيسجنـا
اذا المعدن الصافي دعـا الشعر مـرة
بـذلنا لـه من أجـود الشعـر معـدنـا

* * *

دســوقي إذا أقللت فــاقبــل تحيتي
فمـا أنـا شــاديهم ولا خيـرهم أنسـا
ولـكـنـني صــوت الـمحـبين كـلهـم
ومن روضـك الغالي وبستـانهم جنى
فـراشٌ على مصبـاح مجـدك حـائم
وأي فـراش من جـلالـك مـا دنــا
واني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فـدعني اقم عمـا يكنّـون معلنـا

في جامعة أدباء العروبة

- ٢ -

يـا ربـيـعــاً جـمــل الله بـه
روضـة الـدنيـا ووقـاهـا الخـريفْ
وشـعـاعــاً مــده الله عــلـى
هــذه الأمــة مــن مـدن وريـفْ
أيـهـا الـنـعـمـة لا حـدّ لـهـا
نحن من نعمـاك في ظـل وريفْ
يـا شـريف النفس والقـلب لنـا
فيك صافي القول والشعر الشريفْ
يـا أبـا الـرقـة لا تـعـدلـهـا
رقـة الـوالـد ذي القلب العـطوفْ

رقة تنزل من عليائها
كشعاع البدرِ بالضوء اللطيفْ
يتمنى الشعرُ فيه غايةً
وهو عنها عاجزُ الباع ضعيفْ
كلما حاولها أعجزه
قصر الطرف عن الصرح المنيفْ
أيها المصباح صرنا حوله
كفراش حام بالنور يطوفْ
أيها الأيك غدونا حوله
نسماً في الأيك موصول الحفيفْ
أنا من غناك عنهم فاستمع
من أغاريدِ الربى نجوى الأليفْ

في ندوة الوزير
الأديب ابراهيم دسوقي أباظه

ـ ٣ ـ

وزير الطيب الحر الجليلا   تقبّله هوى حراً نبيلا
يقيم على الحوادث لا يبالي   ويأبى في العوادي أن يميلا
ولا يدري الزمانُ له اختلافا   ولا يدري الرياء له سبيلا
على الأدب الرفيع ووارديه   بسطت الخير والظل الظليلا
وما للقائلين عليك فضل
فقد جئنا نرد لك الجميلا
قطفت لك القوافي طوق شعري
فعذراً ان قطفت لك القليلا
وددت بأن أطيل لك القوافي
فيمنعني حياؤك أن أطيلا

وزيري الطيب الحر الجليلا وقفت عن الرفاق هنا رسولا
أعيد لك الذي يطوي فؤادي وفخراً أن أعيد وأن أقولا
أقول لجاهلٍ معنى المعالي إلامَ يظل جاهلكم جهولا
دسوقي لا الوزارة قربتنا
ولا قامت على صلة دليلا
عشقنا فيك أخلاقاً وفضلاً
تقبله هوى حرا نبيلا

تعزية لمعاليه
في بعض السراة الأباظيين

- ٤ -

ان السراة الأباظيين قد عظموا
عن طوق ندٍّ وعن تحليق اضداد
تخطف القدر الجاري أحاسنهم
بصير في المنايا أو بنقاد
كم صحت والعين تذري الدمع في أسف
على الجواهر في كف الردى العادي
الا رقى للأباظيين تحفظهم
على الحوادث من أنظار حساد!

في منزل الشاعر
وقد تكرم الوزير بزيارته

- ٥ -

بأي لفظ يفيك شعري
شرفت قدري وزنت داري
أما كفى برُّك المواسي
فزدتني روعة المزار
أقسمت بالشمس في ضحاها
أقسمت بالبدر بالدراري
بفضلك الماحق الدياجي
كأنه واضح النهارِ
فيك من البحر كل معنى
فمن سمو إلى وقارِ
وأنت صدرُ العباب رحباً
وبسمةُ الشط والمنارِ
كأن هذا الجميل يترى
من طيب غادٍ ولطف سارى
موج من البر ذو اتصال
بلا هدوء ولا قرارِ
غمرتني بالجميل حتى
لجت قوافيَّ في العثارِ
انقذني البحر غير أني
غريق فضل بلا قرارِ
كنت ندى في رياض عيشي
وكنت غيثاً على القفارِ
لقيت ضنكا من الليالي
فمن غمارٍ إلى غمارِ

قد طال عتبي على الليالي
وطال للراحم انتظاري
صفحتُ عن كل ما أساءتْ
حق لها الليلة اعتذاري

في حفلة الربيع
التي أقامتها جامعة أدباء العروبة

- ٦ -

أمير الفضل فضلك بيت شعر
عُلاك نسجنَّ معناه الرفيعا
إذا كان الضياءُ نسيجَ فنٍّ
سناه يملأ الكونَ الوسيعا
فحولك حيثما تمشي وتسعى
قصيدٌ عامرٌ غمر الربوعا
تكلم حيثما تمضي مبيناً
وما عرف البيانُ ولا البديعا
حبيت سناك اتبعه بشعري
وفخراً أن أكون له تبيعا
مدحتك جهد مقدرة القوافي
فضقت بها مقصّرة جميعا
أتعصاني مغردة بنفسي
معودة هنالك أن تطيعا!
أقول لها وقد كلت قصورا
رويدكِ، واهدئي لن تستطيعا
يراك الناس حيث ترى عظيماً
كريماً في تسامحه وديعا

وأنــت الــنــهــر دفــاقــاً قــويــاً
اذا مــا هَــمَّ لم يــملكْ رجــوعــا
يفيضُ على الـربوعِ جـلال نعمي
ويغشى من حـوائـلهـا المـنيعـا

مظلمة

- ٧ -

أنا لا أظل، وكل شيـ ـئ مستمد من جلالك
في قـائم محلولـك سدّت علي به المسالكْ
ان لم تضعني في سنا ك حمدت حظي في ظلالكْ
ان لم تضعني في يميـ ـنك فالتفت لي في شمالكْ
الرأي رأيك ليس في ا لأوقاف شيء غير ذلك
يا أحكم الحكماء لا يفـ ـتى وفي الأوقاف مالكْ

شكر واعتذار

- ٨ -

أبـي ! أخـي! كـعـبـة آمـالـنـا
أكـرمـتـنـي أكـرمـك الـلَّهُ
اعجب مـا في الشكـر أني أمـرؤ
بـبـيـانـه عـنـدك يـعـصـاهُ
يـا مـن يـرى الـقـلبَ وشـكـواه
ويـعـلـم الـشـعـر ونـجـواهُ
كـم شـاعـر مـنـطقـه خـانـه
فـاغـرورقت بـالـشـعـر عـيـنـاهُ -

ما أكرم الخلق وأسماه
وأعذب الطبع وأصفاهُ
انك فردٌ دون ثانٍ ولن
يرى لهذا النبل أشباهُ
عفوك عن حال فتى متعب
بات على الأشواك جنباهُ
طال به الليل على حيرة
وامتد كالموجة يغشاهُ
يسائل الليل على طوله
عن ذلك الليل وعقباهُ
والنور أين النور؟ هل غاله
ماحٍ محا الفجرَ وأخفاهُ؟
قد كدت لولا ثقة لا تهي
وخشية الله وتقواهُ
أقول جف البر لا ديمة
تهمي ولا المزنة ترعاهُ
حتى رأيت الخير في طلعة
تحمل لي الخير وبشراهُ
في لمعة تومض في فرقد
في فلك أنت محياهُ
حمدت ربي وعرفت الرضى
يا رحمة الله ونعماهُ

بطل الأبطال

الشهيد عبد الحكيم الجراحي

بطل الأبطال من أرض الهرمْ
لبس الغار وجلّى وغنمْ
كيف تذرون عليه دمعكم
وهو وضاحُ المحيا يبتسمْ
كيف يبكي منكم الباكي على
عَلَمٍ لف شهيداً في عَلَمْ
يا شباب النيل فتيان الحمى
وحماة الدار أشبال الأجمْ
زعموكم أمة هازلة
كذب الزاعمُ فيما قد زعمْ
تتحداهم على طول المدى
ثورة نكراء شبت تلتهمْ
ومقال الدهر عنا في غد
وحديث المجد عن عبد الحكمْ
كم أغر في بواكير الصبا
ناضر يسحب أذيال النعمْ
طبعه الجود فلما هتفت
مصر تدعوه تناهى في الكرمْ
قدم الروحَ اليها ومشى
ثابت الخطوةِ جبارَ القدمْ
كلفتهُ اليقظةُ الكبرى بها
همة ترعى وعيناً لم تنمْ
جشمته خطة دامية
وعرة المسالك حفت بالألمْ

يجد الموتُ بها لذته

ويرى العار إذا المرء سلِمْ

* * *

يا لهذي الجنة الفيحاء كم

فتحت قبراً لباغٍ قد ظلم

يصبح الصبحُ على هذي الربى

فإذا الورد ضحوك في الأكمْ

فإذا أمسى المساء انقلبت

فوهة شعواء ترمي بالحممْ

لست تدري إذ تراها ظمئت

فروى الأحرار واديها بدمْ..

ذاك لون الورد أم لون الردى

الجائم أم لون الحميم المضطرم!

يا شباب النيل فتيان الحمى

وحماة الدار أشبال الأجم

حطموا القيد الذي حطمكم

واجعلوا أمتكم فوق الأمم

وإذا استشهد منكم بطل

جاده الغيث وحيته الديم

ولقد أدى لمصر دينه

ذلك الفادي، ووفى بالقسم..

- ٢ -

أجلْ إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا
فمصر هي المحرابُ والجنةُ الكبرى
حلفنا نولي وجهنا شطر حبُها
وننفدُ فيه الصبرَ والجهدَ والعمرا
نبثُّ بها روحَ الحياةِ قويةً
ونقتل فيها الضنكَ والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا
ونخلق فيها الفكرَ والعمل الحرا
أجل إن ماءَ النيلِ قد مرَّ طعمُه
تناوشه الفتاكُ لم يدعو شبرا
فدالت به الدنيا وريعت حمائم
مغردةُ تستقبل الخيرَ والبشرى
وحامت على الأفق الحزين كواسرٌ
إذا ظفرت لا ترحم الحسنَ والزهرا
تحط كما حط العقابُ من الذرى
وتلتهم الأفنانَ والزغبَ والوكرا
فهلا وقفتم دونها تمنحونها
أكفاً كماء المزنِ تمطرها خيرا
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ
على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرا
تعالوا نشيّدْ مصنعاً رب مصنعٍ
يدر على صُناعنا المغنمَ الوفرا
تعالوا نشيّدْ ملجأ، رب ملجأ
يضم حطامَ البؤسِ والأوجهَ الصفرا

تعالوا لنمحو الجهلَ والعللَ التي
أحاطتْ بنا كالسيل تغمرُنا غمرا
تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمةٌ
فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلْ للصعب أهلا فإننا
شبابٌ ألفنا الصعبَ والمطلبَ الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فإننا
بكرنا بكورَ الطيرِ نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومةَ المجدِ كلنا
ومن يقتدي للنصر ينتزعُ النصرا

حب على الصحراء

أحبكَ ما حييتُ وأنتَ حسبي
فجربْ أنت قلباً بعد قلبي
ويا أسفاً على صحراءِ عمري
جفاها بعدك المطرُ الملبي
نهاري في لوافحِها سرابٌ
وليلي من أباطيلٍ وكذبِ
وفي أذنيَّ من شفتيكَ عتبٌ
إذا أنبذ ساعةً اضجعتُ جنبي
وتلك قوافلُ الأيامِ تترى
تمر علي سرباً بعد سربِ
عوابسُ لا يطل سناك منها
ولم ألمحْ مطالعَه بركب
فإن غفلتْ عيونُ الحظِّ عنا
وصرت - ولم أكن أدري - بقربي
تبينّي فتلك خيامُ حبي
واني موقدٌ لك نار قلبي

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثاً عن واحة أو ظلّ أو ماء.

تعـالَ سـلِ القبيلةَ والجمـالا
لأيـةِ غـايـةٍ شـدوا الـرحـالا
وكيف تبـدلـوا أرضـاً بـأرضٍ
وكيف تـغيـروا حـالا وحـالا..
تـطلعتِ الـعيـونُ لـعـل مـاءً
يتـاحُ على الهـواجـرِ أو ظـلالا
ومـدّ الشيـخُ في الصحـراء لحظاً
كلحظ الصقـر في الآفـاق جـالا
كـأن بـنيـه سـقمـا أو هـزالا
خـيـال جـر هـيكـلهُ خـيـالا
أقـافـلة الـحـيـاة أريـتـنيـهـا
فـلم تـرَ مثلهـا عيـني مثـالا
أجل هي نحن في الدنيا حيارى
ومـا نـدري لـقـافـلةٍ مـآلا
رأيتُ حيـاتنـا كم من غـريـب
عـلى جنبيـه بـالإعيـاء مـالا
وكـم من سـائـلٍ لـم يلقَ ردا
وقـد سـأل الهـواجـرَ والـرمـالا
فـإن تجب القفـار عليـه يـومـاً
تـردّ لـه سـوافيهـا الـسؤالا

* * *

أقـافـلة الـحـيـاة أريـتـنيـهـا
خـيـالا أو ضـلالا، أو مـحـالا

عاصفة

صورةٌ للبحر أم صورةُ نفسٍ
عندما النفس من اليأس تثورُ
قد علا الموجُ وقد عز التأسي
لم يعدْ إلا عبابٌ وصخورُ
زلزل البحرُ على راكبه
مثلما زلزل قلبٌ ضجرُ
سفر صار على طالبه
ركبٌ ضنك، والمنايا سفرُ..

* * *

غرّب الحظُّ كما مال الشراعْ
هكذا الأعمار في الدنيا تميلْ
وسرتْ في الجو أشباحُ الوداع
وتنادى كل شيء بالرحيلْ

* * *

أإذا اشتد على القلب البلاء
أإذا جار عبابٌ وتناهى
تعصف الأمواجُ عصفاً بالرجاء
كيف ننسى أن للكون إلهاً...

عينان

طوى السنين وشق الغيبَ والظلما
بـرقٌ تـألقَ في عينيـك وابتسـما
يا ساري البرق من نجمين يومضُ لي
مـاذا تخبىءُ لي الأقـدارُ خلفهمـا
أجئتَ بي عتبات الخلدِ أم شركـا
نصبتَ لي من خداع الوهم أم حلما؟
كـأنني نـاظـرٌ بحـراً وعـاصفـةً
وزورقـاً بالغـد المجهـولِ مـرتطما
حملتني لسمـاءٍ قـد سـريت لهـا
بالروحِ والفكرِ لم أنقل لها قدما
شفَّت سديمـاً ورَقَّت في غـلائلَها
فكـدت أبصر فيهـا اللوحَ والقلما
رأيت قلبين خط الغيبُ حبهمـا
وكـاتبا ببيـان النـورِ قـد رسمـا
وسحـر عينيـكِ إني مقسم بهمـا
لا تسألي القلبَ عن إخلاصه قسما
واهاً لعينيكِ كالنبعِ الجميـل صفا
وسال مؤتلقُ الأمـواجِ منسجمـا
ما أنتما؟ أنتمـا كأسٌ وان عـذُبت
فيهـا الحمـامُ ولا عـذر لمن سلما
لمُـا رمى الحبُّ قلبينا إلى القـدرِ
لـه المشيئةُ لم نَسـألْ لمن ولمـا
في لحظةٍ تجمعُ الآباد حاضرها
ومـا يجيء ومـا قـد مر منصـرمـا
قد أودعتْ في فؤاد اثنين كل هوىً
في الأرضِ سارتْ به أخبارُها قدما

كلاهما ناظرٌ في عين صاحبِهِ
موجا من الحب والأشواقِ ملتطما
وساحة بتعلّات الهوى احتربت
فيها صراعٌ وفيها للعناق ظما
يا للغديرين في عينيك إذ لمعا
بالشوق يومضُ خلفَ الماءِ مضطرما
وللنقيضين في كأسين قد جمعا
فالراويان هما والظامئان هما
بأي قوسٍ وسهم صائب ويدٍ
هواك يا أيها الطاغي الجميل رمى
يرمي البريء في آن وأعجبه
ان الذي في يديه البرءُ ما علما
وكيف يبرئني من لست أسأله
برءاً وأوثر فيه السهدَ والسقما
لو أن للموت أسبابا تقربني
إلى رضاك لهان الموتُ مقتحما
إن الليالي التي في العمر منك خلتْ
مرت يبابا وكانت كلها عقما
تلفتَ القلبُ مكروبا لها حسرا
وعض من أسف ابهامَه ندما

ايمان

قدرٌ أراد شقاءنا
لا أنت شئت ولا أنا
عزَّ التلاقي والحظوظُ
السودُ حالت بيننا
قد كدت أكفر بالهوى
لو لم أكن بكِ مؤمنا!!!.

اليها

أيهـا المـاضـي الـذي أودعتـه
حفـرةً قـد خيم المـوتُ بـهـا
أيهـا الـشعـر الـذي كـفـنـتـهُ
مقسمـا لا قلتُ شعـرا بعـدهـا
أيهـا الـقـلب الـذي مـزقتُـه
صـارخـا: عهـدك يـا قلب انتهى
قسمـا مـا مـات منكم أحـد
انـهـا رقـدةُ يـأسٍ إنـهـا
آه لـو قـام رسـولٌ ضـارعٌ
او شفيـعٌ منكـمُ ويمضي لـهـا
آه مـن يـخـبـرهـا عن طـائـر
نـسـي الأوكـارَ إلا وكـرهـا!

بعد الحب

أرى سمـائي انحـدرتْ وانـطوتْ
لا تحسبي النجـمَ هـوى وحـدهُ
فيـا نجـوم الـليـل لا نجـم لي
ولا أرى لـي افـقـاً بـعـدهُ

أنوار المدينة

ضحكتْ لعينيَّ المصابيحُ التي
تعلو رؤوسَ الليلِ كالتيجان
ورأيتُ أنوارَ المدينةِ بعدما
طال المسيرُ وكلَّتِ القدمان
وحسبتُ ان طاب القرار لمتعب
في ظل تحنانٍ وركن أمان
فإذا المدينة كالضباب تبخرتْ
وتكشفتْ لي عن كذوبِ أماني
قدرٌ جرى لم يجرِ في الحسبانِ
لا أنتِ ظالمة ولا أنا جاني

خمر الرضا

يا حبيبي اسقني الأمانيَ واشربْ
بوركتْ خمرةُ الرضا وهي تسكبْ
بورك الكأسُ والحبابُ الذي ير
قصُ في الكأس والشعاعِ المذهبْ
نضبت رحمةُ الوجودِ جميعاً
وبكَ الرحمة التي ليس تنضبْ
وإذا ضاقت السماءُ بشجوي
فالسماءُ التي بعينيكَ أرحبْ
كم تمنيتُ والصدور تجافيـ
ـني وتزورُ والوجوه تقطبْ
كم تمنيت صدرك البر يرتا
حُ على خفقهِ الطريدِ المعذبْ
هات وسّدني الحنان عليه
جسدي متعب وروحي متعب

* * *

في حفلة تكريم
الدكتور ناجي صاحب الديوان

(سان جيمس ١٩٣٤)

يـا صفـوة الأحبـاب والـخـلانِ
عفـواً إذا استعصى عليَّ بيـاني
الشعـرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ
هي فـوق آي الحمدِ والشكـرانِ
وأنـا الـذي قضّى الحياةَ معبـراً
ومـرجعـاً لـخـوالـج الـوجـدانِ
أقف العشية بـالـرفـاق مقصـراً
حيران قد عقـد الجميل لسـاني
يا أيها الشعـر الـذي نـطقت به
روحي وفـاض كما يشـاء جنـاني
يا سلوتي في الدهـر يا قيثارتي
مـا لي أراكِ حبيسـةَ الألـحـانِ..
أين البيـان وأين مـا عـلمتني
أيـام تـنـطلقيـن دون عـنـانِ
نجواك في الزمنِ العصيبِ مخـدرٌ
نـامت عليـه يـواقظُ الأشجـانِ
والنـاسُ تسـأل والهـواجسُ جمـةٌ
طبٌّ وشعـرٌ كـيـف يـتـفـقـان؟
الشعـرُ مرحمـةُ النفـوسِ وسـرُّهُ
هبـةُ السمـاءِ ومنحـةُ الـديـانِ
والـطبُّ مرحمـةُ الجسـومِ ونبعُـه
مـن ذلـك الفيض العلي الشـانِ
ومـن الغمـامِ ومن معينٍ خلقَـهُ
يـجـدان إلـهـامـا ويـسـتـقيـانِ

يـا أيهـا الحب المـطهـر لـلقلو
ب وغـاسـل الأرجـاس والأدرانِ
مـا أعـظم النجـوى الرفيعـة كلمـا
يـشـدو بهـا روحـان يـحـتـرقـانِ
أنفـا منِ الـدنيـا وفي جسـديهمـا
ذلُّ الـسـجيـن وقـسـوةُ الـسـجـانِ
فـتـطلعـا نحـو الـسمـاءِ وحـلقـا
صـعـدا إلـى الآفـاق يـرتـقيـان
وتعـانقـا خلف الغمـامِ واتـرعـا
كـأسيْهمـا من نـشـوةٍ وحـنـانِ
أكتبْ لـوجـه الفن لا تعـدلْ بـهِ
عـرضَ الحياة ولا الحـطام الفـاني
واستلهمِ الأمَّ الـطبيعـةَ وحـدَهـا
كم في الـطبيعة من سـري معـاني
الـشعـرُ مـملكـةٌ وأنت أميـرُهـا
مـا حـاجـة الـشعـراء لـلتيـجـانِ
هـومـيـر أمَّـره الـزمـان بـنفـسـه
وقـضـت لـه الأجيـال بـالـسـلطانِ
اهبطْ على الأزهـار وامسـح جفنَهـا
واسكبْ نـداكَ لـظامىء صـديـانِ
في كـل أيـكٍ نفحـةٌ وبكـلِّ رو
ضٍ طـاقـةٌ من عـاطـر الـريحـانِ

غصن صغير

رأيتِ غصناً صغيراً ... منوراً ونضيرا
أرق ما تشتهي النفـ ... ـسُ منظراً وعبيرا
جذبتُه جذب عنفٍ ... قد كاد يذوي الزهورا
فلم يثنِّ لجذبي ... وكان غصناً صبورا
لكنني لم أدعْهُ ... حتى علا مسرورا
وارتد يضربُ وجهي ... ضرباً عنيفاً مثيرا
وعاد ينشر في الأيـ ... ـك ذا الحديثَ الاخيرا
تضاحك الأيكُ جذلا ... نَ شامتاً مسرورا
ضحكُ الذي بعد صبر ... قد فاز فوزاً أخيرا

دعابات

حفلة عرس
في منزل الوزير الأديب دسوقي أباظه

(الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر
النابغ الأستاذ محمود غنيم).

دعوتَ فلبينا ودارُك كعبةٌ
بها انعقد الإخلاصُ والحبُّ طُوَّفا
خميلتُنا تهفو إليها قلوبُنا
وأي فؤادٍ للخميلةِ ما هفا
بنوك الألى تحنو عليهم تعطفا
وترعاهم براً بهم متلطفا:
إذا خلعوا بعض الوقاء فسعهم
فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا

هنا اطرح الأعباء مثقل كاهل
وخفف من وقريْه من تخففا
فما على الفضل الأباظي طامعا
وأغرق في الجود الأباظي مسرفا
فيا ندوة السمار هل من مسجل
يدوّن إعجاز القرائح منصفا
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا
مع الطبع جل الطبع أن يتكلفا
وفي دمنا يجري به متواصلا
مع النفس الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقل عني الغداة وناشر
مقالة صدق قد أبت أن تحرّفا
حديث غنيم والردنجسوت والذي
جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفا

* * *

بصرت به والصحن بالصحن يلتقي
فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا
تراءى له لحم فلم يدر عنده
تديك من بعد الطوى أم تخرفا
وأوما لي؛ باللحظ يسألني به
أتعرفه أومأت باللحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما
يطير إليه واثبا متلهفا
غنيم! أخونا الديك! قدمت ذا لذا
فهذا لهذا بعد لأي تعرفا
وما هي إلا لحظة وتغازلا
وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فمال على الورك الشهي ممزقا
ومال على الصدر النظيف منظفا

جـزى الله أسنـانـا هنـاك عتيقـة
ظللن على الصحن الأبـاظي عكفـا

* * *

تعيـر نـاجي بـالـردنجـوت جـاءه
معاراً فغـامـرْ واستعـرْ أنت معـطفـا
وأقسم لـو أن الـردنجـوت نلتـه
وجـاد بـه من جـاد كـرهـا وسلّفـا
لـقلّبتـه ظـهـرا لـبـطن محـيـرا
بـه تحسبن الـوجـه من عبط قفـا
رأيتـك والعـدس الأبـاظي قـادم
كمـا انتفض المحموم بشـر بـالشفـا
ونـاهيـك بـالعـدس الأبـاظي منظر
عـظيم كمـا هيـأت للعين متحفـا
عـلى أنـه مـا جـاء حتى رأيتـه
توارى كطيف لاح في الحلم واختفى
فـلله مـن لـفظ بـبـطنـك راسـب
قـريـر ومعنـاه بـرأسـك قـد طفـا

* * *

قِفا نبك أو نضحك على أي حالـة
قفَـا صـاحبي اليـوم من عجب قفـا
كأن صحَاف الدار في عين صاحبي
غـوان كستهن المحـاسن مـطرفـا
أشـار لاحـداهـن إذ بـرزتْ لـه
ونـاجتْه عن بعـد وأبـدت تعـطفـا
«تسـائلني من أنـت وهي عـليمـة»
وهـل بفتى مثلي على حالـه خفـا؟
سـأخبـرهـا من أنت! انـك شـاعـر
قنـوع إذا مـا الخيـر جـاء تفلسفـا

ومن أنت حتى ترفض النعمة التي
اتيحت وتأبى مثلها متقشفا
فتى حاله غلبٌ وآخره الطوى
وخطته عُريٌ ومشروعه الحفا

هجو

في من اسمه عبد الحميد

رجل أرى بالله أم حَشَرَةْ
سبحان من بعبيده حشَرَهْ
يا فخر داروين ومذهبه
وخلاصة النظرية القذرهْ
ارأيت قرداً في الحديقة قد
فلت أنشاه على شجرهْ؟
عبد الحميد اعلم فأنت كذا
ما قال داروين وما ذكرهْ
يا عبقرياً في شناعته
ولدتك أمك وهي معتذرهْ.

هجو شاعر

أيها الحي وما ضر — الورى لو كنت متا
أوَ شعراً! ذاك لا بل — حجر ينحت نبحتا
تلقم الناس وترمي — ـهم به فوقا وتحتا
صحت من يأسي لما — بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل يا سفـ — ـاك! حتى أنت حتى!

الخريف

يا حبيبي غيمة في خاطري
وجفوني وعلى الأفق سحابهْ
غفر اللّهُ لها ما صنعت
كلما شاكيتها تندى كآبهْ
صرخ القفرُ لها منتحباً
وبكى مستعطفاً مما أصابهْ
فأصمَّ الغيثُ عنهُ أذنَهُ
ما على الأيام لو كان أجابهْ

* * *

كثر الهجرُ على القلب فهل
من سلو أو بعاد يرتضيهِ
أنت فجرٌ من جمال وصبا
كل فجرٍ طالع ذكّرنيهِ
كيف جانبتك أبغي سلوةً
ثم ناجيتك في كل شبيهِ
أيها الساكن عيني ودمي
أين في الدنيا مكان لست فيهِ
عندما أزمعَ ركب العمرِ
رحلةً نحوَ المغاني الأخرِ
ظهرت تجلوك كفُّ القدرِ
صورةٌ أروعَ ما في الصورِ
تتراءى في الشباب العطر
نفحةٌ تحمِل طيبَ السحرِ
وقف العمرُ لها معتذراً
وثنى الركبُ عنانَ السفرِ

* * *

عنـدمـا أقفـرتِ الـدنيـا جميعـاً
لحتَ لي تحمـل عمـراً وربيعـا
إن يكن حلمـاً تـولى مسـرعـاً
أجمل الأحلام ما ولى سريعـا
إن يكنْ مـا كـان دَيْنـاً يقتضيْ
خلني أدفعـه عنـك دمـوعـا
قـد شـربنـاه عـزيـزاً غـاليـاً
إن تكن بعتَ فـإني لن أبيعـا

* * *

يـا نـدامى الحب سُمـار الهـوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
ارقسوني أجـرع الـسقـم وبـي
صفـرة الكـأس وأوهـام الحبـاب
كـلمـا تقـبـل أيـام الـمـنـى
تنجلي النعمـاءُ عن ذاك السـراب
وتـرى أيـاميَ الـحيـرى عـلى
عـرسها الضـاحك أحـزان الضباب

* * *

لـم أقيـدك بشيء فـي الـهـوى
أنت من حبي ومن وجدي طليقْ
الـهـوى الخـالص قـيـد وحـده
رب حـر وهـو فـي قيـد وثيقْ
مـزّقت كفيـك أشـواكُ الهـوى
وأنـا ضقت بـأحجـار الـطريقْ
كـم ظـمـيٍ بـظمـيٍ يـرتـوي
وغـريـق مـستـعـين بـغـريـقْ

* * *

يا ليالي العمر ما سر الليالي
البطيئات المملات الطوالِ
مسرعات مبطئات ولها
خفة الموت وأثقال الجبالِ
كاسفات البال عرجاء المنى
عاشرات الحظ شوهاء الظلالِ
عجباً للعمر يمضي مسرعاً
للمنايا بسلحفاة الملال (؟!)

* * *

يا قماري الروض في أيك الهوى
جفّت الروضةُ من بعد النديمْ
حل بالأيك خريفٌ منكرٌ
وظلال قاتماتٌ وغيومْ
ماتت الروضةُ إلا طائفاً
من هوى حي على الذكرى يقومْ
فإذا أنكر ما حل بها
فر يبغي سربَه بين النجومْ
شاهت الدنيا وجوهاً ورؤىً
وتولاها سهومٌ ووجومْ
يا عذارى الحسن في ظل الصبا
كل حسن بعد ليلاي دميمْ
يا نعيم العيش في ظل الرضا
آه لو أعرف ما طعم النعيمْ
أنكر الجنةَ قلبٌ ضجرٌ
أبدي النار موصول الجحيمْ

* * *

طالما موهتُ بالضحك فما
غيّر التمويهُ رأياً لك فيا

كلما تنظر في عيني ترى
سريَ الغافي ومعناي الخفيا
وترى في عمق روحي زهرة
قد سقاها الحزنُ دمعاً أبديا
ويراه الناسُ طللا وترى
أنت دمعاً غائماً في مقلتيا

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغروبْ
ما ترى فيه انهيار العمرِ؟
ما ترى فيه غريقاً ذا شحوبْ
يتلاشى في خضم القدرِ؟
ما تراها اتأدتْ قبل المغيبْ
ورمتْ من عرشها المنحدرِ
لفتةَ الحسرةِ للشط القريبْ
قبل أن تسقط خلف النهرِ...

* * *

يا فؤادي قاتل اللّهُ الضجرْ
وعذابي بين حل وسفرْ
ما ترى قنطرةً من بعدها
راحة ترجى وبال يستقرْ
ذلك الجرح وما أفدحه
ما عليه لو إلى السلوى عبرْ
قد طواه اليوم في بردته
وأتى الليلُ عليه فانفجرْ

* * *

مرّ يومي فارغاً منك ومن
أملِ اللقيا فما أتعسَ يومي
أنت يومي، وغدي أنت، وما
من زمان مرّ بي لم تكُ همي!

آهِ كم أغدو صغيراً، حاجتي
لكَ كالطفل إلى رحمةِ أمٍّ
ولكم أكبر بالحب إلى أن
أغتدي مستشرقاً آفاق نجمِ

* * *

أي سرٌّ فيك إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري
خطرٌ ينسابُ من مفتر ثغر
فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر ينسج من خصلة شعر
زورق يسبحُ في موجةِ عطرِ
في عباب غامض التيار يجري
واصلاً ما بين عينيك وعمري

* * *

ذات ليلٍ والدجى يغمرنا
أترى تذكر إذ جزنا المدينةْ؟
كلما روعت من نار شجٍ
حر ما يصلى تلمست جبينَهْ
بيدٍ شفافة مثل الندى الرطـ
ـب تعيد النار بردا وسكينه
أيها الآسي لناري هذه
ما الذي تصنع بالنار الدفينه؟

* * *

أخيالاً كان هذا كلُّهُ
ذلك الجسر الذي كنا عليه؟
والمصابيح التي في جانبيه
ذلك النيل وما في شاطئيه؟

وشعاع طوفت في مائه
وظلالٌ رسبت في ضفتيه
وحبيب وادع في ساعدي
ووعود نلتها من شفتيه؟

* * *

رب لحن قص في خاطرنا
قصةَ الحادي الذي غنّى سهادَهْ
وكأن الصمت منه واحةً
هيأتْ من عشبها الرطبِ وسادَهْ
ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السعادَهْ
وبه قد رفرف الصمتُ علينا
إنَّ في صمت المحبين عبادَهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن أقبلتْ
من أقاصي السهلِ أصداءٌ بعيدَهْ
تتهادى في عبابٍ ساحر
مرسلٍ للشطِّ أمواجاً مديدَهْ
كم نداء خافت مبتعد
تشتهي أذنُ الهوى أن تستعيدَهْ
عاد منساباً إلى أعماقها
هامساً فيها بأصداءٍ جديدَهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن ها هنا
كل ما فيك من الحسنى يغني
آه كم من وتر نام على
صدر عودٍ نومَ غاف مطمئنِ
وبه شتى لحون من أسى
وحنينٍ وأنينٍ وتمني

رقد العاصفُ فيه وانطوتْ
مهجةُ العودِ على صمتٍ مرنٍ. . .

* * *

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها
أين في الرمضاء ظل من ظلالكْ
ربما تزخر بالحسن وما
في الدمى مهما غلت سر جمالكْ
ربما تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيتُ خيالاً من خيالك

* * *

أنا إن ضاقت بي الدنيا أفيءْ
لشوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا
إنما الدنيا عبابٌ ضمنا
وشطوطٌ من حظوظٍ فرقتنا
ولقد أطفو عليه قلقاً
غارقاً في لحظة قد جمعتْنا.
كلما تترى المعاني أجتلي
خلف معناها لأسرارك معنى

* * *

ما الذي صبك صباً في الفؤادْ
ما الذي إن أقصِه عنيَ عادْ
طاغياً يعصفُ عصفاً بالرشادْ
ظامئاً سيان قربٌ وبعادْ
ساهر العينين موصول السهادْ
ما الذي يجري لهيباً في الرمادْ

مـا الـذي يـخلقنـا من عـدم
ما الذي يجري حياةً في الجمادْ

* * *

كـم حبيب بعـدت صهبـاؤه
وتبـقت نفـحـةٌ مـن حـببِهْ
في نسيـجٍ خـالـدٍ رغم البلى
عبث الـدهرُ ومـا يعبث بِهْ
مـا الـذي في خصلة من شعـره
مـا الـذي في خـطه أو كُتبِهْ
مـا الـذي فـي اثـرٍ خـلَّفـه
مـن أفـانيـن الهـوى أو عـجبِهْ

* * *

مـا الـذي فـي مجلس يـألفـه
عـقـد الـحبُّ عليـه مـوعـدَهْ
ربمـا يبكـي أسـى كـرسيُّـهُ
إن نـأى عنـه وتبكي المـائـدَهْ
ربمـا نحـسبـهـا هشـتْ إذا
عـائـدٌ هش لـهـا أو عـائـدَهْ
ربمـا نحـسبـهـا تـسـألـنـا
حيـن نمضي أفـراق لـعـدَهْ؟

* * *

كم أعـدت لك ستـراً في الخفاء
وتـوارت عـن عـيـون الـرقبـاء
كـم أعـدت نفسهـا وانتـظرت
واستوت موحشة تحت السماء؟
وهي لـو تملك كفـا صـافـحت
كـفَّـك الحـلوةَ في كـل مسـاء

وهي لـو تمـلك جـوداً بـذلت
كـل مـا تملك كفٌ من سخـاء

* * *

رب كـرم مـده الـليـل لـنـا
فتـواثبنـا لـه نبغي اقـتـطافَـهْ
وعـلى خـيـمـتـه اسـوده
عـربي الجـود شـرقي الضيـافَـهْ
وجـد الـعـرس على بـهـجـتـه
وسـنـاه دون ورد فـأضـافَـهْ
ثـم وارت يـدَه جـنـيـةٌ
وطـوتـه بـأسـاطيـر الخـرافَـهْ. . .

* * *

أرج يـعـبـق فـي أنـحـائـه
حملتـه نحـو عـرشـنا الـريـاحْ
كـل عـطر في ثـنـايـاه سـرى
كـان سـرّاً مضمـراً فيـه فبـاحْ
يـا لهـا من حقبـة كـانت على
قِـصَـرٍ فـيـهـا كـآمـاد فـسـاحْ
نـتـمـنى كـلـمـا طـابـتْ لـنـا
أن يـظل الليـل مجهـول الصبـاحْ

* * *

يـا فؤادي العمـر سفـرٌ وانـطوى
وتـبقـتْ صفـحـة قـبـل الـنـوى
مـا الذي يغـريك بـالـدنيـا سوى
ذلـك الـوجـه، وذيـاك الهـوى

* * *

العائد

أجرْ غربتي أيهنا العائدُ
فقد ملّني الداءُ والعائدُ
أجرْ غربتي فبلادي الهموم
وليلٌ بطيء الخطى راكدُ
تقاسمني في نواك الديار
وأنتَ لي الوطن الواحدُ
محياك داري ومنك نهاري
إذا ضمك الصدرُ والساعدُ

* * *

أجرْ شفتي من عذاب الظما
أما أذن اللّهُ أن ترحما!
أتمعن في الهجر حتى ترانا
بكينا دما واحترقنا فما؟
ولي رمقٌ صنتُهُ كي أراك
فاشفِقْ على رمقي ريثما
إذا طلب الحبُّ برهانَهُ
من الموت لبّيتُ كي تعلما..

* * *

ليالِيّ مرت هباء عقيما
فهل تتوالى البواقي سدى؟
أسائل جرحيَ عمن جناهُ
وارنو فاستخبر العودا
فما اطلعوا اليوم بالبشريات
ولا عللوا بالتلاقي غدا...
فلما تنكرَ حتى المحب
تلفت أسألُ عنك العدا

* * *

سلام على غائب عن عيوني
حملت حطامي إلى دارهِ
وقلت لقلبي تمهل بنا
وخبىء شقاءك أو دارهِ
تناسَ الأسى ها هنا أو يقال
حملتَ الظلامَ لأنوارهِ...
أتغدو إلى عتبات النعيم
بلفحِ الجحيم وإعصارهِ!..

الطــائر الجـــريـــح

زازا

أنا وحدي في البيدِ حيرانُ هائمْ
فمتى تذكرُ القفارُ الغمائمْ
رحمةً يا سماء إن فمي جفّ
وحلقي عن الموارِدِ صائمْ
غاض نبع المُنى ولم يبقَ حتى
ومضة الحلم في محاجر نائمْ
أيها الطاعم الكرى ملء جفنيـ
ـك وجفني من الكرى غيرُ طاعمْ
أبكني واستبِد بي واقضِ ما شا
ء لكَ الحسنُ فيَّ واظلِمْ وخاصمْ
غير هذا النوى فإن لياليـ
ـه ظلالٌ من المنايا حوائمْ
تضمحلُّ الحياةُ فيه وتنهدُّ
كأن النهارَ مغولٌ هادمْ
لا تكلْني لذلك الأبد الأسـ
ـود في قاع مُزبدِ اللُّج قاتمْ
لا تكلني لِهُوَّة تعصف الأشـ
ـباحُ في جوفها وتعوي السمائمْ
لا تكلْني إلى جناحِ عُقابٍ
في ضلوعي مخلِّق الرعبِ جاثمْ
لا تكلْني لضائع في حنايا
ها غريب في مهمهٍ من طلاسمْ
يسأل الزهرُ والخمائلُ والأنـ
ـوارُ عن تِربها الضحوك الباسمْ
ذاق ما ذاق في الصبابة إلا
ذبحة الروح وانفصال التوائمْ

إن تَعُــدْ محسنــاً إليّ فعُــد بي
للعهــود الـمقــدســات الـكــرائمْ
وإذا مــا رأيــتَ عــزميَ يـنـهـا
رُ فثبِّتْ بــالـذكــريات الـدعـائمْ
جئتني في الخريف والروضُ عارٍ
فكسوتَ الربى عـذارى البـراعمْ
وأجــال الــربـيــع أخضــرَ كـفّيـ
ـهِ ليمحــو اصفــرارَه الـمتــراكـمْ
رحلة للنجــوم لـم تـسك أوهــا
مــاً وبعضُ النعيمِ أوهـامُ حــالمْ
آه كـم لـيـلة أراجـع أيــا
مي أعُـدُّ العُلى وأُحصي العـظائمْ
وحسبت الخسـران فيها فكـان الـ
ـغبنُ عنــدي زمــانيَ الـمتـقــادمْ
قبــل أن نلتقي فـلمــا تـلاقيـ
ـنـا عـرفت الغنى وذقت المغـانمْ
حيثمــا أغتـدي فــإن الـدراري
مـلءُ روحي وفي خيـالي بــواسمْ
إن أبتْ جــائـعــاً فـشـمّــة زادي
أو أبــتْ معـســراً فثمُّ الـدراهـمْ
وعجيبٌ قد كنت لي حسد الحسا
د فـيهـا وكـنت أنـت الـتـمــائـمْ
بــالذي صنتُ عهــدَه لم أخنْــهُ
ومتى خــانتِ الأكفُّ المعــاصمْ؟
والــذي حكمــه كــأقــدار عينيـ
ـك فما منهمـا ولا منــه عـاصمْ
أيُّ صــوتٍ من الغيــوب ينــاديـ
ـني فـأطوي لـه الـدُّنى والمعـالمْ
قــدر مـشعــلٌ عــلى شـفــةٍ تـد
عو فأخـطو على اللظى غيرَ نـادمْ

وفؤادي يحومُ بالنار لا يحـ
ـفل أني على المنيَّة حائمْ
الهوى مصرعي وكم من حِمامٍ
كان باباً إلى الخلود الدائمْ
وطريقاً من الأسنَّةِ والشو
كِ روتْ أرضَه الدموعُ السواجمْ
شهد اللهُ ما قضيتُ الليالي
ناعمَ الجنب فوق مهدٍ ناعمْ
أيُّ جَيشيك مغرقي ليلي الطا
غي أم الشوق وحدهُ وهو عارم؟
آهِ مِن رُبما ومن أملٍ يُمْـ
ـسِكُ نفسي رجاء يومٍ قادم
قد تجيءُ الأنباءُ من شاطىء النيـ
ـل غداً والمبشراتُ النسائمْ
وتكونُ النجاةُ في القمر السا
ري على زورقٍ من النورِ حالمْ

بقايا حلم

آهِ مــن وجْــدك بــالـهــاجــر آه
تــتـمــنـى أن تــراه؟ لــن تــراه!
خــدعَــتْــنــا مـقـلـتــاهُ خــدعـتْـنــا
وجـنـتــاه خــدعــتـنــا شــفـتــاهْ
والــذي من صـوتــه في مسمعي
وخـيــالـي غــادرٌ حــتـى صــداهْ
حــلـم مــرَّ كــمــا مــر ســواه
وكــذا الأحــلام تمضي والحـيــاهْ

* * *

أيـن يــا لـيــلاي عـهــد الـهــرم
أيـن يــا لـيــلاي حلو الـكـلِم؟
هــامـســات بـيـن أذنـي وفــمــي
ســاريــاتٍ غــرداتٍ فــي دمــي
كــلـمــات عــذبــة مــعــســولــة
ضـيِّـعــت وارحــمــتــا لــلـقــســمِ
ذهـبـت مــثــل ذهــاب الـحــلـم
إنــنـي أعــلـم مــا لــم تــعــلـمـي

* * *

كيف صــدَّقـنـا أضــاليـلَ الـهــوى
بنُهى طـفــلٍ وإحــســاس صـبـي؟
حسبُــنــا مـنــه ســمــاء لــمـعـتْ
فــوق رأسـيـنـا وكــوخ خـشـبـي
حــلـم ولَّــى ووهــم لــم يــدُم
مــا تـبـقَّى غـيــر خـيـط ذهـبـي!

* * *

ذات يوم في أصيل فاتن
ذابت الشمسُ فسالت ذهبا
كست النيلَ نُضاراً وانثنَتْ
تغمر الصحراء نخلاً وربى
ما على الجيزة أن قد أبصرتْ
شفقي معتنقاً فجر الصبا
قد رأتنا مثل طيفَيْ حلمٍ
ما عليها أقبلا أم ذهبا!

* * *

قلتُ هيا! قلتِ نمشي سرْ فما
من طريق طال لا نذرعهُ
قلتُ والعمر بعيني كالكرى
وأنا في حلم أقطعهُ
جمع الدهرُ حبيباً وامقاً
بحبيب وغداً ينزعهُ
أطريقان: طريق دونه
في حياتي وطريق معهُ؟

* * *

كلما خلَّى حبيبي يده
لحظة قلت وحبِّي أبقِها!
أبقها أنفض بها خوف غدٍ
وأحسَّ الأمن منها وبها
أبقها أشددْ بها أزري إذا
ضعُف الأزرُ أو العزمُ وهى
أبقها أومنْ إذا لامستها
أن حبي ليس حلماً وانتهى

في ظلال الصمت

ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السعادهْ
وبه قد رفرف الصمت علينا
إن في صمت الحبيبين عبادهْ
ربّ لحنٍ قص في خاطرنا
قصةَ الساري الذي غنى سهادهْ
وكأنَّ الصمتَ منه واحةٌ
هيَّأتْ من عشبها الرّطبِ وسادهْ

* * *

صمتَ السّهلُ ولكن أقبلتْ
من ثنايا السهل أصداءٌ بعيدهْ
كلُّ لحنٍ في هدوءٍ شاملٍ
تشتهي النفسُ به أن تستعيدَهْ
يتهادى في عُبابٍ ساحرٍ
باعثٍ للشطِّ أمواجاً مديدهْ
فإذا ما ذهب الليلُ بها
تزخرُ النفسُ بأصداءٍ جديدهْ

* * *

هدأ الليلُ هنا لكنني
كنت في حسنك بالصمت أغني
كلُّ لحنٍ لحبٍ يغشى دمي
لعب العازف بالعود المُرنّ
ناقلاً للنّهر والسهلِ معاً
قصةً يشرحُها عنك وعني
قصة الشاعر والحسن إذا اسـ
ـتبقا للخلد في حومة فنّ

* * *

ما الذي في خصلة راقدة
ما الذي في خطّه أو كتبهْ؟
ما الذي في أثرٍ خلّفه
من أفانين الهوى أو عجبه
ما الذي في مجلس يألفه
عقد الحب عليه موعده
ربما يبكي أسىً كرسيُّه
إن نأى عنه وتبكي المائده
ولقد نحسبها هشّت إذا
عائد هشّ لها أو عائده
ولقد نحسبها تسألنا
حين نمضي أفراق لِعدّه؟

* * *

كم أعدّت نفسها وانتظرت
واستوت موحشة تحت السماء
وهي لو تملك كفّاً صافحت
كفَّك الغضّة في كل مساء
رُبَّ كرم مدّه الليل لنا
فتواثبنا له نبغي اقتطافهْ
وعلى خيمته حارسه
عربي الجود شرقي الضيافهْ
وجّد العرس على بهجته
وسناه دونَ وَرْدٍ فأضافهْ
ثم وارته غيابات الدّجى
كخيالٍ من أساطيرِ الخُرافهْ

* * *

أرجٌ يعبقُ في جُنحِ الدّجى
حملته نحو عرْشينا الرياحْ

كـلُّ عـطرٍ في ثنـايـاه سـرى
كـان سِـرّاً مُضمـراً، فيـه فبـاحْ
يـا لهـا من حقبـة كـانت على
قِصَـرٍ فـيـهـا كـآمـاد فـسـاحْ
نـتـمـنى كلمـا امـتـدت بـنـا
أن يـظل الليـل مجهـول الصبـاحْ

* * *

أنـا إن ضـاقت بيَ الـدنيـا أفيءْ
لـشـوانٍ رحـبـةٍ قـد وسِعـتـنـا
إنـمـا الـدنيـا عُـبـابٌ ضمَّنـا
وشـطـوطٌ مـن حـظوظ فـرَّقتـنـا
ولـقـد أطـفـو عـليـه قـلِقـاً
غـارقـاً في لحـظةٍ قـد جمعتنـا
ومـعـاني الـحسـن تـتـرى وأنـا
نـاظـرٌ فيهـا لمعنىً خلف معنى
هـذه الـدنـيـا هـجـيـرٌ كـلُّهـا
أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالـكْ
ربـمـا تـزخـر بـالحسن ومـا
في الدُّمى مهما غلت سحر جمالكْ
ولـقـد تـزخـر بـالـنـور وكـم
من ضيـاء وهو من غيـرك حالـكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لـتمـنيـت خيـالاً مـن خيـالـكْ!

* * *

قـلت لـلّيـل الـذي جـلّلنـا
والـذي كـان على السـرِّ أمينـا
أين يـا قلبيَ مَنْ قـلبي اجـتبى
لهـواه واصـطفـاه لي خـدينـا؟

لم أكن أطمع أن ترحمني
بعد أن قضّيت في الوجد السنينا
لم أكن أطمع أن تُضمِر لي
آسياً يُبرئُ لي الجرح الدفينا
لم أكن أعلم يا ليل الأسى
أن في جنحك لي فجراً جنينا

* * *

أيها اللائذ بالصمت كفى
وأدِر وجهَكَ لي وانظرْ طويلا
لا تمِل واسخرْ من الدنيا إذا
شاءت الأيام يوماً أن تميلا

* * *

ما الذي مكّن في القلب الودادْ
ما الذي صبّك صباً في الفؤادْ؟
ما الذي ملّك عينيك القيادْ
ما الذي يعصف عصفاً بالرشادْ؟
ما الذي إن أقصهِ عنيّ عادْ
طاغياً سِيّان قربٌ أو بعادْ؟
ما الذي يخلقنا من عدم
ما الذي يُجري حياة في الجمادْ؟

* * *

كم حبيب بَعُدت صهباؤه
وتبقت نفحة من حبَبِهْ
في نسيج خالدٍ رغم البلى
عبث الدّهرُ وما يعبث به

* * *

أين سلطاني ومجدي والذي
حبُّه مجدٌ وسلطانٌ وعزّه؟

أين إلهامي ونوري والذي
أيقظ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزِّه؟

* * *

نأى عني

قد نأى عني الذي يرحمني
والذي يفهم آلامي وروحي
والذي أعبد منه غُرةً
كندى الأزهار في الوجه الصبيحِ
والذي أشتَمُّ منه غادياً
عبقَ الأنداءِ في الوادي المسدوحِ
آه يا هند جراحي كثُرَت
فتعاليْ ضمدي أنتِ جروحي!

قصة حب

مرت حياتي دون أمنيةٍ
وتقلّبت مَللا على مللِ
حتى لقيتكِ ذات أمسية
فعرفت فيكِ مطالع الأمل

* * *

طافت بي الأيامُ واحدة
لم تلقني فرحاً ولا جزعا
وتمرّ فارغة وحاشدة
وقد استوت ضِيْقا ومتسعا

* * *

والـعـمـرُ سـارَ كـأنـه الـعـدمُ
سقمي بـه عنـدي كـعـافيتي
فـأذقـني مـا لـم يـذقـه فـمُ
من أي كـأس كنت سـاقيتي؟

* * *

مـا هـذه الـدنيـا التي اقتـربتْ
فيهـا الـمنى والـظلُّ والثمـرُ؟
تـجتـاز وامضـة فـمـذ وثَبَتْ
وثَـبَ الهـوى وتـمهَّـلَ الـقـدرُ!

* * *

قـدمـاك مـا انتقـلا على درج
حاشاك بـل خطرا على ثبـجِ
كـسفينـة خفَّت على الـلجـج
نَشوى بمـا حملت من الفـرَجِ!

* * *

في مـظلم مـتـعـرج كـابِ
والـليـل تـغـزوني جحـافـلهُ
دقَّت يـدُ الـنعمى على بـابي
والـعيش خـابي الـنجم آفـلهُ

* * *

يـا لـلمقـادير الـجسـام ولي
من ظلمهـا صـرخـات مجنـون
بـاكي الـفـؤاد مشـرَّد الأمـل
وقـف الـزمـان وبـابـه دونـي

* * *

مـزّقـتِ ظـلمـة كـل ديـجـورِ
وألنت مـا قـد كـان منه عصَى

وفتحتِ مصراعيه للنور
ما كنتِ إلّا ساحراً وعصا

* * *

ماءٌ ضربتُ الصخر فانبجسا
وجرى الغداةَ زلالهُ العذبُ
أيقول دهري إن ما يبسا
هيهات يرجع عودهُ الرطبُ

* * *

صيّرت دعواه لتفنيدِ
وحطّمته وهزمت حجّتهُ
وأعدتِ ما قد جفّ من عودي
مخضوضراً وأقمت صعدتَهُ!

* * *

يا من رأت طللاً كتمثالِ
يستعرض العمرّ الذي مرّا
وكأنه في رسمِهِ البالي
ندم الأسيف ودمعة حرّى

* * *

ورد ذوى أو طائر صمتا
العمر مثل الظلّ منتقل
الناس لا يدرون من ومتى
والناس إن علموا فقد جهلوا
ما خطبهم في روضة حالت
أو صوّحت أفنانها الخضُل

* * *

نزل الربيع بها فضّرها
وأحالها بشبابه لحنا

ومشى الشتاءُ لها فغبَّرها
وأحالها لفظاً بلا معنى

* * *

هذا حديثٌ يشبه السِّحرا
هيهات أفرغ من روايتهِ
شفق المغيب جعلته فجرا
وبدأت عمري من نهايتهِ

* * *

إنسي لِطيرٌ حائر باكِ
قد كانتْ الأحزانُ فلسفتي
ذابت حناناً يوم لقياكِ
وجرت أغاريداً على شفتي

* * *

يا من طويت عليه جارحتي
وسألت عنه الأنجمَ الزّهرا
وضربت في الصحراء أجنحتي
أستلهم الكثبانَ والقفرا

* * *

والماء أنهَل حيثما كانا
والبرق أتبع حيثما لمعا
فأرى صفاءَ الوردِ غيمانا
والمطلقُ المجهولُ ممتنِعا!

* * *

بقية القصة

كـلاً ولا لـغـة لـه إلا الـذي
قـد جـال في عينيـك أو عينيّـا
أو لفظة جمدت على شفتيكِ من
فـزع كمـا مـاتت على شفـتيّـا
أو حسـرة مني إليـك وحسـرة
مـرتـدة من نـاظـريـك إليّـا

* * *

لا أنـت نـائيـةٌ ولا أنـا نـاء
إني لـديـك مقيّـدٌ بـوفـائي
بعض الهوى يُسدى كمنّة منعمٍ
وجـميـلةُ دَينٌ رهـين قـضـاءِ
ويقـلُّ عمرُ الـدهـرِ تـوفيَةً لمـا
أسـدَيتـهِ بجمـالـكِ الـوضّـاءِ
عُمر الزمـانِ فِدىً لسـاعـة ملتقى
سمحت بهـا الأقـدارُ ذات مسـاءِ

* * *

أنتِ التي علمتِني معنى الحيـا
ة حبيبـةً ونـجيّـةً وصـديقـا
أنكرتُ معناهـا بغيركِ واستوت
وتشـابهت سعـة علـيَّ وضيـقـا
ووددت لـو غـالَ الخـلائقَ غـائـلٌ
مفنٍ أو اشتعـل الصبـاحُ حـريقـا
وسلمتِ أنتِ فـأنتِ أدنـاهم إلى
روحي وأبعـدهم عليَّ طـريقـا!

* * *

لا تسـألينى عن غـدٍ لا تسـألي
فغـداً أعـود كمـا بـدأتُ غـريبـا
هتـك السـتـارِ مقنّـع حسنـاتـه
يخفـين خـلف ريـائهـن الـذّيبـا
كـان الـتـلاقي بـيـنـنـا كـفّـارة
لـلدهـر عـن آثـامـه لـيـتـوبـا
فلتـذهب الحسنـاتُ غـير كـريمـة
سـأعُـدُّهُنَّ على المتـاب ذنـوبـا!

* * *

أرنـو وحيـداً للمكـان الخـالـي
كـأسي وكـأسـك فـارغـان حِيـالي
مـرَّ المسـاء مـخيِّبـا فتـسـاءلا
وتلفّتـا لـكِ في المسـاء التـالي
حـتـى إذا مـلاّ تـرقّـب عـائـد
يُـحيـي ويـبـعـث ميّت الآمـال
بَكيـاكِ بـالحبّ الحـزين وربمـا
بكت الكؤوسُ على النديم السالي!

* * *

أرنـو إلى الصهبـاء غـام شعـاعُهـا
وامتـد نحـو النفس ظـل جنـابهـا
وكـأنمـا روحي هنـاك حبيسـةٌ
تـطفو وترسب في خطوط حَبـابها
وكـأن راهـبـة هنـاك سـجينـةٌ
مغمـورة بـدمـوعهـا وعـذابهـا
ظلّت تقيم على الشمـوع صلاتهـا
حتى تـلاشى النـور في محـرابهـا

* * *

كم ذكريات في الحياة عزيزة
مرَّت عليَّ فكنتِ أغلاهنَّ
حتى إذا عفتِ الصبابةُ وانقضى
ما بيننا أقبلت أسألهنَّ
وسألت عنك العمر ماضيه وحا
ضره فكان العمر أنتِ وهنَّ
والله ما غدَر الزمانُ وإنما
هانت عليكِ الذكرياتُ وهُنَّا!

* * *

يا زهرة عذراء تنشرُ عطرَها
وتذيعُ في جفن الضُّحى أحلامها
لاقيتُها والريحُ تجمعُ شملَها
والسُّحْبُ تجمع برقَها وغمامَها
عانقتها ظمآن أشربُ راحها
واستقطرتْ قلبي لتملأ جامَها
فإذا الرياح نزعنها عن خافقي
ضمَّت على أنفاسه أكمامَها

* * *

حلم كما لمع الشهابُ توارى
سدلت عليه يد الزمان ستارا
وحبيس شجوٍ في دمي أطلقته
متدفقاً ودعَوتُه أشعارا
ووديعة رجعت فما خطبي إذا
رُدَّ الذي كان الزمانُ أعارا؟!
قد كان قلباً فاستحال على المدى
لحناً تناقله الرواةُ فسارا!

* * *

يا حِصنيَ الغالي فقدتُكِ وانطوى
ركني وأقفر موئلي وملاذي
نعطي أخذ في الحديث ومقلتي
مسحورةٌ بجمالك الأخّاذِ
والدهر يغريني فأعرض لاهياً
فيظل يفتنني بتلك وهذي
والدهر يَهزل والغرام يجدُّ بي
ما كنتِ ساحرة ولا أنا هاذي

* * *

هل كان عهدُكِ قبل تشتيت النوى
إلا مخالسة الخيال الطارقِ؟
إشراقة وطغى عليها مَغرب
غيران يخطفها كخطف السارقِ
او لمعةٌ لم تشدْ ذهبتْ بها
دكناء مدَّتْ كفها من حالقِ
وكأن ثغرَكِ والنوى تعدو بنا
شفقٌ يلوحُ على نضيد زنابقِ

* * *

شفتاكِ في لجِّ الخواطر لاحَتا
كالشاطئين وراء لُجٍّ ثائر
لهما إذا التقتا على أغرُودةٍ
خرساء في ظلِّ الجمالِ الساحرِ
إسعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ
وعناقُ أحبابٍ وعَودُ مسافرِ
وبراءةُ الملكِ المتوجِ حُسنه
بجمالِ رحمنٍ وطيبةِ غافرِ

* * *

صحب الحياة فآده استصحابُها
ركبٌ على طرقِ الحياةِ كليلُ
خدعت ضلالاتُ الحياةِ تبيعَها
والدربُ وعرٌ والطريقُ طويل
فتلفَّتَ الساري لعل لعينه
يبدو صباحٌ أو يلوحُ دليل
فبدا له نورٌ وأشرق منزلٌ
ألِقٌ ورفت جنةٌ وخميل

* * *

لكِ في خيالي روضةٌ فينانةٌ
غنّى على أغصانِها شاديها
يحمي مغارسَها ويرعى نبتها
راعٍ يجنِّبُها البلى ويقيها
فإذا النوى طالت عليَّ وشفَّني
جرحي وعاد لمهجتي يدميها
نسق الخيالُ زهورَها وورودَها
فقطفتُها وشممتُ عطرَكِ فيها!

* * *

بعض الهوى فيه الدمارُ وإنما
بعض النفوس على الدمار حراصُ
فيكون فيه القيد وهو تحرّر
ويكون فيه الموت وهو خلاصُ
آمنت بالحب القوي وحتمه
ما من هواي ولا هواكِ مناص
إن كان داء فالسقامُ دواؤه
أو كان ذنباً فالمآب قصاص!

* * *

أصبحتْ والدنيا وداع أحبَّةٍ
ودموع خلّان وحزن رفاقِ
فسخرْتُ من صرخاتِهم وبكائهم
لا دمع إلا الدمع في أحداقي
لا صوت إلا صوت حبك في دمي
أُصغي له وأراه في أطواقي
متدفقاً مثل العُباب ومزبداً
متفجراً كالسيل في أعماقي!

* * *

ساهراتٌ أحلامَ الظلامِ وكلها
أشباحُ هجرٍ أو طيوف وداعِ
مرّت مواكبُه عليَّ بطيئةً
وإلى الفناء مشينَ جِدَّ سِراعِ
حتى إذا سَفكَ الصباحُ دماءَهُ
وهوى قتيلُ الليلِ بعد صِراعِ
أبصرتُ في المرآة آخرَ قصتي
ونَعى بها نفسي إليَّ الناعي!

* * *

يا ربُّ أرسلتَ الأشعَّةَ ها هنا
وهناك تشرقُ في الحمى والدُّورِ
ومن الشموسِ دفينةٌ في خاطري
مخبوءةُ الأضواء طيَّ شعوري
وأحِسُّ في نفسي نقاءَ سمائِها
أصفى برونقِها من البَلُّورِ
يا ربِّ أودعتَ الضحى في مهجتي
وأنا الذي أشقى بهذا النورِ!

* * *

خاطرة

نارٌ من الشوقِ إثرَ نارْ
فلا هدوءٌ ولا قرارْ
إنك لي مبدأٌ وَعَوْدٌ
منك إلى صدرك الفِرارْ
يا مرفأ الروحِ لا تدعْني
بلا دليلٍ ولا منارْ
موجٌ وريحٌ وزحفُ ليلٍ
فمن دمارٍ إلى دمارْ
إن أنت أخلفت وعد حبي
لم تؤوني في الديارِ دارْ
وليسَ لي في الهوى اصطبار
وليس لي دونك اختيارْ

ظلام

لا تقلْ لي ذاك نجمٌ قد خبا
يا فؤادي كلُّ شيءٍ ذهبا
ذلك الكوكبُ قد كان لعيني
السماواتِ وكان الشُّهبا
هذه الأنوارُ ما أضيعها
صِرْنَ في جنبي جراحاً وظبى
كلما أهدت شعاعاً خلّفت
بعده سجناً ومدّت قُضُبا

* * *

قلت أسلوكِ وكم من طعنةٍ
بالمُداراة وبالوقتِ تهونْ

فإذا حبُّكِ يطغى مُزبداً
كدفوق السيل طُغيان الجنونْ
وكذا تمضي حياتي كلها
بين يأسٍ ورجاء وظنونْ
ما على الهجر معينٌ أبداً
وعلى النسيان لا شيء يُعينْ

* * *

ذلك الحب الذي فُزت بهِ
لا أُبالي فيه ألوان الملامَهْ
ذلك الشطُّ الذي ذُقتُ به
بعد لُجٍّ أمناً وسلامَهْ
إنه مزَّق قلبي قسوةً
وسقاني المرَّ من كاس الندامَهْ
صار ناراً ودماراً في دمي
وصراعاً بين قلبٍ وكرامَهْ

* * *

ذلك الحب الذي علمني
أن أحبَّ الناس والدنيا جميعا
ذلك الحب الذي صوَّر من
مُجدِبِ القفرِ لعينيَّ ربيعا
إنه بصَّرني كيف الورى
هدموا من قدسه الحصن المنيعا
وجلا لي الكونَ في أعماقه
أعيُناً تبكي دماءً لا دموعا

* * *

لم تُعنيني على صرف النوى
آه لو كنتِ على الدهرِ أعنتِ!

قدرٌ نكّس مني هامتي
أذن الدهر ببَين وأذِنتِ
وعجيبٌ أمرُ حبٍّ لم يَهُنْ
هو لو هان على نفسي لهُنتِ
لهفَ قلبيّ لهفة لا تنقضي
كنت دنياي جميعاً كيف كنتِ؟

* * *

كنتِ في برجٍ من النور على
قمة شاهقة تغزو السحابا
وأنا منك فَراشٌ ذائبٌ
في لُجَين من رقيقِ الضوءِ ذابا
فَرِحٌ بالنورِ والنارِ معاً
طار للقمّةِ محموماً وآبا
آب من رحلتِهِ محترقاً
وهو لا يألوكَ حبّاً وعتابا!

* * *

برئَتْ نفسي من الحقدِ ولم
أخف ضغناً لكِ بين العَبَرات
إن يوماً واحداً أسعدني
جمعَ الأفراحَ طُرّاً من شتات
وهو عمرٌ كاملٌ عشتُ به
كلَّ أعمارِ الورى مجتمعات
لستُ أنساكِ وقد علمْتِني
كيف يحيا رجلٌ فوق الحياة

* * *

افرحي ما شئتِ يا روحي افرحي
أنشدي ما نقلته الطيرُ عني!

واغنمي نفسح الصّبا وانتقلي
في الصَّبا الممراحِ من غصنٍ لغصن
وعلى أيْكِكِ ناغي كل من
مرَّ بالأيكِ ونادي كلَّ خِدْنِ
لن يُحبّوكِ كحبي! لن ترَيْ
ضاحكاً مثلي ولا حزناً كحزني!

* * *

يا كتاب الحُسنِ جَلَّت آيةٌ
من جمالٍ وكمالٍ وشباب
زعموا أنيَ قد خلّدْتُها
بأغانيَّ وألحاني العِذاب
ما أنا شادٍ ولكن قارئٌ
سوَراً من ذلك الحسنِ العُجاب
لم أزل أقرأُ حتى سجدوا
وجعلتُ الخُلدَ عنوانَ الكتاب

* * *

يا ابنة الأصدافِ والبحرُ أبي
قبل أن يُلقي بي الموج هنا
سائلي الأعماق عن غوّاصها
أنا صيَّادُ لآليها أنا!
إن هجَرْنا القاعَ والليلَ إلى
قممٍ شُمٍّ وعشنا في السَّنا
فبنا الأمواجُ والصخرُ وما
برِحَ العاصف في أعماقنا!

* * *

عاصفٌ عاتٍ تمنيت له
هدأةً أين له ما تطلبين

اسألي عن مقلة مخلصة
خبَّأت رسمكِ في جفن أمينْ
سهرتْ ترعاك مهما لقيتْ
في سبيل العهد والودِّ المكينْ
أقسمتْ لا تسأل النومَ ولا
تطلبُ الرحمةَ منه بعض حينْ!

* * *

بعدما غوَّر نجمي ودليلي
ما مسيري دون تربٍ وخليلٍ؟
في طريق الشوكِ والصخر وفي
شُعَب الإرهاقِ والكدِّ الوبيلِ
الغريبان عليها التقيا
يستعينان على الدربِ الطويلِ
ما انتفاعي بحياتي بعدما
ساقكِ التَّيَّارُ في غيرِ سبيلي؟

* * *

يا لجهل اثنين أقدارهما
آه يا ليتهما قد عَرَفا!
ما الذي نصنعُ بالعيش إذا
ما صحا القلبُ غريباً وغفا؟
ما الذي نصنع بالعيش إذا
ما السبيلان عليه اختلفا؟
ما الذي نصنع بالعيش إذا
صار تذكاراً فأمسى أسفا؟

* * *

عندما تُقفِرُ دارٌ من رفاقِ
وتحسُّ السمَّ في كأسٍ وساقِ

عنـدمـا يكـشِف بـؤسٌ وجهــهُ
سـافِـرَ اللعنـةِ مفقـودَ الخـلاقِ
عنـدمـا تُمـسي بـظلٍّ عـالقـاً
وبخيط الـوهمِ مشدودَ الـوثـاقِ
يـا فـؤادي انـظرْ وفـكـرْ وأفـقْ
أيُّ قيـدٍ لـكَ بـالأحبابِ بـاقِ؟

* * *

كـلُّ جِـدٌّ عَبَثٌ والـدهـرُ سـاخـرْ
وخبيءُ الـسـر للعينين ظـاهـرْ
ادَّعـي أنـي مـقـيـم وغــداً
ركبي المضنى إلى الصحراء سائرْ
عنـدمـا صـافحتُ خـائنتي يـدي
ووشى خـافٍ من الأشجان سافرْ
كـذَبَتْ كفٌّ عـلى أطـرافـهـا
رِعشـةُ البعدِ وإحسـاسُ المسافرْ!

* * *

يـا ديـاراً يـومـهـا من سُحُـبْ
وغـيـوم وضـبـاب أفـق غـدْ
كـل نبـت عـبقـريٍّ أطْـلعـتْ
جـعلت مـنـه طعـامـاً للحسَـدْ
أخْلَفَ الميثـاقُ مـن كـان بهـا
كـل آمـالـي فـلم يـبـقَ أحـدْ
ضـاع عـمـرٌ وحـصـاد وغـدا
من هشيم كـل مـا كنت أعِـدْ!

* * *

ثُم بنـا والكـون جهم كـالـدجى
نـتلمّسُ من جحيمٍ مـخـرجـا

وانجُ منه ببقايا رمَقٍ
أو حطام وقليلٌ مَنْ نجا
لا تُدِرْ رأياً به أضْيَع مَن
في لظاةُ مستعينٌ بالحِجا
واسألِ الرحمنَ أن يُصْلِحَ عهـ
ـداً كسيحاً وزماناً أعرجا

* * *

عشتُ وامتدَّتْ حياتي لأرى
في الثرى من كان قبلاً في القممْ
انهيارُ المثُلِ العليا وإنـ
ـكارُ آلاءٍ وكُفرٌ بالقِيَمْ
مَن يكنْ عَضَّ بناناً نادماً
فأنا قطَّعتُ إبهامَ الندَم
وإذا انحطَّ زمانٌ لم تجدْ
عالياً ذا رفعةٍ إلا الألمْ!

* * *

ضِحكةٌ ساخرةٌ هازلةٌ
وخيالٌ تافهٌ هذي الحياهْ
هذه الأكذوبةُ الكبرى التي
خُدِعَ الناسُ بها وا أسفاه!
ذلَّ فيها المالُ والجاهُ إلى
أن غدا أحقرها مال وجاه
نحمدُ اللّهَ على أنّا بها
لم نصُنْ من ذِلةٍ إلا الجباه

* * *

عبَثاً أهرُب من نفسي ومن
ذلك الساكن روحي والبدنْ

من لقلبٍ مستطار اللُّبّ مَن
كلما عاوده التذكارُ جُنّ
أينما أمضي فحوْلي ذِكَرٌ
وحبيبٌ ومكانٌ وزمنْ
وربيعٌ دائمُ الخضرةِ في
روضةِ النفسِ وطيرٌ وفننْ

* * *

قصةٌ خالدةٌ لا تنتهي
وهي ما كان لها يومٌ ابتداءِ
أنا لا أدري متى كان ولا
أين عند اللّهِ أسرارُ اللقاءِ
حينما لاحَ شِهابٌ في سمائي
أسمرُ النورِ رفيعُ الخُيَلاءِ
عبقريٌّ مُوحشٌ منفردٌ
متعالٍ قَلِقُ الأضواءِ ناءِ

* * *

هو في الأفقِ بعيدٌ وهو دانِ
هو لي نفسي وروحي وكياني
مخطىءٌ من ظَنَّ أنّا مُهجتانِ
مخطىءٌ من ظَنَّ أنّا توأمانِ
هو شطْرُ النّفسِ لا توأمُها
هو منها هو فيها كل آنِ
نحنُ نبضٌ واحدٌ! نحن دمٌ
واحدٌ حتى الردى متحدان!

وحيد

إني على كأسي أُعيد السنين
وأبعثُ الماضي البعيدَ الدفينْ
وحدي وقد أقسمتُ لن تعرفي
وما الذي يجديك لو تعرفينْ؟
وما الذي يُجدي طعينَ الهوى
لَمْسُكِ يا هندُ جراحَ الطعينْ
أصبحتُ لا أدري شربتُ الطلى
عند بكائي أم شربتُ الأنينْ

* * *

كم أزرع السّلوانَ في خاطري
وكيف ينمو في مَحيلٍ جديبْ؟
بالخمر أسقيه وفي مسمعي
إرنانُ باكٍ وتشاكي حبيبْ
الجامُ يبكي لوعةً ام أنا
جامي غريبٌ وفؤادي غريبْ
وا حيرتي تُرى أصُبُّ الطِّلى
أم أنني فيه أصبّ النحيبْ؟

* * *

يا إلفَ نفسي لم يكن هاهنا
همٌّ لإلفٍ وسلوٌّ هناكْ
لم يَجْرِ همسٌ لك في خاطرٍ
إلا جرى عندي كأني صداكْ
ولم أكن أعرفُ لي مدمعاً
إلا الذي تذرفُه مقلتاكْ
أصونُ حزني لك حتى اللقا
وأحبسُ الفرحَةَ حتى أراكْ

* * *

إن كنتُ غنّيتُ فإني الذي
وقفتُ الحاني على سَرْحَتِكْ
حَبَستُ هذا الصوتَ لم ينطلقْ
إلا على حزنكِ أو فرحتِكْ
خمائلُ الروضِ بأعطارها
لم تَشْجني إلاّ على نفحتِكْ
أنكرتُها طُرّاً ولم أعترفْ
إلاّ بطيبٍ جاء من جنّتك!

* * *

وَافرَحِي اليومَ بحريّتي
بأيِّ ليلٍ مدلهمٍّ أطير
رُدّي على قلبي قيودَ الأسير
وذلك الصبحَ الوضيءَ المنيرْ
كم شُعَبٍ لاحتْ فلم تختلفْ
لأيِّها نغدو وأنّى نسيرْ
بعد سِني الأنوار خلّفتِ لي
جهمَ المساعي وخفيَّ المصيرْ

* * *

علمتِ حالي؟ لا وحقِّ الذي
صيَّرني أشفق أن تعلمي
هيهات تدرين انطلاقَ الهوى
كجمرةٍ نضّاحةٍ بالدمِ
هيهات تدرين وإن خِلتِه
وثبَ الهوى الضاري وفتكَ الظمي
وصارخاً كبحتُه في فمي
وطاغياً كبّلتُه في دمي

* * *

لا أنت تــدرين ومــا مــن أحــدْ
بــواصف حسنَكِ مهمــا اجتهــدْ
أو بــالــغٍ ســرَّ الــذكــاءِ الــذي
يكــادُ في لـحـظِكِ أن يتّقِــدْ
أو مــدرك عمق الــمعــانـي التي
فـي لمحــةٍ عــابــرةٍ تـحتشــدْ
أو فــاهــم فن الـصنــاع الــذي
أبــدع الاثنين : الحِجا والجســدْ

أطلال

يا من بِواديهِ حَطَطْتُ الرحالْ
ورحَّبتْ بي وارفاتُ الظلالْ
بذلتَ أقصى ما يكون القِرى
وما تمنَّى طامع من منالْ
بسطتَ كالآباد عمر المنى
لطامع في لحظاتٍ قِلالْ
بنيتُ محرابيَ لم أتخذْ
ديناً سوى حبِّك في كل حالْ
أمهلْ فؤادي ساعة ريثما
أخلعُ عن عيني قِناعَ الخيالْ
أمهلْ فؤادي ساعةً ريثما
أخلعُ عن قلبي سرابَ الضلالْ
فهذه الصحراءُ عريانةً
ممتدَّةٌ خانقةٌ كالملالْ
خليعةُ الطبعِ على كُثبها
عربدةُ الريحِ وكفرُ الرمالْ
هيهات للقلب صلاة بها
ولا عليها معبد وابتهالْ
خلعتُ إيماني على شكِّها
وبدَّدته السارياتُ الثِّقالْ
نادتنيَ الصحراءُ وهْي التي
آدتْ جحيمي في السنين الطوالْ
تُريد سرِّي إن سرِّي هنا
في مُغلقٍ أسرارُه لا تنالْ
قالت بهذا الصمت ما لم يُقلْ
وقلت بالزفْرات ما لا يُقالْ

ذنبي

أيكون ذنبي أن رفعـ
ـتُك وارتفعت إلى السماء؟
وعلى جناحك أو جنا
حي قد رقيتُ إلى الصفاء
إن كان حقّاً أو خيالاً
فهو وثْبٌ للضياء
وتحرُّزٌ مما جناه
طينُ آدم في الدماء
أيكون ذنبي أن جعلـ
ـتُكِ فوق عرش من سناء
وجثوت في محراب قُدْ
سكِ عابداً هذا الرُّواء
أيكون ذنبي أنني
بك أحتمي من كل داء
وأراك عافيتي فأضْـ
ـرعُ طالباً منكِ الشفاء
أيكون ذنبي أن أرا
ك لخاطري قبَساً أضاء
وأحسُّ وحيَكِ من علٍ
لي دونَ أهل الأرض جاء
أيكون ذنبي أن يُنا
ط بك التعلُّل والرجاء
وإليك شكوى القلب نجـ
ـوى الروحِ أجمع والنداء
أيكون ذنبي أن أحـ
ـبّكِ لي من الدنيا وِقاء
فإذا رضيتِ فإن نعمْـ
ـتَها ونقمتَها سواء؟

أيكون ذنبي.. أي ذنـ
ـب صار لي إلا الوفاء
إني عشقتك ما طلبـ
ـتُ على محبّتيَ الجزاء
مَن همُّه همّي سيحـ
ـمل من حبيبٍ ما يشاء
ولقد يُساءُ فما يرى
من حُبِّه أحداً أساء
قد كان عندي عزّة
بصبابتي ولي احتماء
إن لانَ عودي للخطو
بِ شددتِ أزري باللقاء
أنسيتِ كيف نسيتِ يا
دنيا على الدنيا العفاء!
يا للهوى لا صَبح لي
إلا هواكِ ولا مساء
أشوامخُ الأحلامِ والـ
ـمثلُ الرفيعةُ كالهباء؟

الطائر الجريح

أيُّ جوادٍ قد كبا		وأيُّ سيفٍ قد نبا
تعجبتْ زازا وقد		حقٌّ لها أن تعجبا
لما رأتْ فيَّ شحو		ب الشمسِ مالت مغربا
وهي التي زانت مشيـ		ـبي بأكاليل الصِّبا
وهي التي قد علّمتْـ		ـني حين ألقى النُّوبا
كيف أداري النابَ إن		عضّ وأخفي المخلبا
لاقيتُها أرقصُ بشـ		ـراً وأغني طربا
وهي التي تهتك سِتْـ		ـرَ القلبِ مهما انتقبا
لا مغلقاً تجهله		يوماً ولا مُغَيَّبا
في فطنةٍ تومضُ حتّـ		ـى تستشفُّ ما خبا
رأتْ وراء الصدرِ طيراً		قلِقاً مضطربا
في قفصٍ يحلمُ بالأفـ		ـقِ فيلقى القُضُبا
إنّ زماناً قد عفا		وإنَّ عمراً ذهبا
وصيّرتْهُ طارقا		تُ السقمِ وَقراً متعبا
ورنّقتْ مورِدَهُ		أنّى له أن يَعذُبا؟
إني امرؤٌ عشت زما		ني حائراً معذّبا
عشت زماني لا أرى		لخافقي منقلبا
مسافراً لا قوم لي		مبتعداً مغتربا
مشاهداً عَلَيَّ في		مسرحِهِ أن ارقبا
رواية مُثّلت كما		مُثّلَ الزمانُ ملعبا
وظامئاً مهما تُتَحْ		مواردٌ أن أشربا
وجائعاً لا زادَ في		دنياي يشفي السغبا
فراشة حائمة		على الجمال والصبا
تعرّضت فاحترقت		أغنية على الربى
تناثرت وبعثرت		رمادها ريح الصَّبا
أمشي بمصباحي وحيـ		ـداً في الرياح متعبا
امشي به وزيتُه		كاد به أن ينضبا

وشد ما طال الصرا ... ع بيننا واحربا
ريحُ الحنايا تقتضيـ ... ـني نسماتي الخُلّبا
وليس بالأحداث فيـ ... ـما قيل أو ما كتبا
كالعمر والسقم إذا ... تحالفا واصطحبا
لولاكِ ما قلت لشي ... ء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركناً غنيّـ ... ـاً بالحنانِ طيّبا
أنتِ التي أقمت مر ... فوعَ البناءِ من هَبا
وإنني الصخرُ الذي ... أردتِ أن لا يُغلبا
ويضرب البحرُ عليـ ... ـه موجَه منتحبا
علمتِ يأسي وجنو ... ني وجهلتِ السببا
يا أملي إنك يأ ... سُ القلبِ مهما اقتربا
يا كوكباً مهما أكن ... من بُرجه مقرَّبا
فإنه يظل في السَّـ ... ـمْتِ البعيدِ كوكبا
وأين مني فلك ... قد عزّني مطّلبا
ليس إلى خياله ... إلا السهاد مركبا
استبطئُ الريحَ له ... وأستحثُّ الكتبا
ولو طريق حبّه ... علي القتاد والظُّبا
وقيل للقلب هنا المـ ... ـوتُ فعُدْ تسلم أبى
إني امرؤٌ عشتُ زما ... ني حائراً معذّبا
لا أحسب الأيام فيـ ... ـه أو أعُدُّ الحِقبا
ضقتُ بها كيف بمن ... ضاق بها أن يَحسبا
تغيّرتْ واختلفتْ ... وسائلاً ومطلبا
وارتفعتْ وانخفضتْ ... طرائقاً ومأربا
سلوت على الحالين حُمْـ ... ـلاناً بها وأذؤُبا
وشاكلتْ لناظري ... سهولَها والهُضُبا
دخلتها غِرّاً وعد ... ت فانياً مجرِّبا
لا أسأل الأيام عن ... أعمالها معقّبا
إن كان هذا الدهر فيـ ... ـما جرَّه قد أذنبا
فإنه تاب وأدّ ... ى وعدَهُ المرتقبا

لقاك مباح للدنو ... ب كيف لي أن أعتبا
ضممتُ عطفيك غدا ... ة الروع أبغي مهربا
كم خفتُ من أن تذهبي ... وخفتِ من أن أذهبا
كأن طفلاً خائفاً ... في أضلعي حلّ الحُبى
يضرب ما اسْتطاع على ... جدرانها أن يضربا
يكافحُ الأمواجَ أو ... يصرعُ جيشاً لجبا
إن بَعُد الشطُّ فقد ... آن له أن يقرُبا
أنتِ الحياةُ والنجا ... ةُ والأمانُ المجتبى

القمة

يا أيُّها العالي الغفورُ الصفوحْ
هل ترحم القمّةُ ضعْف السُّفوحْ
تاجُك في النور غريقٌ وفي
عرشك غنّى كل نجمٍ صَدُوحْ
وأين هامات الربى نُكِّسَتْ
من هامةٍ فوق مُنيفِ الصُّروحْ؟
وأين أوراقٌ خريفيّةٌ
أرْجَحَها الشكُّ فما تستريحْ
من باسقٍ راسٍ به خضرَةٌ
ثابتةُ الرأي على كل ريحْ
بَرِئْتَ من هذي الوهادِ التي
نَغْدُو على أنّاتِها أو نروحْ
وأين في مبتسمات الذرى
برق الأماني من وميض الجروحْ؟
أصغِ لهذي الأرضِ واسمعْ لما
تشكو، لمن غيرك يوماً تبوحْ؟

تطفو على طوفان آلامها
وأين في آلامها فُلْكُ نوح
أروع شيء صامت في العُلى
أفصح مفْضٍ بالبيان الصريحْ
يعيُّر الأرضَ إذا أظلمتْ
بما على مفرقِه من وضوح
هل تسخرُ الحكمةُ مما بنا
من نزواتٍ وعنانٍ جَموحْ
حمْقى، قُصارى كل غاياتنا
عزمٌ مَهيضٌ وجناحٌ كسيحْ
أُعيذ عدل الحقِّ من ظلمنا
فكم على القيعان نسْر جريحْ
ونازح من قِممٍ في علٍ
أوطانه كل سموق طروحْ
أنت له كل الحِمى المرتجى
وكلُّ مبغاه إليك النزوحْ
ما النسر إلا راهبٌ في العُلى
محرابُه وجهُ السماءِ الصبيحْ
وقلبها السَّمْح فما حطَّه
على الثرى الجهم الدميمِ الشحيحْ
على الثرى حيث تسابيحُه
نوح الحزانى ونداء القروحْ
مبتهلٌ باك بدمع الأسى
على الليالي وسقيم طريحْ
ما أتعس الأرضَ بعُبَّادها
تبْهجُ من أخلاطِهم ما تُبيحْ
قد أنكرَ الهيكلُ زوّارَه
وأصبح الديرُ غريبَ المُسوحْ
لم يعرف الجسمُ خلاصاً به
من كدرةِ الطين ولم تنسجْ روحْ

يــا سيِّــد القـمَّـةِ أنصِتْ لـنـا
لا يعـرفُ الأشفـاقَ قلبٌ مُشيـخْ
وانــظرْ إلى السِّكين في سـباحـةٍ
قـد زمجرتْ فيهـا دماء الذَّبيـخْ
واسكبْ نَـدَى الحبِّ بأفـواهِنـا
كـم مـن بَكِيٍّ وظَـمِيٍّ طليـخْ
فــربـمــا يُشــرقُ بعــد الضّـنى
وجــهٌ مـليـح وزمــانٌ مـليــخْ!

أيها الغائب

أيهـا الغـائبُ العـزيـزُ الـنـائي
فَسَـدَتْ ليلتي وضـاع هـنـائي
قَمَـري أنت ليس لي منـك بـدٌّ
في اعتكـار السحـائبِ السّـوداءِ
هـذه الشُّـرْفـةُ التي جمعتـنـا
يـا حبيبي بـوجـهِـك الـوضّـاءِ
ســألتْ عنـك فـالتفتُّ إليـهـا
وبـنـفـسـي كـوامـنُ البُـرَحَـاءِ
قـائـلاً صَـهْ! بـاللّهِ لا تسـأليني
فكـلانـا من دونِـهـا في عـنـاءِ
أين ذاك الوجهُ الـذي يُرسـلُ النو
رَ ويُـوحِي إشـراقُـه بـالصّفـاءِ؟

أين غد

يا قاسيَ البعدِ كيف تبتعدُ
إني غريبُ الفؤادِ منفردُ
إن خانني اليوم فيك قلت غداً
وأين مني ومن لقاكَ غدُ؟
إن غداً هوّةٌ لناظرها
تكاد فيها الظنونُ ترتعدُ
أطلُّ في عمقها أسائلها
أفيك أخفى خياله الأبدُ؟
يا لامسِ الجرحِ ما الذي صنعتْ
به شفاهٌ رحيمةٌ ويدُ؟
ملء ضلوعي لظىً وأعجبه
أني بهذا اللهيبِ أبتردُ
يا تاركي حيث كان مجلسنا
وحيث غنّاك قلبيَ الغردُ
أرنو إلى الناسِ في جموعهمُ
أشقتهمُ الحادثاتُ أم سعِدوا
تفرقوا أم همُ بها احتشدوا
وغوّروا في الوهادِ أم صعدوا؟
إني غريبٌ تعال يا سكني
فليس لي في زحامهم أحدُ!

شك

تَشُكّين في حبّي؟ لـك الحقُّ إنني
جـديرٌ بهـذا الظُّلم والـريب والشَّـكِّ
خليقٌ بـأن تَنْسي هـوايَ فتنـطوي
سعـادةُ أيـامي التي ذُقْتُهـا منـكِ
إذا أنـا لم أذْكـرْكِ في كـل لحـظةٍ
وقصَّرتُ لم أسألْ ثـوانِيَهَـا عنـكِ
إذا أنــا لم أبْـذُلْ شجـايَ وعبْـرَتي
على كل وقتٍ ضائعٍ كنتُ لا أبكي
فـلا حبٌّ عنـدي أستلذُّ بـه الجـوى
بما فيه من سقمٍ وما فيهِ من ضنكِ
أليـلايَ حُبّي فيـك حُبٌّ مُـوَحّـد
تنـزَّهَ عن ريبٍ وجـلَّ عن الشِّـركِ
تـبقـى بقـاء الـقلب ينبضُ دائـمـاً
ولـيس لسـلوانٍ ولـيس إلـى تـركِ

ليلة

وليلة بـات من أهـوى ينـادمني
مـا كـان أجمله عنـدي وأجملها
بتنـا على آية من حسنـه عجَبٍ
كتـابه من خفـايـا الخلدِ أنـزلهـا
إذا تسـاءلتُ عمّا خلف أسطرهـا
رنـا إليَّ بعـيـنـيـه فـأوّلـهـا
مصـوِّبـاً سهمـه مُستشـرقـاً كبدي
مستهـدفاً مـا يشاء الفتـك مقلتهـا

يا للشهيدة لم تعلم بمصرعها
ما كان أظلم عينيه وأجهلها
حتى إذا لم يدَعْ منها سوى رمق
عدا على الرمق الباقي فجندلها
وصدُّ عنها وخلاّها وقد دميَتْ
في قبضةِ الموتِ غشّاها وظللها
وحان من ليلة التوديعِ آخرها
وكان ذاك التلاقي الحلو أوّلها
ضممْتها لجراحاتي التي سلفتْ
إلى قديمِ خطايا قد غفرتُ لها!

في الباخرة

أحبٌ أجلْ أحبٌ كان نبعاً
سماويّاً تفجّر في دمائي
لقد طاب الوجودُ بحالتيه
شقائي فيك أجمل من هنائي
وليلي فيك أحسن من نهاري
وصبحي فيك أجمل من مسائي
فمفترقان فيه إلى لقاء
وملتقيان حتى في التنائي
أميمةُ إن عمرَ الحبٌ حقاً
لأعجب آية تحت السماءِ
فما أدري لأيهما تنائي
ثوانيه السّراع أم البطاءِ
أهذا الحلم يمضي شبه لمحٍ
أم الأبدُ المديدُ بلا انتهاءِ؟

أتفكيري هناك أم انتظاري
لأروعِ هالةٍ حولَ البهاءِ
وأزهى من تثنَّى في حُليٍّ
،وأبهج من تهادى في رداءِ
وأسنى من تخطَّر في دلالٍ
وأطهر من تعثرَ في حياءِ
سيذكر ملتقانا النيلُ يوماً
غداة تُعَدُّ أيامَ الصفاءِ
وحيدٌ غير أني في زحامٍ
من الآمالِ تترى والرجاءِ
إلى أن لاح عرشُ النورِ مني
قريباً والهلالُ إلى اعتلاءِ
فمؤتلقٌ على أفقٍ بعيدٍ
ومنعكس على فضيٍّ ماءِ
كذلك أنت في فكري وروحي
سناك مع الهلال على سواءِ
وطيفٌ عبقر في خيالي
وحيد الذات مختلف الرُّواءِ!

سر بي

أحبك فوق ما عشقتْ قلوبٌ
ولا أدري الذي من بعدِ حبي
وأعلم أن كُلِّي فيك فانٍ
وعيني فيك ذائبةٌ وقلبي
وأعلم أن عندك من يُنادي
خفيّاً هاتفاً وأنا الملبي

وأعلم أن حبي ليس يشفي
وبعدي ليس يُجديني وقربي
ولما لم أجدْ للحبِّ حلّاً
هتفتُ به كما يرضيك سِر بي!
وخذني حيث هند لا تسلني
لأيةِ غايةٍ ولأيٍّ دربِ!

الفراق

يا ساعة الحسراتِ والعبراتِ
أعَصَفتِ أم عصف الهوى بحياتي؟
ما مهربي ملأ الجحيم مسالكي
وطغى على سُبُلي وسدّ جهاتي
من أي حصنٍ قد نزعت كوامناً
من أدمعي استعصمن خلف ثباتي
حطّمتُ من جبروتهن فقلن لي
أزِفَ الفراقُ فقلت ويحكِ هاتي!

* * *

أأموت ظمآناً وثغركِ جدولي
وأبيتُ أشربُ لهفتي وولوعي
جفّت على شفتي الحياةُ وحلمها
وخيالها من ذلك الينبوعِ
قد هدّني جزعي عليك وادّعي
اني غداة البَين غير جَزوعِ
واريد أُشبعُ ناظريَّ فانثني
كي أستبينَك من خلالِ دموعي!

* * *

هـان الـردى لـو أن قلبـك دار
أالموتُ مغتربـاً وصـدرك داري؟
يـا من رفعتِ بنـاءَ نفسي شـاهقـاً
متـهـلّلَ الـجـنـبـاتِ بـالأنـوارِ
اليـوم لي روحٌ كـظلٍّ شـاحـبٍ
في هيكـلٍ متخـاذلِ الأسـوارِ
لو في الضلوع أجلتِ عينكِ أبصرتْ
مُنهـارة تبـكـي عـلى مـنـهـارِ!

* * *

لا تسـألي عن ليل أمسِ وخطبِهِ
وخـذي جـوابَـكِ من شقيٍّ واجمِ
طـالت مسـافتُـه عليّ كـأنـهـا
أبـدٌ غليظ القلب ليس بـراحـمِ
وكـأنني طفـلٌ بهـا وخـواطـري
أرجـوحـة في لجّهـا المتـلاطمِ
عـانيتُهـا والليـل لعنـةُ كـافـرٍ
وطـويتُهـا والصبـحُ دمعـةُ نـادمِ

ليلة العيد

اليوم منك عرفت سر وجودي
وعرفت من معناك معنى العيدِ
ما كنت بالفاني وسرُّك حافظي
وبمقلتيكِ ضمنْتُ كل خلودي
الآن أعرفُ ما الحياة وطيبُها
وأقول للأيّام طيبِ فعودي!
عاد الربيعُ على يديكِ وأشرقتْ
روحي وأورقَ في ربيعك عودي!

كذب السراب

البحر أسألُهُ ويسألني
ما فيه من ريٍّ لظامئهِ
متمرِّدٌ عاتٍ يضللني
كذِبُ السَّرابِ على شواطئِهِ

* * *

كم جال في وهمي فأرّقني
أربٌ وأين الفوز بالأربِ؟
وسرى بأحلامي فعلّقها
فوق السُّهى بلوامعِ الشهبِ

* * *

في يقظةٍ مني وفي وسنٍ
صَرْحٌ بذروتهنَّ متّحدِ
الفجرُ والسحرُ المخضّبُ من
لَبِناتِهِ والقمةُ الأبدِ

* * *

واهــاً لـضــافي الــظلّ وارفِــهِ
قضّيــتُ عمــري فـي تــوهّمِــهِ
لـمــا طلعــتُ على مـشــارفِــهِ
أيــقــنــتُ انـي فــوق سُــلّمِــهِ

* * *

ومن العجائب في الهوى اثنـان
لـم يضـربـا لـلحبِّ ميـعـادا
ومــحـيِّــرُ الأفــهــام لــحــظان
قــرآ كـتـابَـهــمــا ومــا كــادا

* * *

سـارا فمـذ وقف الهـوى وقفـا
يتبــادلان الـشــوقَ والشـغـفـا
عـرف الهـوى أمراً ومـا عـرفـا
مَن ذلـك الـداعي الـذي هتفـا

* * *

قَــدَرٌ عــلى قــدرٍ تــلاقِيــنــا
كــلُّ الــذي أدري وتــدريــنــا
أنّــا أطــعــنــاهُ مُــلَبّــيــنــا
من أنت؟ من أنـا؟ من يُنَبِّينا؟!

أنت

إن كــنــتِ عــارفــةً وواثــقــةً
وبـعمـق هــذا الـحـبِّ آمنتِ
فـثـقـي بـسـأنـكِ قِبْلتي أبـداً
وصــلاةُ روحـي حيـثـمــا كـنتِ

إن كان لي في الدهر أمنيةٌ
مَنشودةٌ أمنيَّتي أنتْ

قيثارة الألم

إن حان لحنُ الختامْ
صار النشيدُ دعاءْ
مرّ الهوى في سلامْ
فلنفترق أصدقاءْ
سرٌّ وراء الظنونْ
أظلّني وأضاءْ
لم أدرِ ماذا يكونْ
ولم أسَلْ كيف جاءْ

* * *

ما بين ضحكِ الرياحْ
وقهقهات الغيوبْ،
ولّى خيْالٌ وراحْ
وحلّ ظلٌّ غريبْ

* * *

يا ذنبُ فات المتابُ
لما تحطَّمَ صرحي
ما لي عليها عتابُ
إني أعاتبُ جرحي

* * *

وهذه قيثارتي
ذاتُ الشجى والأنينْ

وهــذه أوتــاري
أصــرتِ لا تــطربــيــنْ؟

* * *

يــا كــم شــدوتُ بــلحــنــي
مــا بــيــن حــزنــي ودمــعــي
مــا بــالــه طــيٌّ أذنــي
لــكــنْ غــريــبــاً لــســمــعــي

حلم الغرام

لا حــبَّ إلا حــيــث حــلّ ولا أرى
لي غيــر ذلــك مــوطنــاً ومقــامــا
وطــني عــلى طــول الــليــالــي دارهُ
مهمــا نــأى وهــواي حيث أقــامــا
والأرضُ حين تــضمُّــنــا مــأهــولــةً
لــحــظاتُــهــا مــعــمــورةً أيّــامــا
لا فــرق بين شَمــالِهــا وجنــوبِهــا
فــهمــا لــقلبي يحــمــلان ســلامــا
وهمــا لعــهــدي حــافــظان وقلّمــا
حفظ الــزمــانُ لمــهجتيــن ذمــامــا
وإذا بكيــتُ فقــد بــكيــتُ مخــافــةً
من أن يكــون غــرامُــنــا أحــلامــا
ولــربــمــا خــطرَ الــنّــوى فــبكــيتُــهُ
من قبــل أن يــأتي البعــادُ سجــامــا

ثلاث سنين

ثـلاث سـنيـن أم ثـلاث لـيـالِ
هي البـرق أم مرَّتْ كلمحِ خيالِ؟
ومـا كان هـذا العمـرُ إلا صحـائفـاً
تـلاشتْ ظـلالاً رُحْن إثـر ظـلالِ
ومــا كـــان إلا أمس لـقـيــاك إنــه
لاثـبـتُ مـا خطّ الـزمهانُ ببــالـي
ومـا العمـر إلا أنت والحب والمنى
ومـا كان بـاقي العمر غيرَ ضـلالِ!

عدنا وعدت

عُـدنا وعـدتِ وعـادتْ | إن الـحــظوظَ أرادتْ
وبـــالعجــائب جــاءتْ | ومـــا بـــذاك غـــريـبَــهْ

* * *

إن الغــريبَ التنــائي | فــإن فيــه شـقــائـي
وإن أردت دوائـــي | داوي الهــوى ولهيبــه

* * *

أنت المـنى والـعبــادهْ | ولـيس عنـدي زيــادَهْ
يـا هند هـذي شهـادَهْ | لـــو أنـــهــا مـــطلوبَـــهْ

* * *

وأنـت منـي كـنـفسي | هــواك يــومي وأمــسي
وأنتِ جهـري وهمسي | صــديـقــةً وحـبـيـبَــهْ

المقعد الخالي

همٌّ أناخ فمذ انجلى
وخلا مكانُك - لا خلا!
ليل الحياة وكان ليـ
ـلي في الهواجسِ أطولا
كم لحظةٍ في الصدر نا
شبةٍ كجزّازِ الكلا
كالرَّمْسِ فارغةٍ وإن
حفلت بإيجاشِ البلى
في إثر أخرى لم تكن
إلا كجرداءِ الفلا
بَرَّحْنَ بي من وحشةٍ
وقتلتهُنّ تململا
وجُنِنَّ من قلقي عليـ
ـكَ وكيف لي أن أعقلا؟
قد رِشْنَ لي سهماً يحا
ول من يقيني مقتلا
فتعرّض الماضي الجميـ
ـلُ بوجهِهِ متهللا
فلوى عناني فالتفـ
ـتُّ فلم أجد لي مَوئلا
إلا دروع اليأسِ إنّ
اليأسَ أيسرَ محملا
يقتادني فأردُّهُ
عن خاطري وأقول لا!
يا هندَ إن يكُ قلبُك الـ
ـوافي تغيّرَ أو سلا
وحصدتُ آمالي فإنّ
الموتَ أرحمُ منجلا

رحلة

نقلتُ حياتي والحياة بنا تجري
من الحلم المعسولِ للواقعِ المرِّ
فيا منتهى فنّي إلى منتهى الهوى
على ذروةٍ بيضاءَ في النورِ والطهرِ
عرفتك عرفان السماء ولم تكنْ
سوى همسات النجم ما جال في صدري
وغامت خطوطُ السفحِ حتى نسيتها
وحتى توارى السفح من عالم الذكر
وفي القممِ الشمّاءِ حلّقتُ حائماً
وأنبتَ في أعلى شواهقها وكري
ولم يبقَ إلا أنت والجنّةُ التي
زرعنا وكلّلنا بيانعة الزهرِ
ولم يبقَ إلا أنت والنسمةُ التي
تهبُّ من الفردوسِ مسكيّةَ النشرِ
ولم يبقَ إلا أنت والزورقُ الذي
ترنّحَ منساباً على صفحة النهرِ
فيا منتهى مجدي إلى منتهى الغنى
غنىَ الروحِ بعد الضّنكِ والذلّ والفقرِ
أعيذك أن أغدو على صخرة لَقىً
وكنتِ مِجَنّي في مقارعةِ الصخرِ
أعيذك بعد التاجِ والعرشِ والذي
تألّقَ من ماسٍ وشعشعَ من تبرِ
أعيذك من ردّي إلى سَفهِ الثرى
وحِطّته بين الأكاذيبِ والغدرِ
أعيذكِ أن تنسي ومن بات ناسياً
هواه فأحرى بالنهى عقم الفكرِ
فيا ا ا ا، من حلمٍ عجيبٍ ورحلةٍ
تعدّتْ نطاقَ الحلمِ للأنجمِ الزُّهرِ

ويـا لـك من يـوم غـريب وليلةٍ
عَفتْ وغفتْ عن ظلم روحين في أسر
ويـا لـك من ركن خَفِيٍّ وعـالـمٍ
خَفِيٍّ غنيٍّ بـالـمفـاتـنِ والسـحـرِ
ويـا لـك من أفقٍ مـديـد ومـولـد
جديـد لقلبينـا ويـا لـك من فجـرِ
عـرفتـك عـرفـان الحيـاة أحسَّهـا
وأبصـرَّها من كـان يخطو إلى القبـرِ
عـرفتـك عـرفـان النهـار لمـقلةٍ
مخضَّبةِ الأحلام حـالكـةِ الـذعـرِ
رأت بـك روحَ الفجـرِ حين تبيَّنتْ
بيـاضَ الأمـاني في أشعَّتِـهِ الحُمـرِ
بيَ الجرحُ جرحُ الكونِ من قبل آدمٍ
تغلغلَ في الأرواحِ يَدْمي ويستشري
تـولَّتـهُ بـالإحسـانِ كفٌّ كـريمـةٌ
مقـدَّسـةُ الحسنى مبـاركـةُ السـرِّ
فـإن عدتُ وحـدي بعد رحلتِنـا معاً
شريداً على الدنيا ذليلاً على الدهـرِ
رجعت بجـرحي فـاغـرَ الفمِ دامياً
أداريـه في صمتٍ وما أحـد يـدري
هـو العيشُ فيه الصبـرُ كاليـأس تارةً
إذا انهـارتِ الآمالُ واليـأسُ كالصبرِ
عـرفتكِ كـالمحـراب قـدسـاً وروعـةً
وكنتِ صلاةَ القلب في السرِّ والجهرِ
وقـد كان قيـدي قيـدَ حبِّكِ وحـدَهُ
أنـا المرءُ لم أخضـعْ لنهيٍ ولا أمرِ
وأعجبُ شيء في الهوى قيدُكِ الذي
رضيتُ بـه صِنْواً لإيمـاني الحـرِّ
بَـرِمْتُ بأوضـاعِ الورى كـل أمـرهمْ
وسيلةُ محتـاجٍ ومسعـاةُ مضـطرِّ

برمتُ بأوضاعِ الورى ليس بينهمْ
وشائج لم توصَلْ لغايٍ ولا أمرِ
إذا كان ما استنُّوا وما شرعوا القِلى
فذلك شرْعُ الطين والحمَإِ المَزرى
تمرّدتُ لا أُلوي على ما تعوَّدوا
ونفسي بهذا الشرعِ عارمةُ الكفرِ
وهبْ ملْكي الغالي الكريمَ وحارسي
تخلى فما عذرُ الوفاءِ وما عذري؟
عشقتُكِ لا أدري لحبيَ مبدءاً
ولا منتهى حسْبي بحبِّكِ أن أدري
إذا شئتِ هجراناً فما أتعس المدى
من النورِ للّيلِ المخيِّمِ للحشرِ!

شعرة

وشعرةٍ خطفتُها كأنني قطفتُها
ملكتُ ملكَ الدهرِ وحدي حينما ملكتُها
إذا الرياحُ نازعتني أمرَها ضممتُها
بقبضتيَّ خائفاً إذا اعتدتْ رددتُها
وفي مكانٍ ليس في بالٍ جَرى خَبَأْتُها
خبأتُها حيث إذا جُنَّ الهوى رأيتُها
حبستُها قرب عيوني إن أشَأْ نظرتُها
كأنما في بصري ومقلتي أخفيتُها
هذي لديَّ صورةٌ من حالنا جلوتُها
أنت كهذي الشعرة السمراء مذ عرفتُها
أقسم بالحب وها تيك السنين عشتُها
كأنني في جنّة الفردوسِ قد قضيتها

يوم الجمعة

أصبحتُ يوم الجمعه ذا غربة ما أضيعهْ!
منفرداً لا خلٌّ لي وأينَ مَنْ قلبي معهْ؟
ضاقت بي الأرضُ فما في فُسحة الكون سَعَهْ
أقطع يومي مُبْطِئاً كأنني لن أقطعَهْ
إني امرؤٌ يُفضي إلى أزمانه المرقّعَهْ
يَلُمُّ من شَتاتها بجهده ما وَسِعَهْ
فلا يصيبُ غير ما روْعَهْ وفزْعَهْ
ولا يُصيبُ غير ما أمَلَهْ وصدْعهْ
يا هند من يُعيد لي أماليَ المزعزعَهْ؟
وإنّ يوماً واحداً حِبالُه مُقطّعهْ
فكيف لو مرّ بنا ثلاثةٌ أو أربعهْ؟
قلبي خلا من نسمةٍ مشرقةٍ مُرَصّعهْ
طالَعَهُ اليوم بها كأنه قد ودَّعهْ
إن عاشه دونك يا هند تمنّى مصرعهْ

تعلة

هكذا كلُّ جميلهْ ليس لي في الغدر حيلهْ
أنْجُ منها وامض عنها أخذتْ قلبكَ غيلهْ
بعد هاتيك الليا لي المطمئنّات الظليلهْ
بخلت ليلاك حتى بالتعلاّت القليلهْ
لم تدَعْ للقلب من طو ل التباريح وسيلهْ
لم تدع للقلب ما يشـ ـفي من الوجد غليلهْ
لم تدع إلا رفيفاً من نسيمٍ في خميلهْ
وخيالاتٍ يُداوي طيفُها نفسي العليلهْ
والرسالاتِ اللواتي والأكاذيبَ النّبيلهْ

من لي؟

اناشدك الهوى هل أنتِ مثلي
نهاري فيكِ أشجانٌ وليلي
زمانٌ لا يفارقني عذابي
ولازمني الشقاءُ به كظلّي
كأن الليلَ أصبح لي مداداً
أسطّر منه آلامي ويُسملي
حياتي فيه قفرٌ بعد قفرٍ
وعمري فيه كالأبدِ المُمِلّ
أبعد جوار هندٍ والأماني
أكابد جيرةَ النجمِ المُطِلّ
احبكِ لا أُمَلُّ لقاكِ يوماً
ومن لي بالذي يُدنيكِ من لي؟
أحبكِ لست أدري سرَّ حبي
وعلمي فيه أشقاني كجهلي
اقول لعلّ هذا الدهرَ يصفو
ويا أسفاه لو تُغْني لعلّي
احاول سلوةً وأرى الليالي
بغيرِ هواكِ لي هيهات تُسلي

في لبنان

قلبٌ تقسّم بين الوجدِ والألمِ
هل عند لبنانَ نجوى النيلِ والهرمِ؟
اشكو جوايَ إلى الروحِ التي احتضنتْ
ناري وضمّتْ إلى أسقامِها سقمي
وقاسمتني الهوى حتى إذا رحلتْ
ألقت فؤاديّ بضنكٍ غيرِ مقتسمِ

ميثـاقُنا أسـطرٌ من مـدمـعٍ ودمٍ
يا طاهر النفحة اذكـرْ طاهـرَ القَسم
يـا من أعـاتب دهـري إذ أودِّعُـهُ
ومـا عتـابي على الأقـدارِ والقسمِ
إنّ النـوى غـرَّبتْـهُ وهي عـالمـةٌ
أني رجعتُ أُداري النـارَ بـالضـرمِ
ورنّحتْ بعـده خـطوي ومـا عـرفت
من عثرة الحظِّ أم من عثرةِ القـدمِ
خَلَتْ وران عليهـا الصمتُ وانقلبتْ
كـأنمـا لفّهـا ثـوبٌ من العـدمِ
بـالله أيـامَنـا هـل فيـكِ متّسـعٌ
ونحن من سَـأمٍ نمشي إلى سَـأمٍ؟
ومـا أرقّـع ثـوبـاً فيـك منخـرقـاً
لكن أرقِّـعُ جُـرحـاً غـيـرَ ملتئمِ

في شم النسيم

أنت يـا من جعلت روض حيـاتي
مـهـدَ وردٍ إلـيـكِ وردكِ رُدّا
آيـةُ الـورد أنـه نـفـحـةٌ مـنـ
ـكِ ومن عـطركِ العبيرَ استمـدّا
هـذه بـاقـةٌ من الـورد تجـتـنُو
مَلكٌ في الـريـاض أصبـح عبـدا
يـا جمال الجمال من خلّد الحسـ
ـن جميعاً في نظرةٍ منـك تَنْدى؟
يا صباح الصباح من يَمْلكُ الأضـ
ـواء وصفـاً أو الفـرائـد عَـدّا؟
ليس بـدعاً يـا وردة العمر أن كـا
نت لمغنـاك وردة الـروض تُهـدى

لا تـظنـي ورداً يـكـافـيء ورداً
أنـت أغلى حـسـنـاً وأكـرم وردا
غيـر أني وإن عجـزت عن التقـ
ـديـر حـاولت مـا تمكّنتُ جهـدا
بـاعـثـاً لـلوفـاء ورداً ولـلـقـلـ
ـب إلـى أعـمـق الـسـرائـر ودّا
وإلـى العـيـد أنـت عـيـدٌ لأيّـا
مي جميعاً أنت الحبيبُ المُفَدّى

في العيد

أفـديْ نـهـاراً طـلـعـتِ فـيـه
نـجمَ جـمـالٍ ونـجـمَ سـعـدِ
إنـي لـهـذي الـعـيـونِ عـبـدٌ
والـدهـرُ إمـا رضيتِـهِ عبدي
إن كـان عـيـدٌ بـه وورودٌ
فـأنـت عـيـدي وأنـت وردي
يـا خير من سرَّ في وجودي
إنـك كـلُّ الـوجـودِ عـنـدي
عـنـدي خفيٌّ من الأمـانـي
أضعـافَ مـا جئتُ فيـه أبدي
معـذرةً فـي الـقـلـيـل إنـي
والله أعـيـا الكـثـيـر جُـهـدي
يـا فـتـنـتـي والـهـوى ديـونٌ
حـسـبـيَ انـي لـه أؤدّي
ما أنت من أنت هل مجيبٌ
على سؤالٍ بغير ردّي
لـم يـخـلق الله مـن جـمـالٍ
يـلـقّـه فـي سَـنـيّ بُـردِ

حسنٌ قُصاراه من شفاءٍ
عطرُ ثناءٍ وطيبُ حمد
ويخلق الله معجزاتٍ
يجمعها كلّها بفردِ
بسحر عينيكِ كيد باغٍ
وسحر عينيك للتحدّي...

رثاء كلب صغير

قالت «لميكي» سِرْ بنا   نمشي لحاجتنا الهُوَيْنى
فأطاع مسروراً كعا   دته ولم يسأل لأيْنا

* * *

فيم السؤال وكل شيءٍ   طيِّبٌ من أجلها
وبنفسه حبٌ قُصاراه   الحياةُ بظلها

* * *

ماذا تغيَّر عزّة   أو ذلّة في حبها
سارت وكلُّ متاعِهِ   في أن يسير بقربها

* * *

يستاف نعلَيْها ويأ   بى في الوجودِ مُنافسا
فإذا تخيّل دانياً   من تربها أو لامسا
يختال مِلْءَ نُباحِهِ   زَهْواً ويخطرُ حارسا!

* * *

عجباً له ولزهوه   ما يصنع الواهي الصغيرْ؟
ما يصنع النابُ الضعيـ   ـفُ وما يُخيفُ ولا يُجيرْ؟

* * *

لكنّ «ميكي» لا يبا   لي أن يموت فداءها
في وثبه هيهات يسـ   ـأل ما يكون وراءها

* * *

الأمرُ كلُّ الأمر أن يغدو يدافع دونها
والنفس تُنكر في الضحـ ـيَّة عقلها وجنونها

* * *

من ذلك الظلُّ الملا زم في الحياة وفي الطريقْ؟
المخلِصُ الوافي إذا عَزَّ المنادمُ والرفيقْ

* * *

من قلبُه صافٍ وديـ ـدنُه الولاءُ المطلقُ
فكأنما فيه الولا ءِ سجيَّةٌ تتدفقُ

* * *

وإذا أُسيءَ فإن أسـ ـمى الحبّ أن يُبدي رضاهْ
والصفح عند ذوي القلو بِ البيضِ من قبل الإساءَهْ

* * *

مهما نظرت له نظر ت إلى مَعِينٍ من حنان
يُفضي إليك بسره الـ ـذَنَبُ الصغير ومقلتان!

* * *

لا بأس إنّ هند جفت وقست أليست ربَّتَه؟
أقصَتْهُ ثم تلفّت ترجو إليها أوبته

* * *

زَجَرتْه أو نهرته أو كفَّتْ على جُرْمٍ يده
فهي التي لم تَنْبِسْهُ والأكل ملءُ المائده

* * *

وهو الذي في بعدها لم يألُها طولَ ارتقاب
يقظان ينتظر المآب وَثَوى يُراقبَ خَلْفَ بَاب

* * *

هند التي اتَّخذتـه من   دون الخلائق إلْفَها
بحثت عن الإلْف الصغـ   ـير فلم تجِدْه خلفها

* * *

ميكي! وما ميكي ومصر   عُه على الدنيا جديد
نفسٌ يذوب وصرخةٌ   تدوي هنالك من بعيد

* * *

وتلفَّتت هندٌ لسمو   ضعه تغالب وَجْدَها
لا شيءَ. قد سارت برفـ   ـقته وترجعُ وحدها

* * *

خرجت به جذلانَ يضـ   ـحك مثلما ضحك الصباح
فكأنما خرجت به   ليُلاقيَ القَدَر المُتاح

* * *

سارتْ به صبحاً وعا   دت بالمواجع والدموع
يغدو الحزينُ على الأسى   وأشقُّ شَطْرَيْه الرجوع

* * *

خطاب

قَبَّلْتُ خطَّك ألْفا
ولم أدَعْ منه حرفا
قد كنتِ توأم قلبي
وكنتِ في الغيبِ إلفا
يا هند ما الحسن إني
أُجِلُّ حسنَكِ وصفا
رأيتُه بخيال
على جمالك رَفَّا
وكيف أخفي اشتياقي
ما بيننا ليس يَخْفَى!

آه

آهِ مــن مَــيَّــة آهٍ ثــم آه
وحــبيــبٍ ســحــرتــنـي مــقــلتــاه
لــو تمنَّيتُ قُبَيْــل المــوت مــاذا
أتــمــنـى؟ قــلـت تــقــبـيــل ثــراه!
أتــمــنـى الــمــوت مــن مــقــلتِيــهِ
مــا الــذي يمنــع أن أشتــاق فــاه
آهِ مــن مَــيَّــة آهٍ ثــم آه
وحــبيــبٍ عــزّنـي الــيــوم لــقــاه!

في ليلة غارة

يــا ميَّةَ الحسنــاء هل يغــزو الهوى
قلبيْــن مــا كــانــا على مــيعــادِ؟
لا شيءَ إلا أن ذُكــرتِ فهــزّني
طربٌ وبــات على الحنين فؤادي
وظــللتُ أحلم والتفتُّ لســاعــةٍ
تــدنــو إليَّ بــطيفِــكِ المــيَّــادِ
يــا مَيُّ إني قــد مُنيت بــظلمــةٍ
والليــلُ يجثم فــوق صــدر الــوادي
فــأنــرتِ لي قلبي وصــرتُ كــأنمــا
هــذا الســوادُ الجَهْمُ غيــرُ ســوادِ

سمراء المحفل

مَلَكي ومحـرابي وقـد ... سَ فـؤاديَ المتبتِّلِ
لمن الجمالُ الفخمُ ير ... فُلُ في الغلائلِ والحُلِي؟!
متـألباً في خـاطـري ... متـألقـاً في المحفـلِ
إقبلْ بما ولَّت بـه الد ... نـيـا وهـاتِ وعـلِّلِ
وابسط جناحكَ فوق قلـ ... ـبيْنـا الـغـداة وظلِّلِ
طِرْ حيث شئتَ فإن دنو ... تَ لنـاظـري فتمهـلِ
واهاً لهذي الطلعةِ السـ ... ـمـراءِ عنـد المجتلي
بغـلائـل الأضـواءِ وشّـ ... ـتْهـا رقـاقُ الأنمـلِ
وشَّت بشـاشتُهـا نضـا ... رةً وجهَـك المتهـلِّلِ
فكـأن طفلَ الفجـرِ نـا ... مَ على وسادةِ جدولِ!

روض الحسن

في أيِّ روضٍ من رياضِكِ أمرحُ
وبـأيِّ آلاءِ لـدَيـكِ أسَـبِّـحُ؟
ثـمـرٌ على ثـمـرٍ وإن المُـجْـتـنى
ليحار من عذب الجنى مـا يطرحُ
بـالشعـر أم بـالـمقـلتيـن معـلَّقٌ
من نـاظريْ وخـواطـري لا يبـرحُ
تلك المحاسن في نُهايَ جميعُها
رقَّـافـةٌ ومـغـرِّداتٌ صُـدَّحُ
فـإذا غفـوتُ فـإنني أُمسي بهـا
وعلى مغـانيهـا الفـواتنِ أُصبـحُ

قلبي الثاني

أحببتُ ميّة حبّاً لا يُعادلهُ
حبٌّ وأفنيتُ فيها العمرَ أجمعَهُ
أُحبُّ عمري الذي في قربِ ميٍّ وما
قد مرَّ من دونها ما كان أضيعَهُ
يا ميُّ يا قلبِيَ الثاني أعيش بهِ
وإن يكنْ فوق ظنِّي أنّني معهُ
يا بضعة من كيان الصبِّ نابضةً
بكل حُبٍّ به الرحمن أودعهُ

ما أضيع الصبر

ما أضيع الصبر في جُرحٍ أداريهِ
أريد أنسى الذي لا شيء ينسيهِ
وما مجانبتي من عاش في بصري
فأينما التفتتْ عيني تلاقيهِ!

ما حيلتي

ما حيلتي يا هند وجهك لاح لي
بأنوثةٍ جبّارةِ الطغيانِ
يا هندُ أين رجولتي وعزيمتي
في قرب وجهٍ ساحرٍ فتّانِ؟
وأنا حزينٌ ظامئٌ قد جدَّ لي
وِردٌ وراء مَعينِهِ شفتانِ!

يا نسيم البحر

يا نسيم البحر ريانَ بطيب
ما الذي تحمل من عطر الحبيبِ؟
صافحتني من نواحيك يدُ
تمسح الدمعةَ عن جفن الغريبِ
وتلقّاني رشاشٌ كالبكا
وهديرٌ مثلُ موصول النحيبِ

ذات ليلة

بين سهدٍ وعذابٍ وضنى
مرَّ ليلي، ذاك حالي وأنا
أسألُ الأنجمَ عن حالِ المنى
يا حبيبي كيف صارت بيننا
كيف أمسى يا حبيبي عهدُنا
بعدما طاب هوانا، ودنا
كلُّ ما كان عبيداً، ورنا
كلُّ نجمٍ من سماوات السنا!
آه لو ينظر حالي الآن آه
حينما ضاقت بآلامي الحياه
ندم النجمُ على غالي سناه
ورأى كيف انطوينا فطواه

الى هند

غـرامـكِ لـي مـعـبـدُ طـاهـرٌ
دعـائـمُـهُ شُيِّـدتْ مـن ولـوعي
تـعهـدتُ مـحـرابَـه بـالـوفـاء
وأوقـدتُ فيه الهـوى من شمـوعي
جـوانبُـه من دمـوعـيَ قـامـتْ
وأضلعُـه بُنِيتْ من ضلوعي
ومن ذا رأى هيكـلًا في الـوجـودِ
يُـقـام على عـمـدٍ من دمـوعِ؟

يا دار هند

إنـي لأقـنـع مـن ظـلالِ أحبّتي
بـحـنـان أخـتٍ أو بـكـفّ مـسلّمِ
وبـجلسـةٍ طـابـت لـديّ بغـرفـة
حملت عبيـرَ الغـائب الـمتـوسّـمِ
يـا أخـت هـنـدٍ خبّـريـهـا أنـنـي
صبٌّ يعيش بمـهجـة الـمـتـألـمِ
صبٌّ سئمتُ من الحيـاةِ بـدونِـهـا
أنـا لا أحـبُّ إذا أنـا لـم أسـأمِ
ومـضـى الـنـهـارُ ولا نـهـارَ لأنـهُ
يمتـدُّ عـنـدي كـالفـراغ الـمظلمِ
يـا دار هـنـدٍ إن أذنـتِ تـكـلّمـي
يـا دارهـا عيشي لهـنـدٍ واسلمي
فـدمي الفـداءُ لحبّ هنـدٍ وحـدهـا
وأنـا المقصّرُ إن بـذلت لهـا دمي
ولقـد حلفت لهـا ودمعي شـاهـدٌ
أني فنيتُ علمتِ أم لـم تعـلمي!

شفاعة

لا تمْسَحُ رَوْعَتَها بـذكـر فعـالهـا
دعْهـا تمرُّ كمـا بدت بجـلالهـا
لا تنكـرنَّ الشمسَ عند غـروبهـا
أوَ مـا نعمتَ بـدِفْئِهـا وظـلالهـا؟
إن كان فاتك مجدها رَأْدَ الضُحى(؟!)
فـاحمـدْ لهـا مـا كـان من آصـالهـا

قسوة

قَسَتِ الـحيـاةُ عـلى الـطريـ
ـدِ فـقـمْ بـنـا نَـنْـعَى الـحـيـاةْ
وقـسـا الحـبـيـبُ عـلى الـغـريـ
ـبِ فـلا الـدمـوع ولا الصَّـلاةْ
فـرغ الـحـديـثُ ومـن رواه
طُـوِيَ الـكـتـابُ فـمـن طـواهْ؟
عـجـبـاً لـهـذا الـحـب مـن
بـدْءِ الـزمـانِ لـمـنـتـهـاهْ
وقـضـائِـهِ بـيـن الـذي
حـفظ الـوفـاءَ ومـن سـلاهْ
قـتـلى الـهـوى لا يُـذكـرو
ن ولا حـسـاب عـلى الـجـنـاهْ

محنة

هي محنةٌ وزمانٌ ضيقْ
وتكشَّفتْ عن لا صديقْ
جرَّبتُ أشواكَ الأذى
وبلوتُ أحجارَ الطريقْ
وكأنَّ أيّامي التي
من مصرعٍ ليست تفيقْ
وكأنَّ موصولَ الضنى
يمتاحُ من جُرحٍ عميقْ
زرعٌ على ظُلَلٍ فذا
أبداً لصاحبه رفيقْ
هذا الذي سَقَت الدمو
عُ وذاك ما أبقى الحريقْ

الحب والربيع

جدّدي الحبَّ واذكري لي الربيعا
إنني عشت للجمال تبيعا
أشتهي أن يلفَّني ورق الأيـ
ـكِ وأثوي خلف الزهورِ صريعا
آه دُرْ بي على الرِّفاق جميعاً
واجعل الشمل في الربيع جميعا
لا تقل لي أشتر المسرَّة والجا
ه فإنّي حُسنَ الربى لن أبيعا
فلغيري الدنيا وما في حماها
إنني أعشقُ الجمالَ الرفيعا
أنا من أجله عصيتُ وعُذِّبـ
ـتُ وأقسمتُ غيرَه لن أطيعا

وبطيبِ الربيع أقتاتُ زهراً
وعبيراً ولا أكابد جوعا
فهو حسبي زاداً إذا عفَت الدُنيا وأقوَتْ منازلاً وربوعا

الى ابنتي ضوحيه

يا من طلبتِ الشعرَ هاك تحيّتي
وهواي يا روحي ويا ضوحيّتي
أيُرادُ تفصيلٌ لما عندي وكم
قلب وموجز أمره في لفظة
لكن فنُّ الشعر وردُ أحبة
يُهدى فهاك قصيدتي بل وردتي
والشعر روضٌ يانعٌ وعبيرهُ
سارٍ إلينا من عبير الجنّةِ
وأراكِ روضة رقةٍ ومحاسنٍ
هل روضةٌ تهدي البيان لروضةٍ؟
فإليك يا أغلى عزيزٍ يا ابنتي
وأحبُّ من تصبو إليه مهجتي
تذكار والدك المحبُّ وديعةً
فإذا ذكرت فهذه أمنيّتي
والحظُّ مثل الرسم إن يوماً نأى
رسمي فللأثرِ العزيز تلفّتي

غيوم

أملٌ ضائعٌ ولبٌّ مشرَّدْ
بين حبٍّ طغى وجُرحٍ تمرّدْ
وضلالٌ مشت إليه الليالي
هاتكاتٍ قناعه فتجرّدْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ
لم يكد يلثم الصباحَ المسوّدْ
غفر الله وهمها من ليالٍ
صوّرت لي الربيعَ والروض أجردْ
قاسمتني الورقاءُ أحزانَ قلبي
وشجاه وغرّدتْ حين غرّدْ
ثم ولّتْ والقلبُ كالوتر الدا
مي يتيمُ الدموعِ واللحنُ مفردْ
ما بقائي أرى اطّراد فنائي
وانتهائي في صورةٍ تتجدّدْ
ورثائي وما يفيد رثائي
لأمانٍ شقيةٍ تتبدّد
عبثاً أجمع الذي ضاع منها
والمنايا منّي ومنها بمرصدْ
وبقائي أبكي على أملٍ با
لٍ وأحنو على جريحٍ موسَّدْ
واحتيالي على الكرى ويجفني
فتادٌ ولي من الشوك مرقدْ
وشكاتي إلى الدجى وهو مثلي
ضائعٌ صبحهُ ضليلٌ مسهّدْ
وشخوصي إلى السماء بطرفي
وندائي بها إلى كل فرقدْ

فجعتني الأيامُ فيه فلم يَبْـ
ـقَ على الأرض ما يسرُّ ويُحمدْ
ذهبت بالجميل والرائع الفخـ
ـمِ وطاحت بكل قدسٍ ممجّدْ
مالَ ركنٌ من السماءِ وأمسى
هلهلَ النسج كلُّ صرحٍ مُمرَّد
ربِّ عفواً لحيرتي وارتيابي
وسؤالٍ في جانحي يتردّدْ
هو همس الشفاه ما هو شكٌ
لا ولا ثورةٌ فعدلك أخلدْ
أين يا رب أين من قبل حيْني
ألتقي مرةً بحلمي الموحّدْ؟
بخليلٍ ما ردّه كيدُ نمّا
مٍ ولم يَثْنِه وشاةٌ وحُسّدْ
وحبيبٍ إذا تدفّق إحسا
سي جزاني بزاخرٍ ليس ينفدْ
وعناقٍ أحِسُّه في ضلوعي
دافقاً في الدماءِ كاليمِّ أزبدْ

ذهب العمر

قضيتَ العمر تذكر لي وأذكر في الهوى جرحكْ
فقم نسخرْ من الأملِ ومن أعماقنا نضحكْ!

* * *

وقم نسخرْ من الدنيا وقم نَلهُ مع اللاهي
طويتُ صحيفة الأمسِ فَدَعْها في يد اللّهِ

* * *

هي الدنيا كما كانت   وماذا ينفع الوعظ
وما عتبت ولا خانت   ولكن خانك الحظُّ

* * *

أردنا الجاهَ والذهبا   فلم يتلطّف المولى
وهذا العمرُ قد ذهبا   وأحسن ما به ولّى

* * *

رباعيات

صيّرَك الحسن أميرَ الوجودِ   والشعر من درّاته كلّلكْ
مستلهماً منك معاني الخلود   فكل تاجٍ في العلى منك لكْ

* * *

فَناهِبٌ برقَ الثنايا العذابْ   وسارقٌ ياقوتةً من فمكْ
وكل تغريد الهوى والشبابْ   أغنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفيع السنا   والجوهر الغالي الذي صدْتُهُ
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا   وكل فضلي أنني صُغْتُهُ!

* * *

لا فكر لي، عشتُ على فكرتكْ   اقبس ما اقبس من غُرّتكْ
ودمعتي تقتات من عبرتكْ   فانظر بمرآتي إلى صورتكْ

* * *

أشقاني الحبُّ وقلبي سعيدْ   يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكْ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ   بلوغُه المجد على سُلّمكْ

* * *

لا شيء من يوم النّوى منقذي   إني امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنت باقٍ والجمال الذي   غنّى به شعري ليومي الأخيرْ

* * *

انظر إلى آيات هذا الجمالْ ترتدُّ عنها عاديات البلى
عاجزةَ الباع ويأبى الزوالْ لوردةٍ من عَدْن أن تذبلا

* * *

للأنفس الظمأى إليك التفاتْ ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياعْ
ولي التفاتٌ لسريِّ الصِّفاتْ واللؤلؤِ اللمّاح خلف القناعْ

* * *

قلبي مع الناسِ وفكري شَرودْ في عالَمٍ رَحْبٍ بعيد الشِّعابْ
عيني على سرٍّ وراء الوجود وبغيتي عرشٌ وراء السحابْ!

* * *

كم طرتَ بي واجتزت سور الضبابْ والضوءُ ملءُ القلب ملءُ الرحابْ
وعدت بي للأرض أرض السَّرابْ والليلُ جهمٌ كجناح الغرابْ

* * *

أريْتني الغيبَ الذي لا يُرى كشفتَ لي ما لا يراه البصرْ
ثم انحدرنا نستشفُّ الثرى علَّ وراءَ التُّرب سرُّ السفرْ

* * *

صدري وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ تصوُّري أعجب ما في الزمانْ
موج على لُجّته خافقان قرّا على أرجوحةٍ من أمانْ

* * *

كمركب في البحر يومَ اغترابْ ما أبعد المحنة بعد اقترابْ
هيهات يُنجي من شطوط العذابْ إلّا عبابٌ دافقٌ في عبابْ

* * *

ملأتُ كأسي وانتظرتُ النديم فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم أقلُّ ما في لفْحِهِ يقتلُ

* * *

أنت كريمُ الودِّ حُلوُ الوفاءْ فما الذي عاقَكَ هذا المساءْ؟
وما الذي أخّر هذا اللقاءْ وحرَّم النبع وصدَّ الظماءْ؟

* * *

أذمّ هذا الوقت في بُطئِهِ آخرهُ يعثرُ في بَدْئِهِ
لله ما أحمل من عِبْئِهِ وما يُعاني القلبُ من رُزْئِهِ

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللغوبْ
رنينها يقلق صمَّ الصدورْ وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهباً لم يشْفِ مني الغليلْ ما أسرع العقربَ عند الرحيلْ
هتفتُ قف لم يبق إلاّ القليلْ وكلُّ حيٍّ سائرٌ في سبيلْ!

* * *

يومٌ تولّى أو ظلامٌ سجا كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحد اليوم تلاه الدُّجى أم أحد الليل تلاه النهارْ؟

* * *

إنْ نَوَّر النجمُ به مرّةً فإن إشراقَكَ لي مرّتانْ
وكيف يُبقي الشكُّ لي حيرةً ولي على برج المنى نجمتانْ؟

* * *

فهذه تلمع في خاطري مِلءُ دمي إشراقُها والبهاءْ
وهذه تومىءُ للساهرِ والليل صافٍ وأديم السماءْ

* * *

وهذه تجلو كثيف الغيومْ وهذه تَذْرأ عني الهمومْ
وتَمحق الحزنَ وتأسو الكلومْ فما الذي أجرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هيهات أنسى دُرَّة الأنجمِ إليَّ من آفاقها ترتمي
وفي جريحٍ أعزلٍ تحتمي من أي هولٍ؟ هي لم تعلمِ!

* * *

إنَّ ضلوعاً تحتمي في ضلوعْ مقادرٌ ليس بها من رجوعْ
أخلدُ أصفاد الجوى والنزوعْ هوى الحزانى وعناق الدموعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى وأُبْتُ بالحكمة بعد الجنونْ
ومرَّ يومي هادئاً ساكنا وأيُّ شيءٍ خادع كالسكونْ

* * *

أرنو إلى الصحراءِ حيث الرمالْ نامت كأنْ اللفحَ فيها ظلالْ
يا ليت لي والدهر حالٌ وحالْ من وقدةِ الإحساسِ بعض الكلالْ

* * *

فاقبل الدنيا على حالها مسلِّماً بالغدرِ في آلها
وراضياً عنها بأغلالها محتملاً وطأة أثقالها

* * *

الرُّعْبُ سيَّان بها والأمانْ والحسنُ زادٌ سائغٌ للزمانْ
والوهمُ في حالاتها كالعِيانْ والحبُّ والكرهُ بها توأمانْ

* * *

وَدِدْتُ لو قلبي كهذي القفارْ أصمُّ لا يسمع ما في الديارْ
أعمى عن الليل بها والنهارْ وددتُ لو قلبي كهذي القفارْ

* * *

وددتُ لو عنديَ جهلُ الثرى تَعْمُر أو تقفر هذي البيوتْ
غفلان لا يعنيه أمرٌ جرى أيُولدُ الحيُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضي وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خدَّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلئُ السطحُ على ضيقهِ والوقتُ عندي كانفساحِ الأبدْ
حسدتُهُ والقلبُ في ضيقهِ أنا الذي لم أدْرِ طعمَ الحسدْ

* * *

وذلك (الجاز) وهذا النغمْ منتقلاً بين الرضا والألمْ
يحمل لي طيفَ خيالٍ قَدِمْ تراه عيني في ثنايا حُلُمْ

* * *

في واحةٍ يرسو عليها الغريبْ   فكلُّ ما فيها لديه غريبْ
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيبْ   إذا خلت أيامُها من حبيبْ

* * *

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه   ينكرها القلبُ الصَّبورُ الحمولْ
وهكذا يذهب طِيبُ الحياهْ   بين التمني واعتذار الرسولْ

* * *

هنا مِهادُ الحبِّ هل تذكرينْ   وها هنا بالأمس طاب السمرْ
وتلك أحلامُ الهوى والسنينْ   يحملها التيَّارُ فوق النهرْ

* * *

والقمرُ الفضيُّ بين الغيومْ   يخفق كالمنديل عند الوداعْ
يا حسرتا! هل صوَّرتهُ الهمومْ   كالزورقِ الغارقِ إلَّا شراعْ

* * *

قد جللته غيمةٌ عابرهْ   تسحبُ أذيالَ الأسى والندمْ
وأغرقتهُ موجةٌ غامرهْ   فأطبق الصمتُ وَرَانَ العدمْ

* * *

ضممت أضلاعي على نعشِهِ   فلم يزلْ فيها لهاوٍ شعاعْ
لأيِّ غورٍ زالَ عن عرشِهِ   وغاص في اللجِّ إلى أيِّ قاعْ

* * *

أرثي لحظِّ الأفق وهو الذي   يرمقُني بالنظرة الساخرهْ
وتهرب الأنجمُ هذي وَذي   ويجثم الليلُ على القاهرهْ

* * *

ويزحف الكونُ على خاطري   كأنه في مقلة الساهرِ
سَدٌّ من الرُّعبِ بلا آخرِ   يعبُّ عُبَّ الأبدِ الزاخرِ

* * *

وفي ظلال الموت موتِ الوجودْ   وخلفَ أطلال البِلى والهمو

وبين أنفاس الرّدى والخمودْ   وتحت سُحْبٍ عابساتٍ وسودْ

* * *

تدفعني عاصفةٌ عاتيهْ   تقصف من خلفي وقُدّاميهْ
قد مزّقت روحي وآماليَهْ   وقرّبتْ لي طرَفَ الهاويهْ!

* * *

تلمع في الظلمة أحداقُها   قد رحّبَتْ باليأس أعماقُها
شافية النفس وترياقُها   مشتاقةً أقبل مشتاقُها

* * *

قد كان لي عندك عزُّ الذليلْ   وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع في ظَنّيَ قبل الرحيلْ   فانطفأ النورُ ومات القليلْ

* * *

فداكِ يا جاهلةً ما بيَهْ   قلبي وأنفاسي الظمّاء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتي الداميَهْ   ولهفتي أَلْهَثُ خلف القطارْ؟

* * *

وعودتي أجرع كأسَ الحياه   مُعاقِراً سُمَّ الفناءِ البطيءْ
أَنْكِرُ أو أفزَعُ ممن أراه   سيانِ من يذهب أو من يجيءْ

* * *

وليلةٍ فاضت بوسواسها   تعجبُ من إلْفين بين البَشَرْ
ذلك يعدو خلف أنفاسها   وهذه تتبع سير القمرْ

* * *

تتبعه بين الرُّبى والشِّعابْ   تتبعه يسري خلال السحابْ
كم هَلَّلَتْ وهو يضيء الرِّحابْ   والتفتَتْ محسورةً حين غابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيورْ   في فَلَكٍ من ضوء ليلى يدورْ
يقفو خطاها وهي بين الطيورْ   لها جناحان مراحٌ ونورْ

* * *

كزورقٍ يعبرُ بحرَ الوجودْ   له شراعان ولحظٌ شَرُودْ
كم شرّقا أو غرّبا في صعودْ   وارتفعا حتى كأن لن يعودْ

* * *

ليلى ارجعي إني شقيٌّ كئيبْ   أهتف مفقودَ الهُدى والقرارْ
يا هاته الأوطان إني غريبْ   وعالمي ليس هنا يا ديارْ!

* * *

تركتني وحدي وخلفتني   أرزح تحت المبْكيات الثقالْ
أنكرتِ ميثاقي وأنكرتني   أكُلّ ماضينا وليد الخيالْ؟

* * *

فرغت من أحلامه وانطوى   بِمُرّهِ وارتحتُ من عذبِهِ
الأمرُ ما شئتِ فذنب الهوى   على الذي يكفر يوماً بِهِ

* * *

كان إلى الله سبيلي وما   كان إلى الإيمان دَرْبٌ سواهْ
وكان في جُرح الهوى بلسما   وكان عندي منحة من إلهْ

* * *

مهما تكن ناري فإنّ الجحيم   أرأفُ بي من ظلم هذا البعادْ
وربّ همّ مُقْعِدٍ أو مقيمْ   قد لطّفَتْهُ نسماتُ الودادْ

* * *

فخفَّتِ النارُ وقرّ الهشيمْ   وعاودتني الذِّكَرُ الغابرهْ
والنيلُ يجري هادئاً والنَّسيمْ   معربدٌ في الخُصَل الثائرهْ

* * *

كم تهتف الأيامُ: خانت فَخُنْ   ويح حياتي إنْ تَخُنْ أمسها
إن هنتُ هذا عهدُها لم يَهُنْ   ولا لياليها وإن تنسها

* * *

تُهيب بي الفرصةُ قبل الفواتْ   ويعرض الصّيدُ فلا أقنصُ
إني امرؤ زادي على الذكرياتْ   وما غلا عنديَ لا يرخصُ

* * *

ومطلبٍ في العمر ولَّى وفات وكان همّي أنه لا يفوتْ
كأن فجراً ضاحكاً فيّ ماتْ وملءُ نفسي مغربٌ لا يموتْ

* * *

في الشّام الحيِّ الذي لا يَبيدْ والأملِ الطاغي بأن ترجعي
أجدُّدُ العيشَ وما منْ جديدْ وأدّعي السلْوان ما أدّعي!

* * *

كم خانني الحظُّ ولا انثني أقضي زماني كلُّهُ في لعلْ
وتقسم المرآة لي أنني رَقَعْتُ بالآمالِ ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتني الصيفُ وخان الربيعْ وكان همّي كلُّه في الخريفْ
وما شَكاتي حين شملي جميعْ وانت لي أيكٌ وظلٌّ وريفْ

* * *

والآن قد مزّق عندي القناعْ موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ
وبدّد الوهمَ وفضَّ الخداعْ بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

وأسِفَ القلبُ لكنزي الذي غصّتْ به أفئدة الحُسَّدِ
صحوت من وهمي ولا كنز لي قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

* * *

أين زمانٌ مُكتسٍ يومُهُ بالحبِّ مَوْشيٍ بحُلْم الغدِ؟
من هاته الأيام محرومةٌ عريانةً الآمال والموعدِ

* * *

قد قتل الدهرُ هنائي كما ماتت بثغري ضحكات السعيدْ!
وربما رقَّ زمانٌ قسا فانعطف الجافي ولان الحديدْ

* * *

محقق الآمالِ أو واعدٌ بفرحةٍ يوم لقاء وعيدْ
فإن يَعِدْني ثار شكّي به كأنما وعد الليالي وعيدْ!

* * *

وا آسفا هذا سجلٌ كُتِبْ　　خَطَّتْهُ كفُّ القدَرِ المحتجبْ
ففيم عَوْدِي لقديم الحِقَبْ　　وفيم تَسْآلِيَ عمّا ذهبْ؟

* * *

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها　　وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضاقْ
وضاقتِ الدنيا على رحبِها　　أين نداماي وأين الرفاقْ؟

* * *

كفٌّ تَلُمُّ العمرَ والعُمرُ راحْ　　وقبضةٌ تجمع شملَ الرياحْ
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راح　　ليلٌ تولَّى وتولَّى صباحْ

* * *

هذا نهارٌ مات يا للنَّهارْ　　كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ　　وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

* * *

وذا مساءٌ صبغتْهُ الهمومْ　　بلونها القاني وهذي غيومْ
تحوم والظلمةُ فيها تحومْ　　تبسط مهداً ليّناً للنجومْ

* * *

كأن ثوباً في السماء احترقْ　　فلم يزل حتى استحال الأفقْ
ظلُّ دخانٍ أو بقايا رمقْ　　ولَمْ يعُد إلاَّ ذيولُ الشفقْ

* * *

وتزحف الظلماءُ زحفَ المُغيرْ　　حاجبةً ما دونها كالسِّتارْ
وكل حيٍّ وادعٍ أو قريرْ　　ما اختلف الشأن ولا الحظُّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ　　والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا تمضي وتمضي السنونْ　　وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

في شَجِّهَا حيناً وفي طَحْنِها　　سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشاكين من طحنِها　　نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ!

* * *

في معبَـــد اللّيل

الى اميرتنا

في عيد ميلادها الرابع عشر
١٠/٤/٤٦

إقبلي يـا «اميـرة» اللطف حبي
واقبلي من أبيـك هـذا الكتـابـا
إجعليـه ذكـرى لـه، وإجـمعي
الآراء فيـه واستكتبي الأصحابـا
جـعـل اللّهُ كل عمـركِ عيـداً
وربيـعـاً مـنـضَـراً وشـبـابـا

الى ابنتي

يا ابنتي أني لأشعر أنّي
ملأتِ مهجتي شموس منيرة
أشرقت فرحتان عندي فهذي
لعماد وهذه لأميرهْ
انتما فرقدان، وهو جدير
بالذي ناله وأنت جديرهْ
اغنما كل ما يطيب وفوزا
بالمسرات والأماني الوفيرهْ
وافرحا بالذي يطيبُ ويرجى
عيشةٌ نضرة وعين قريرهْ

ابد الخلود*

ما كان أقصر هذه من زورة
ما أشبعتْنا من بشاشة نازكِ
كلا ولا رّوى النهى من زهرةٍ
بالطهرتفصح عن سمات ملاتكِ
انا حمدنا لليالي انها
قد قرَّبتنا من سنيّ سمائكِ . .
أن كان اسعدنا الزمانُ بساعةٍ
فكأنها أبد الخلودِ حيالكِ

تكريم

قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي
أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام
المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة
الحديث الحلبية الأديب الراحل
سامي الكيالي سنة ١٩٣٢.

نفدي النزيلَ ونكرمن ... ان لم نكرمْه فمن؟
يا ضيف مصر أقم مقا ... م الأهل وانزلْ في وطنْ
انا اشتركنا في الاما ... لي والتقينا في المحنْ
فمن الشآم الى العرا ... ق الى الحجاز الى اليمنْ
والصرخة الكبرى كمو ... ج البحر تدوي في الأذنْ
تتباين الأصوات فيـ ... ـها لا يبالي بالثمنْ

* * *

نبغي الحياة وما الحيا ... ة سوى مماشاة الزمنْ
الدهر دفاق فكيـ ... ـف نعبّ من ماءٍ أسنْ
العصر عصر السابقيـ ... ـن الى الشواهق والفتنْ
لا عصر مفتنين بالا ... حلام غرقى في الوثنْ
ومقيّدين الى الثرى ... بين التخاذل والوهن
يا أيها الشرق الذي ... يدعو: رويدك واطمئنْ
انا اليك وللشبا ... ب رسالة لا تمتهنْ
قمنا لها! كل بنا ... حية رسول مؤتمنْ؟
ما في طلائعنا الضعيـ ... ـف ولا الذليل المستكنْ
ما في طبائعنا الخصا ... م ولا الحفيظة والضغنْ
انا جنود النور من ... علم ومن أدب وفنْ
القاتلون الجهل مثـ ... ـل البوم عشش في الدمنْ
انا لاعداء الجمو ... د وواضعوه في الكفنْ

* * *

يا أيها الضيف العـزيـ ـز نعمت بالعيش الحسنْ
يا مؤنس المصري في حلب ومـا ننسى المننْ
صـدر الشـآم حنـا عليـ ـك ومصر لو تدري أحنّ
بـردى لنـا، وصبـاه والـ ـجنـات والـطيـر المـرنْ
والأرز والـطود الـمعـ ـصّب بالجلال المطمئنْ
والنيـل نهـركـم ومـا زان الخميلةَ والفننْ
والقـوم أهـل والقـرى وطـن عـطوف والمـدنْ

الى امينة[1]

أرَبّاه أنقذني فأنت رميتني بقلبٍ على الأشواكِ والدم مشاءِ
«أمينة» هذا ما أتاني كتبته وعندكِ أخباري وعندك أنبائي

تحت الباب[1]

أقبلتُ أطرق منزل الأحباب
ودسست هذا الشّعرَ تحت البابِ
أترى أكون بثثت شوقي كلّه
وشرحت حالي يا أولي الألباب
يا جارة «الوادي» إذ الوادي أخي
وكريم «إحسان»[1] ولطف صحابِ
قسماً بموصول المودة بيننا
هذي الزيارة لم تكن بحسابي
قد يجمع الله الشتيت ويلتقي
نـاءٍ بناءٍ بعد طول غياب

تكريم[1]

يا صفوة الأحباب والخلّانِ
عفواً إذا استعصى عليّ بياني
الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ
هي فوق آيِ الحمد والشكرانِ
وأنا الذي قضّى الحياةَ معبراً
ومترجماً لخوالج الوجدانِ
أقفُ العشيةَ بالرِّفاقِ مقصراً
حيرانَ قد عقد الجميلُ لساني
يا أيها الشعر الذي نطقتْ به
روحي وفاض كما يشاء جناني
يا سلوتي في الدهر يا قيثارتي
ما لي أراكِ حبيسة الألحان؟
أين البيان وأين ما علمتني
أيام تنطلقين دون عنانِ؟
نجواك في الزمن العصيب مخدَّرٌ
نامت عليه يواقظ الأشجانِ
والناسُ تسأل والهواجسُ جمةٌ
طبٌّ وشعرٌ كيف يتفقان؟
الشعرُ مرحمة النفوسِ وسِرُّه
هِبةُ السماءِ ومِنحةُ الديانِ
والطبُّ مرحمه الجسوم ونبعُهُ
من ذلك الفيضِ العليِّ الشانِ
ومن الغمام ومن معينٍ خلفَهُ
يجدان إلهاماً ويستقيان
يا أيها الحبُّ المطهرُ للقلو
ب وغاسل الأرجاس والأدران

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما
يشدو بها روحان يحترقان
أنفا من الدنيا وفي جسديهما
ذُلُّ السجين وقسوة السجانِ
فتطلعا نحو السماءِ وحلّقا
صُعُداً إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلفَ الغمام وأترعا
كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ
اكتبْ لوجه الفنِّ لا تعدلْ بهِ
عَرَض الحياةِ ولا الحطام الفاني
واستلهم الأمَّ الطبيعةَ وحدَها
كم في الطبيعةِ من سَري مَعانِ
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرُها
ما حاجة الشعراءِ للتيجانِ
«هوميرو» أمّرهُ الزمانُ لنفسه
وقضت له الأجيالُ بالسلطان
اهبطْ على الأزهار وأمسح جفنَها
واسكب نداك لظامىءٍ صَدْيانِ
في كلِّ أيكٍ نفحةٌ وبكل رو
ضٍ طاقةٌ من عاطر الريحانِ

عجبا!

يا هاجري، يا من هجرتَ بلا سببْ
أترى العقاب بغير إثم قد وجب؟
عجباً لقرص الشمس في البيت احتجب
عجباً . لأعجب ما يكون من العجب

بعد اعتزال الأدب

صديقي «سعفانُ» ألف سلامْ ولا زلتَ صاحبيَ المرتقبْ
ستعجب من صورتي هذه ألم تر أني اعتزلت الأدب؟

امير الكمان

«تحية لأمير القيثارة سامي الشوا»

آه من لحنٍ سما وي عجيب النغماتِ
أيها الساحر لم تضـ ـرب بقوس، بل عصاة
يا أبا الفن المصفى هات ألحانك هات
في شطوط النيل، مهد الـ ـفن، مهد المعجزات
«الصَّبا» في ريح «لبنا ن» رقيق النفحات
«وحجاز». راقص او مات من «شط الفرات»
نحن أبناء المعالي نحن أبناء الغزاة
غننا لحن أبينا الـ ـشرق، واهتف بالحُماة
هاتِ لحنَ الشرق.. ما أجـ ـدره بالعبرات
هو أرض المجد، أرض الـ ـخلد من بدء الحياة
هات لحن الشرق هات.. هاتِ لحن الشرق هاتِ
رُب لحن قدسيٍّ من جنان الخلد آتِ
جعل الأرواح في هيـ ـكله مزدحمات
حشدَ العالم كالعُبّـ ـاد قاموا للصلاة
جَمَعَ الناسَ على الـ ـحبِّ وأدنى من شتات

شفاء . . . وشفاء[1]

إن يكن «مظهر» يا زيـ ـنب، ربّ المعجزات
مِبْضعٌ يأسو ويشفي في الأكف الشافيات
وفتى كالملَكِ السا حر حلوُ الكلمات
وله مجد المجدّ ين وأقدار الثقات
فوق أخلاق كريما ت رقاق محسنات
إنه يَشفِي... وتَشفِي زينبُ بالبسمات
أبداً دأبكما الخا لد بعثٌ للحياة
ومسير الرحمة الكب رى كما فيَ النسمات
فاهنا... إنكما حـ قّاً سواء في السمات

تحية لضوحية

إليكِ يا ضوحيتي ابعث بالتحية
تحيةً من قلمي ومثلَها من مهجتي
إنك كالزهرة في جمالها والرِّقة
تقبّلي من روضة الأ شعار خير زهرة
عبيرُها خواطري ولذُّها محبتي

حبان[1]

كرقة طبعك، كالنسمة
ومن شاطىء البحر، ضَوْحِيَتي
أزف إليك جميلَ البيان
وأوجزُ حبيَ في لفظةِ
أحبك حُبَّين... حب ابنتي
وحبي لما فيك من رقة

في معبد(1)

دنـا الـمـوعـدُ والغـرفـ ـةِ وكـر لـلـمـواعـيـدِ
وجـاءت ربّـة الـحـسـن كـمـزمـور لـداوودِ

* * *

قرفَ البشرُ في الصمت الـ ـذي خيم فـي الغـرفـةْ
وثـارت حيـرتي الهـوجـا ء بين الـفجـر والـعفـةْ

* * *

وثـارت. . . آه من ثـور ة هـذي اللهفـة الحيرى
هنـا الحسن الذي يـدعو ك في بسمـاته السكـرى

* * *

وهـذا الجسم يـا ظمـآ ن في دارك كم يـغـري
أطهـراً تـدعي اليـوم؟ فمـاذا نلت مـن طهـرِ؟

* * *

هنـا الحلم الـذي أبصـر تَ في غفـوة حـرمـانـكْ
هنـا الكـأسُ التي تـزري بمـا جمّعت في حـانـكْ

* * *

هنـا اللهبُ الـذي جُسّـ ـد في نهـدٍ وفي ساقِ
على مـذبحـه المعبـو دِ قـدم طهـركَ البـاقي

* * *

نـداءٌ بيـن عـيـنـيـك كهـذا الليـل مجهـولُ
يـجـاوبـه حـنـيـنٌ ثـا ر فـي قـلـبـيَ مـخـبـولُ

* * *

فقلت الليـل يـا من كنـ ـت عنـد الليـل قـربـانـا
لنغـرقْ في دخـان الجسـ ـمِ أشجـانـاً وحـرمـانـا

* * *

فنام الضوء خجلانا   على مصباح نشوانِ
قريرا لا تنبهه   سوى أنات تحنان

* * *

وكان الليل مرتميا   على النافذة الوسنى
تلصّصَ خلسةً يرنو   إلى معبدنا الأسنى

* * *

فشاع السرُّ بين الليـ   ـل والأنجم والزهرِ
وإذ بالفجر بساما   إلى الفين في خدرِ

* * *

لمن الصمت؟(1)

لمن الصمتُ والفؤاد المشرّد   اين من اسكر الربى حين غرّدْ؟
طائر . أم رأت عيون الأماني   حُلُماً مثل غيره قد تبدّدْ
أم قناع قد مزقته الليالي   عن هوى دون طائل فتجردْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ   لم يكد يلثم الصباحُ المورَّدْ
ليت شعري، إلام إطراق رأسي   وانحنائي على جريح موسدْ؟

القرية(1)

حبذا الريف والخلائق فيه   ضاحكات الوجوه تفترّ سحرا
من يراه وقد تبيّن فيه   زمراً في الزّحام تحشر حشرا
يحسب الضيق آخذاً في حماه   بخناق، ويحسب القوم أسرى
وهم النور والمحبة والقلـ   ـب طليقاً مع النسائم حُرا
منظر تلمح البساطة فيه   وترى طيبةً وبشراً وطهرا
منظرٌ تلمح السعادة فيه   لا تقل لي أرى شقاء وفقرا

انظر الجرة التي خلفوها   وانظر النيل ضاحكاً مفترا
عبدوا النيل مذ قديم وألقوا   كل عام له عروساً بكرا
مصر سحر ورقة وصفاء   لِمَ لا يعبد المحبون مصرا؟

عازفة البيانو[1]

ليس البيانو الذي راحت تحركه
يداك، أطوعَ من قلبي وأفكاري
لمستِهِ فتمشّى السحر بي، فكما
تهتز أوتاره تهتز أوتاري

سرب من الحور[1]

سرب من الحور الفوا   تن كالزهور نواضر
ألهمنني وأحطن بي   فجرى بشعري الخاطر
ألهمنني وشككن بي   ونسين أني شاعر
فإذا اعترفن فإنني   للفضل دوماً ذاكر
وأنا لـ «فلّة» عارفٌ   وإلى «أمينة» شاكر

سباق

فجرٌ أطلّ عليّ بالإشراقِ
والقلب يحفزني ليوم تلاقي
فطردتُ ثقل السهد لا ثقل الكرى
قلبي بوثبته يسابق ساقي
عيناي أم قلبي أم القدم التي
حثّت خطاها في مجال سباق
هذا قليل قد شرحت دفينه
وعلى ذكائك أنت فهم الباقي

* * *

فجر جديد

فجرٌ جديدٌ حالم خفاقْ لما يزلْ في عالم الآفاقْ
توهان في غمم الدجى قلقٌ
بحنينه.. بالحب... بالأشواقْ
ويود لو ضاق الظلام به فيهب مندفعاً من الأعماقْ
متحرراً من قيد ظلمته يرنو بعمق الروح. بالأحداقْ
فيحس لا شيء ينازعُهُ ويحول عنه السكون إذ ينساق
لا شيء ملتفا يعانقه غير السنا في ضوئه البراق
فيغيب في أحضانه ثملاً ويعب من فيض الهوى الدفاق
بانت له الدنيا على قلق «مشتاقة تهفو الى مشتاق»

نحو المجد[1]

يا أم مَن تستصرخين؟ من الذي
قدح اللظى المؤار في عينيكِ؟
يا أم هل تمشين نحو النار، أم
فُتح الوغى ومشى الجحيم إليك؟
ما حلّ بالحرية الحمراء؟ هل
سال الدم القاني على قدميكِ؟
يا ويلها من صرخةٍ مجنونةٍ
ضجتْ لها الآفاقُ من شفتيكِ
لا تجزعي يوم الفداءِ فكلنا
مهج تحلق كالنسور عليك
فتلفتي تجدي عرينَكِ عامراً
وتسمّعي، كم قائل لبيكِ
وقف الشباب فداء محراب الحمى
وتجمّع الأشبال بين يديكِ

والصقر تاجك، تاج فرعون الذي
جعل الشموسَ الزهرَ في كفيكِ
والمجدُ تاجُكِ والسهى لك موطنٌ
والشهبُ والأقمارُ في نعليكِ
يا مصر أنت الكونُ والدنيا معاً
وعظائمُ الأجيالِ في تاجيكِ

قدر[1]

لا تُدمني نظراً إليّ، فوالذي جعل الهوى قدراً على كفيك
ما تلتقي عيني بعينك لحظةً إلا رأيت صباي في عينيكِ

اعتذار[1]

أبعث الآن اعتذاري وأنا
حاضرٌ بالقلب والروحِ معكْ
لك ظلٌ مقتفٍ في خاطري
حيثما سرتَ مضى فاتبعكْ
أنا لا أومن بالبعد ولا
أحسب المقدور مني نزعك
أنت لا تبرح عيني، فلذا
لا تراني اليوم فيمن ودّعك

فرحتان[1]

قد زُرتُ أيكك بعد أن طال النوى
وإليه كنتُ محلقاً بخيالي
يا من جروا في البال، ما برحوا به
أترى جرينا عندكم في البال؟
عهد مضى بين الهواجس والمنى
والنفس بين تعجب وسؤال

حتى رجعته كأنما رجع الصبا
لي بالأزاهر والربيع الحالي
فإذا بقلبي فرحتان، فهذه
بلقاك أنت، وفرحة بـ «جلال»

مداعبة[1]

يا قرّة العينين يا «تملي» يا واسع التدبير والحيل
يا خالع الضرسين في سنة ومعقم الآلات في «الحلل»

في رثاء مطران

يا نفس إن راح الخليلُ وعنده
ورد الخليل فعجّلي برحيلي
حملوا على الأعواد فنّاً خالداً
وارحمتاه لكوكبٍ محمولِ
هو مصرعٌ للعبقريةِ روّعتْ
في عرشِها والتاجِ والإكليلِ

يا بحر[1]

يوم أبحرتُ فوق متنكِ تهوي بيَ امواجك الغضاب وتعلو
راعني حولُك الرهيب فخارت عزماتي ولم يعد ليَ حول
وترنحتُ بين جنبيك تلهو بي فتطغَى آناً وتهدأ آنا
كانت القطرة الضئيلة من لُـ ـجك أمضى مني وأخطر شانا
وأنا اليوم أجتليك من الشاطىء جي الأمواج مثل الجبال
فإذا بي أثور مثلك يا بحـ ـر وتنزو الأمواج في أوصالي
هو روحي الذي يحاكيك في البأ س ولكن يؤوده عبء جسمي

فإذا ما اجتلاك والجسم غفلا ... نُ توخّاك في مضاء وعزم
هو روحي الذي يحاكيك يا بحـ ... ـر ويخشى قلبي الجزوع أذاكا
ضعضع الجسم عزم روحي المُعَنّى ... يا أخا الروح بُث فيه قواكا

الربيع [1]

مرحى ومرحى يا ربيع العامِ
أشرق فذتك مشارقُ الأيامِ
بعد الشتاء وبعد طولِ عبوسه
أرنا بشاشةَ ثغرِكَ البسّامِ
وابعث لنا أرجَ النسيمِ معطراً
متخطراً كخواطر الأحلامِ

تحية [1]

(للأستاذ إبراهيم دسوقي اباظه)

متى نلتَها كانت لأنفسنا منًى
تلفتْ تجد مصراً بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى
وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكنَّ قلب الحر تعروه نشوةٌ
فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدرُ المنيرُ مكانه
ومُلِّكَ آفاق السما وتمكنا
فذلك تكريم الربيع لروضِهِ
جلاها الأباظيون وارفة الجنى

أجلْ روضة صارت لكل عظيمة
وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجدِ والعلى
إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي إذا راح سيد
غدا آخر نحو اللواءِ فما ونى
عصيُّ القوافي سار نحوك مسرعاً
ولبّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا
وأنت الذي فك القيودَ جميعَها
عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرةً
بذلنا له من أجود الشعرِ معدنا
دسوقي إذا أقللتُ فأقبل تحيتي
فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا
ولكنني صوت المحبين كلهم
ومن روضك الغالي وبستانهم جَنى
فراش على مصباح مجدِكَ حائم
وأي فراش من جلالك ما دنا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فدعني أقم عما يكنون معلنا

البندر(١)

أنظر وجوهَ القوم غرّ | تها بزينتها المدينهْ
مسكينه بلهاء لا | تدري الزمان ولا فنونهْ
يا من يغرِّبها إذا | أرست لصاحبها السفينهْ
الأفق مضطرب الحوا | شي والسماء بها حزينهْ
لا تحسن الدنيا إذا | ما المرء جن بها جنونهْ

وطغتْ منافعهُ عليـ ـه وضرن دنياه ردينهْ
العيش حيث الحب، حيـ ـث العطف صاف والسكينهْ

دعابة(١)

قد هنأوك بمجد الاسباني فمتى تكون مصارع الثيرانِ؟
أمنحت أوسمة، ومجدك أول ماذا يهمك من وسام ثان؟
إني أهنيك الغداة لأنني أهواك من قلبي ومن وجداني
إن المقطم والزمان كليهما الخالدان، وكل شيء فان

عيد «سونيا»

يا أبا الأشواقِ غنِّ وانقل الألحان عني
إن «سونيا» ذاتَ حسن ضارب في كل فن
إيه «سونيا» هجتِ شوقي وشجوني والتمني
إن تغنيني فإني طائر في كل غصن
إنني بالحسن أدعى وأغني كل حسن
إيه «سونيا» ذاك يومي فاسكبي لي، لا تضني
أفرغي سحر الهوى في خاطري من كل دنِ
إنما عيدك عيدي وهو يوم فوق ظني
لا أهنيك.. ولكن كل مخلوق اهنني

كيف أنساك؟

إيه «سونيا» أنت الرضا والحنانْ
كيف ضاعت بك الليالي الحسانْ
وغدا الدهر لحظة من سلام
وإذا كل ما عليه أمانْ
لا أرانا فيه خُدعنا إذا ما
بك عز الهوى وفات الهوانْ
كيف أنساك إذ نسيتُ شقائي
وعذابي، وليس بي أشجانْ
وإذا بي أرى لعينيك دنيا
خير ما فكرتْ به عينانْ

خشوع

جمالك الهادىء الرزين وسحرك الواضح المبينْ
ابدع ما مرّ في خيالٍ وخير ما أبصرت عيونْ
وسرّه أنت تجهلينْ وكيف لو كنت تعلمينْ
وكيف أضنى القلوب منا وكيف جئناه طائعين
وكيف نلقاك في سرور وكيف نلقاه خاشعين

دنيا

إيه «سونيا»... إيهِ سونيا أنت دنيا... أنت دنيا
أنت دنيا الحسن لكـ ـنَّ سماواتك عُليا

بك يلقى القلب ريّاً وبك الأنفاس تحيا
قد نسينا وطوينا كل ما قبلك طيّا
كل من يلقاك لا يذ كر في الأيام شيّا
غير «سونيا».. إن «سونيا» هي دنيا، أي دنيا!

تذييل

الدكتور ابراهيم ناجي
١٨٩٩ ـ ١٩٥٣

بقلم سامي الكيالي

ـ ١ ـ

حين واجه أدبنا المعاصر معركة «القديم والحديث» في الفترات التي مرت عقب الحرب العالمية الأولى، وبين العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن، تناولت المعركة فيما تناولته، قضية الشعر الذي رأى القدماء أن يسيروا على النهج القديم، وأن يظلّوا مشدودين الى الماضي بكل ألوانه، بينما رأى المحدثون، أن لا يقفوا هذا الموقف، وأن يساير الشعر تطورات الحياة المتعددة الجوانب، المتباينة الألوان.. ولم يكن «الشكل» موضع الجدل كما هو اليوم بل انصبّ الأمر على «المضمون»..

وكان عمالقة الشعر الذين جددوا الديباجة بعد البارودي وفي طليعتهم شوقي وحافظ والمطران، قد أطلوا اطلالة جانبية على منازع الحياة، وان ظل أكثر الشعراء مشدودين الى الماضي بشتى مظاهره وتياراته.

وكان خليل مطران بحكم ثقافته الغربية قد ألزم نفسه قبل نشوب هذه المعارك، بنزعات اتّسمت باسمه كرائد من رواد التجديد وصاحب مدرسة في الشعر حين قال:

«... ان خطة العرب* في الشعر يجب حتما ألا تكون خطتنا بل لعرب عصرهم. ولنا عصرنا ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا، ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم

وشعورهم، وان كان مفرغا في قوالبهم، محتذيا مذاهبهم[1]».

وكان في طليعة مثيري المعركة، العقاد والمازني وشكري، حين أصدروا «الديوان» سنة ١٩٢١[2]، حيث أثاروا موضوع «المضمون» وهاجموا الأساليب القديمة، واعتبروا أكثر الشعراء مقلدين، أبعد ما يكونون عن التجديد، وقد حصروا دعوتهم في النقاط الآتية:

١ ـ الدعوة الى تخليص الشعر من صخب الحياة وضجيجها والتعبير عن الذات.

٢ ـ الدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة بحيث تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها..

٣ ـ التحرر من القافية الواحدة، والدعوة الى تنويع القوافي، أو ارسالها.

٤ ـ العناية بالمعنى وادخال الأفكار الفلسفية، والتأمل في قصائدهم ونفثات صدورهم.

٥ ـ تصوير لباب الأشياء وجوهرها والاهتمام بهذا الباب، والبعد عن الأغراض.

٦ ـ تصوير الطبيعة والغوص الى ما وراء ظواهرها.

٧ ـ التقاط الأشياء البسيطة العابرة والتعبير عنها تعبيرا فنيا جميلا يبعث فيها الحياة.

وقد حاول هؤلاء الرواد شرح مذاهبهم في كل مناسبة تعن لهم، ومن مقدمات دواوينهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات، ومن مناقشاتهم ومساجلاتهم الأدبية، ومن مجموع نظراتهم في الشعر والحياة.

... وكان عبد الرحمن شكري أوسع من زميليه في

شرح نظريته التي انطوت على النقاط الآتية:

١ ـ يمتاز الشاعر العبقري بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبا أن يفكر كل فكر، وأن يحس كل احساس.

٢ ـ الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها والفكر وتقلباته، والموضوعات الشعرية وتباينها، والبواعث الشعرية.

٣ ـ التشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير، وانما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة، أو بيان حقيقة.

٤ ـ ان أجل الشعر ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية.

٥ ـ أجل المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم.

٦ ـ الشعر هو ما أشعرك وجعلك تحس عواطف النفس احساسا شديدا، لا ما كان لغزا منطقيا، أو خيالا من خيالات معاقري الحشيش، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرءوآراؤه وتجاربه وأحوال نفسه وعبارات عواطفه.

٧ ـ قد يغري العبقري باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء فتقصر أذهان العامة عن ادراكها.

٨ ـ ان قيمة البيت في الصلة بين معناه وبين موضوع القصيدة، لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة، بعيدا عن موضوعها.

٩ ـ ينبغي أن ننظر الى القصيدة من حيث هي شيء كامل لا من حيث هي أبيات مستقلة.

١٠ ـ مثل الشاعر الذي لا يعنى باعطاء وحدة القصيدة حقها، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيبا واحدا، وكما أنه ينبغي للنقاش

أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه، وكذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير، وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع، فان بعض الشعراء يقسم الشعر الى شعر عاطفة. وشعر عقل. وهي مغالطة غريبة، اذ أن كل موضوعات الشعر تستلزم نوعا ومقدارا خاصا من العاطفة[1].

وردد العقاد والمازني نفس هذه الآراء والاتجاهات، وقدموا للقارىء العربي دواوين مختلفة تضمنت الكثير من القصائد الفلسفية، الى تصوير الكثير من منازع الحياة وان خلا أكثرها من موسيقى الشعر وايقاعاته، ومن ضروب جزالته ورقته.

لقد أحدثت هذه الآراء ثورة في محيط الشباب وقد اطلع اكثرهم على أدب الغرب واستمتعوا بقصائد شعرائه، تنهجون نهجا يغاير ما سار عليه اولئك العمالقة، نزعوا الى التجديد في المضمون وخرجوا الى حد ما، او خرج أكثرهم عن الاسلوب التقليدي المتبع في المديح والرثاء، وفي الفخر [illegible]. والنسيب المخنث الذي لا يعبر عن هواجس النفس، عبّروا من الحياة شتى ألوانها، ما صفا منها وما كدر، وعبروا عن هواجسهم الذاتية دون ذلك الحرج الذي كان يتحاشاه من سبقهم مراعاة للتزمت الذي كان يسود محيطهم.

من هؤلاء الشعراء الذين أطلق عليهم لقب شعراء «المدرسة الحديثة» الدكتور ابراهيم ناجي، وعلي محمود طه المهندس، وحسن كامل الصيرفي، ومحمود حسن اسماعيل، وصالح جودت، ومختار الوكيل وغيرهم وغيرهم كثيرون . . .

وقد أفادوا جميعهم من وهج الثورة التي أشعل نارها شكري والعقاد والمازني وساروا يطرقون أبوابا تمس صميم الحياة والفكر والمجتمع . . .

وبعد ثورة الديوان جاءت مدرسة «ابوللو» وهي التي دعا الى تأليفها سنة ١٩٣٢ـ الدكتور احمد زكي أبو شادي باسم جماعة ابوللو، وأصدر مجلة باسمها، وقد فتحت صدرها للشعراء الشباب من شتى الأقطار العربية فأخذوا ينفثون عن همومهم وهواجسهم بحرية وانطلاق.

وكان الدكتور ابراهيم ناجي أحد أركان هذه الجماعة وكانت الحركة الفكرية في نمود مطرد

وبرز اسمه بين شعراء المدرسة الحديثة كشاعر مجدد، يختلف في رسم تأملاته الفلسفية ونزعاته وأدبه الوجداني عن الكثيرين.

ونحاول بعد هذه التوطئة ، أن نرسم صورة صادقة عن مراحل حياته وعن أدبه وشعره . . .

ـ ٢ ـ

ولد ابراهيم ناجي يوم ٣١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٩٨ ، أي انه من مواليد سنة ١٨٩٩ ، وما كاد يحبو الطفل حتى أرسل الى مدرسة المحلة وما كاد يلم وهو في الخامسة من عمره، بأوليات الكتابة والقراءة حتى أدخل المدرسة الابتدائية حيث قضى فترات الدراسة بتفوق ملحوظ ونال شهادته ١٩١١ .

ومن الإبتدائية الى الثانوية ـ المدرسة التوفيقية في شبرا ـ كان الطفل قد مال بسجيته الى الأدب.

أخذ يقرأ كا ما تصل اليه يده من مكتبة أبيه التي كانت

مليئة بشتى أنواع الكتب- كتب الأدب وكتب العلم- .

ولكن كانت نزعته الى كتب الأدب أغلب. . أخذ يقرأ القصص وبعض دواوين الشعراء، ولا سيما شعر شوقي وحافظ.

وقد شعر أنه، وهو تلميذ، يدخل عالما جديدا لا تزال آفاقه بالنسبة اليه شبه غامضة.

كانت ذاكرته تلتقط أبياتا من هنا وهناك، فيحفظها بفهم تارة، وبدون فهم تارة أخرى.

وكان لتوجيه والده أثره في نفسه حين كان يقص عليه قصص الموهوبين من العلماء والأدباء.

وقد تفتحت موهبته على قول الشعر وهو في منتصف العقد الثاني من عمره.

ففي هذه السن تضطرم في جوانح الانسان الكثير من الأحاسيس، ولا شيء ينفث عن الكبت ويطفيء النار المشتعلة غير البوح. ونقرأ في دواوينه أكثر من قطعة تعبر عن شعر الصبا:

كلانا حزين فلا تجزعي
ودمعك تسبقه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نار
فنار الصبابة في أدمعي
وان كان نجم هنائك غاب
فنجم هنائي لم يطلع

ويقول في قطعة أخرى:

هل أنت سامعة أنيني
يا غاية القلب الحزين

يا قبلة الحب الخفي
وكعبة الأمل الدفين
اني ذكرتك باكيا
والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهي تغرب
شبه دامعة العيونِ
أمسيت أرقبها على صخر
وموج البحر دوني
والبحر مجنون العباب
يهيج ثائره جنوني
ورضاك أنت وقايتي
فاذا غضبت، فمن يقيني؟

إن الكثير من المقطوعات جاءت في هذه المرحلة، وهي المرحلة التي يمر بها كل شاب تضطرم في جوانحه جذوة الحب.

بعد أن أمضى دراسته الثانوية تطلع إلى أفق أوسع- الى الأفق الجامعي- الذي يكوّن الانسان تكوينا يجعله انسانا يواجه مصاعب الحياة بعزيمة وايمان...

أينتسب الى كلية الآداب أم الى كلية العلوم؟

انه في حيرة، وهي حيرة يواجهها كل شاب في هذه الفترة.. ويلعب القدر دوره أحيانا في هذا الاتجاه.. ويرسم لنا ابراهيم ناجي القلق الذي خامره في هذه اللحظات التي خططت مستقبل حياته بقوله:

«... كانت نزعتي للأدب طاغية، وكنت أعد نفسي لمستقبل أدبي ولم تكن عندي أية فكرة من الناحية العلمية الرياضية، غير أن الأقدار تلعب دورها بدون أن تعلم...».

«ففي السنة التي قررت فيها أن ألتحق بالقسم الأدبي، أرسل الله لنا معلما سوريا، لم يكد ينظر اليّ، حتى توسّم فيّ شيئا لا اعلمه، جعله يؤمن بأنني قد أكون نابغة في الرياضة، فوجه اهتمامه لي، وكان قاسيا جدا، اذ كان يضربني ويشتمني، وكثيرا ما دخل الفصل وهو ثمل، ثم أخذ يبسط هذا الظل بالضرب والشتم واللعن، وأنا صابر لا أتفوه بكلمة. . . .»

«. . . . وكان رحمه الله طيب القلب، يخفي وراء هذه القسوة نفسا من الذهب، فكان يلاطفني بعد قسوته، ويمد يده إليّ بواجبات خاصة منه، ثم يعود في اليوم التالي ويسألني في خشونة:

- هل عملت الواجبات؟ . .

ولم أخيب ظنه مرة واحدة. وقد كان تقدمي سريعا جعله يزهو ويفخر بي، ثم أخذت قسوته تختفي وهو يقول:

اطلع يا ناجي، واشْرح لهم التمرين. . .

لقد كان تأثير هذا المعلم في مستقبلي كبيرا، فقد غيرت التحاقي بالقسم الأدبي، والتحقت بالقسم العلمي، ولتقدمي وتفوقي دخلت كلية الطب.

- ٣ -

حين انتسب الى كلية الطب دخل عالما جديدا يغاير عالمه الأدبي ووطن النفس على مغالبة مصاعب هذا العالم، انه ذكي، ولا بد للانسان في هذه الفترة من مهنة، ومهنة الطب من المهن الشريفة حسبها انها تنقله الى شتى العوالم. . .

ومرت السنة الأولى بكثير من الصعوبة. . ثم بدأ يأنس بجو الدروس في السنة الثانية ويحدثنا عن هذه الحقبة من

حياته بقوله:

«أخذت أدرس الطب على طريقة فنية، فقد كنت أبتدع لرفاقي الصور، وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ، وظللت كذلك الى الساعة التي أكتب فيها هذا، أزاول الطب كأنه فن، وأكتب الأدب كأنه علم، أي أراعي فيه المنطق والتحديد والوضوح..»[1].

وما زال الى أن اجتاز سنواتها بتفوق ملحوظ فظفر بشهادة الدكتره سنة ١٩٢٣ وعمره أربع وعشرون سنة، وأصبح طبيبا مرموقا بين الشباب، وحين طرق باب الوظيفة عين طبيبا للأنكلموسوما يعيش في مضارب الخيام بكل بقعة وبوءة من الريف.

ولم يشأ وهو الشاعر الأديب الذي عاش في أجواء القاهرة ومنتدياتها، أن يهجرها الى البقاع الموبوءة في الريف، فافتتح عيادة ونجح. وظل الأدب هوايته المفضلة، وبدأ يمطر الصحف والمجلات بأحاديثه ومقالاته وبقصائده ومقطوعاته.. واذا هي شيء جديد، شعر وجدي يحمل في طياته بذور نزعات انسانية وتأملات فلسفية في طبيعة الحياة والكون، فهو روح هائمة وقلب حساس يفيض بالشعور والألم هذا الشعور الذي لم يفارق قلب الطبيب الشاعر حتى في احدى الفترات الصعبة التي مرت به وهو يؤدي فحصا في المشرحة..

وقد روى صديقه الأستاذ صالح جودت هذه الحادثة التي سمعها منه....:

«... دخل يوما لأداء الامتحان في المشرحة، وجيء له برأس امرأة ماتت لتوها، وكان الأستاذ الممتحن هو العلامة الراحل الدكتور علي باشا ابراهيم وقد كان رحمه الله، فوق مكانه كجراح نابه، أديباً وفناناً بالسليقة..

وسأل الأستاذ تلميذه:

ـ هل تستطيع أن تشخص المرض الذي ماتت به هذه السيدة..؟

فارتبك التلميذ ولم يرد جوابا.

فقال له الأستاذ:

ـ عيب يا ناجي.. أنت شاعر... انظر الى وجهها وعينيها..

فراح الشاعر يتأمل وجه المرأة، فإذا هو شاحب شحوبا جميلا ثم راح يتأمل عينيها فإذا بهما حزن عميق وجاذبية يحوطها سياج من أهداب أطول من الأهداب المألوفة...

ـ لقد ماتت بالسل.

وأجاب الأستاذ:

برافو يا ناجي، حسبي منك هذا.

ونجح بتفوق...

ـ ٤ ـ

كان يمارس مهنته بروح انسانية، وكثيرا ما كان يدفع للفقراء المعوزين ثمن الدواء من جيبه.

وقد سمعت منه القصة الطريفة الآتية التي سمعها غيري أكثر من مرة وكانت موضع تندر:

قال: ان مريضاً قصد إليه في عيادته، وكان فقيرا فلم يؤد الأجر المفروض، واستقبله الشاعر وكشف عليه فلم يجد به داء الا الجوع، فأخرج من جيبه جنيها وقدمه للرجل وقال له:

- خذ هذا الجنيه واشتر به زوجا من الدجاج وكله، وستشفى باذن الله . . .

وخرج الرجل يدعو له:

وبعد اسبوع، صادف الرجل في الطريق فسأله:

كيف حالك الآن؟ . . .

على ما يرام يا دكتور . .

- هيه . . هل أكلت زوج الدجاج؟ . .

- لا . .

- اذن . . فيم أنفقت الجنيه؟ . . .

- ذهبت به الى دكتور عالجني من علتي وشفيت بحمد الله!! .

- ٥ -

ورغم غوصه في عالم الطب ومتابعة أحدث منجزاته وحضوره المؤتمرات الطبية ظلّ مرتبطا ارتباطا وثيقا بعالم الأدب، وبالشعر بصورة خاصة، ويرجع ذلك الى الجذور العميقة التي غرسها في نفسه أبوه وهو طفل. . . وقد روى مراحل هذه الفترة بقلمه قائلاً:

« . . ذات ليلة، منذ ثلاثين عاما، سمعت أبي يقص على أمي رحمها الله، قصة (أوليفر تويست) لشارلز ديكنز لا أزال أذكر تلك الليلة وهيهات أنساها . . .

وكان اخوتي قد انصرفوا الى مناجعهم، وكانت ليلة من ليالي الشتاء والريح تعصف، والمطر يقرع النوافذ بعنف، وقد سكن الحي سكونا تاما ولم أعد أسمع حتى صوت الخفير، الذي كنت أشعر له برهبة كلما دوّى نداؤه في سكون الليل.

وكنت طفلا كثير التفكير، وأصغي الى صوت المطر، والى عصف الرياح، فأطيل الاصغاء وأدمن التأمل، وأبني في خاطري لنفسي قصة من قطرات المطر وعصف الرياح، وما أزال أمعن في تخيل القصة وسبكها حتى يغلبني النعاس..

في تلك الليلة استلقيت في فراشي وقلت لنفسي ان عصف الريح اعوال الشيطان، يضربونه في السماء بالسوط، وان هذا المطر دموع.. دموع.. وعلى هذه الصورة أخذ النوم يزحف اليّ ببطء فطرق سمعي صوت أبي يقص على أمي قصة، ويقصها على مهل وبصوت متهدج حزين.. وبين حين وآخر، أسمع صوت «نارجيلة» وأشم لها عبقا لا يزال في أنفي حتى اليوم.. فألقيت عني الغطاء وزحفت الى سرير أبي، فتلقاني بحنانه العجيب..

ومرت ليلة بعد ليلة بعد أخرى، حتى سمعت (أوليفر تويست) لآخرها، وطالما رأيت هذا الطفل المعذب في نومي، وطالما شكوت لأبي أن ثيابه الرثة تزعجني، فكان يضحك قائلا: عندما تراه مرة ثانية استوقفه لتعطيه ثوبا مما لديك.

ومرت سنتان، قرأ لنا أبي فيهما غير ديكنز.. قرأ كونان دويل وهاجارد وغيرهما.. فكنت أجرب في اخوتي طرق شرلوك هولمز، وأخيفهم بما عرفته من هاجارد عن السحرة في مجاهل افريقيا.

ومرت سنتان كذلك، وجاء يوم لا ينسى.

زفّ اليّ أبي أني نجحت في الابتدائية وسألني عما أريد أن يهديني اياه. قلت: كتاب. فتهلل وجهه واصطحبني الى مكتبة «ريمو» التي كانت قائمة في ذلك العهد بشارع «كامل» واشترى قصة «دافيد كوبر فيلد» لشارلز ديكنز، وأوصاني أن أقرأها كلمة كلمة، وأن أستعين به في فهمها، فصنعت...

وقد كنّا نسكن شبرا، وكانت شبرا منذ ثلاثين سنة بساطا أخضر شعريا بديعا تتوسطه ساقية وعلى حفافيه شجرات جميز وتوت، فكنت أمضي الى تلك المروج ومعي صديق تأملاتي، دافيد كوبر فيلد فما زلت به حتى قرأته مثنى وثلاث ورباع، وما زال بي حتى خلق مني أديبا وشاعرا. . سامحه الله.

الحق اني لا أدري أأحسن الي القدر أم أساء؟. أبي كان يحبب ديكنز اليّ ليصقل شعوري ويزرع في الانسانية ويعلمني التأمل والملاحظة، أما ديكنز فقد حبب الي الأدب على الاطلاق، وأما دافيد كوبر فيلد فقد خلق مني شاعرا وجعلني أبحث لي عن «دورا» اخرى أشرب من عينيها كأس الحياة، وأتلقى من شفتيها أسرار الوجود، سامحه الله مرة ثانية، لقد عذبتني «دورا» هذه وشطرت روحي شطرين.

أراد أبي شيئا، وأراد ديكنز شيئا، وأراد دافيد كوبر فيلد شيئا، وأراد القدر أشياء غير هذه.

ما أظلم القدر، فقد شاء أن أكون طبيبا، وليس بالطب من حرج، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة الانسان، فاذا بالقدر يواجهه بالواقع ويصدمه.

وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان- فاذا بالقدر يضعه فوق ألسنة المادة، ويزجه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال.

وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح، فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى أنات الجسد، وشتان بين هذه وتلك.

وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية، ومهنته لأخرى، حتى يتمزق بين شد هذي وجذب تلك.

وانما الحرج أن نراه يلائم بين الضدين، ويوفق بين النقيضين، وأخيرا يلتفت فاذا نفسه أشلاء، واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب، واذا معين القوة قد أشرف على الزوال، واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر، بين الميول والصروف، بين الخيال والمادة، بين الوهم والواقع، بين الروح والجسد[1].

هذه الكلمة النابعة من ضميره والتي تقص قصة تعلقه بالأدب منذ طفولته حيث استطاع أن ينظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره- تعطينا أكبر مثل على أن القدر الذي غرس في ذاته حب الأدب قد نمت مع الأيام فجعلت منه شاعرا وأديبا.

- ٦ -

وقد تساءل بعض الأدباء عن الشعراء الذين أثروا به، فمنهم من قال خليل مطران ومنهم من قال شوقي ومنهم من قال الشريف الرضي، ولم ينكر هو تأثره بهم، على أنه لم يقف عند هؤلاء بل لم يترك شاعرا من شعراء الغرب والشرق، أريد الاعلام منهم، الا قرأه، ثم رجع الى ذاته يفلسف الأشياء فلسفة جديدة ويصوغها شعرا موسيقي الايقاع يعبر أصدق تعبير عن حبه وشوقه ومواجيده والكثير من ظواهر الحياة والكون.

وأسأله مرة عن الشاعر الذي استهواه شعره وحياته أكثر من غيره، ولماذا؟.

وهو استفتاء كنت وجهته الى غير واحد من شعراء المدرسة الحديثة فكان جواب ناجي قوله:

هناك شاعـران، وشاعـران فقط درستهما جيـدا، وأحببتهما حبّا صادقا كبيرا، وكان لهما أثر كبير في حياتي وتفكيري..

الأول: شكسبير، وقد حاضرت عنه كثيراً، ونشرت احدى محاضراتي في «الحديث» الشيء الذي يعجبني فيه أنه غير محدود، واسع كالفضاء، متغير كالطبيعة التي تجمع بين الجبل الأشم والفقاعة الصغيرة، وفوق ذلك فهو صادق، ولذلك أحببته لا كشاعر فقط بل كصديق، وسأقرأه أبدا ولا أمل قراءته...

الثاني: المتنبي، والذي جعلني أحبه رجولته التي تبدو في كل بيت، وأحبه أيضا لأنه كان «انسانا» يتكلم عن لسان الانسانية بأجمعها، يشرح القلق المستمر في أعماقها، والعذاب الملازم لأعصابها، ويكشف كشفا عجيبا ذلك الطلاء المزيف الحقير الذي تستر به ذلك القلق والعذاب[1].

- ٧ -

أصدر ناجي ديوانه الأول «وراء الغمام» سنة ١٩٣٤، ضم قصائد ومقطوعات تعبر عن وجدانه الشاعري في الحب والجمال، وفي هذه المآسي التي تمر بالانسان، الى ذكريات وحرقات عن ظروف عاشها الشاعر مع اثيراته ومحبوباته، وهو صادق في التعبير عن شعوره أبعد ما يكون عن التهويل، تغمر قصائده رقة عاطفية، ونزعة انسانية، وشعور حب دافق، فمن وصف الحنين والمناجاة، الى تلمس اللقاء في الغد، الى ليالي الأرق، الى الشك أو القلق الذي يثير النفوس المنكوبة بنار الحب... ثم الى ساعة اللقاء..

يا حبيب الروح، يا روح الأماني
لست تدري عطش الروح البكا
وحنيني في أنين غير فاني
للردى أشربه من مقلتيكا
آه من ساعة بث وشجون
وبقاء لم يكن لي في حساب

وحديث لم يدر لي في الظنون
يا طويل الهجر يا مر الغياب
حل يا ساحر صفو وملام
بعد فتك البين بالقلب الغريب
ودنا روض وظل وغمام
بعد فتك النار بالعمر الجديب
مرت الساعة كالحلم السعيد
ومشت نشوتها مشي السحيق
ذهب العمر. وذا عمر جديد
عشته من فمك الحلو الرقيق
مرت الساعة والليل دنا
والهوى الصامت يغدو ويروح
وتلاشت واختفت أجسادنا
واعتنقنا في الدجى روحا بروح

ومن وصف الجمال الضنين، الى الناي المحترق الى «قلب راقصة»، وهي أروع قصائده الفلسفية التي تهز الضمير الانساني، وقد وصف مأساتها وصفا غاية في الحنو والواقعية، الى الكثير من هذه الموضوعات التي تتصل اتصالا مباشرا بالقلب والوجدان، وبالنفس والروح التي تثيرها عناصر الجمال!

وقد خلا ديوان «وراء الغمام» من شعر المناسبات والاخوانيات عدا بعض قصائد رثاء وهي ذات اتصال وثيق بشاعر مرموق.

هذا، واعتبر الأستاذ أحمد الصاوي محمد الذي كتب مقدمة الديوان۔ اعتبر ظهوره حركة وثّابة في عالم الأدب، لأنه الشعر الخالص للشعر، والحب الخالص للحب، والرحمة الخالصة للانسانية .

ويكاد يكون الديوان قصيدة واحدة، وقصيدة حب امتزج الشعر بالحب في نفسه امتزاجا فصارا شيئا واحدا، كالذرات التي تبحث عن بعضها لتكون الوحدة الكاملة، فاجتمعت دون أن تدري كيف، وكونت روح الشاعر..

وهو ليس شاعرا مستهاما فقط ولكنه مصور ومفكر - مصور بارع.. فالشاعرية فيه أصيلة..

وأطلق عليه العقاد لقب «شاعر الرقة العاطفية» ونسبه إلى مدرسة الشعراء الظرفاء: ابن الأحنف، وابن سهل، والبهاء زهير، واخوانهم من شعراء «يتيمة الدهر» و «نفح الطيب»، نعرفهم بسيماهم في كل عصر وفي كل بلد، ويجمعهم لنا عنوان «الظرف» حيث كانوا بين مدارس عصورهم، فلا نخال أننا نتلقى ديوانا غير ديوان ناجي، فتنافي هذا العصر اذا دعوناه بديوان الشاعر الظريف...

وقد ظلمه العقاد بهذه المقارنة، وهو أبعد ما يكون عن الشعراء الذين أشار اليهم وان التقى كثيرا من حيث حرارة الوجد مع ابن الأحنف، وأفق ناجي في فلسفة الحياة وتصوير مباهجها ومآسيها شيء جديد في شعرنا المعاصر.

وليس هذا فقط بل اتهمه بالسرقة، يقول: «على أن أقبح ما في هذه المجموعة جرأة صاحبها على السرقة، ومن الأحياء، ومنهم كاتب هذه السطور فيقول:

يا للقلوب لملتقى اثنين
لا يعلمان لأيما سبب
جمعتهما الدنيا غريبين
فتآلفا في خلوة عجب
عجبا لنا في لحظة صرنا
متفاهمين بغير ما أمد
يا من لقيتك أمس هل كنا
روحين ممتزجين في الأبد

وهي أبيات ان جردتها من فهاهتها الخاوية وجدتها مأخوذة من قصيدة «بعد عام» لكاتب هذه السطور ومنها:

مر عام منذ سرنا حيث سرنا
لا نبالي ما أتى او سوق يأتي
منذ أن كنا غريبين فصرنا
كل شيء أنا في الدنيا وأنت

وكل من له ذوق شعري يحكم أن أبيات ناجي تصور حالة نفسية من واقعه وهي أبلغ في التعبير من شعر العقاد.. اذ ليس في البيتين هذه الفلسفة العميقة ليسطو عليها ناجي وهو الذي قرأ وهضم الكثير من شعر العمالقة في الشرق والغرب.

- ٨ -

ونقده الدكتور طه حسين نقدا قاسيا كاد يصرفه عن قول الشعر، واعتبر أشعاره حسنة، ولكنها أشعار صالونات، لا تحمل أن تخرج الى الخلاء فيأخذها البرد من جو النهار، كما أخذ عليه بعض المآخذ اللغوية، وقد تأثر ناجي وكان ينتظر من امام التجديد أن ينظر الى هذه الوثبة الجديدة نظرة ارتياح وتقدير فوجه رسالة اليه فيها دفاع حار عن أدبه وشعره، ولم يتمالك أن يفجر غيظه الذي كاد يدخل اليأس الى روحه، ووصل به الحال الى أنه قرر أن يهجر الشعر..

وقرأ الدكتور طه رده، وتأثر، ولم يتركه يتخبط في هذا البحر فسرعان ما مد له يده الآسية ومما جاء في مقاله:

«اني لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في الشعر، لأني قدرت أن الدكتور ناجي ان كان شاعرا حقا فسيعود الى الشعر راضيا أو كارها، [illegible] في

النقد أو رفقت به.

وان لم يكن شاعرا، فليس على الشعر بأس في أن ينصرف عنه ويزهد فيه.

وأنا منتظر أن يعود الدكتور ناجي الى جنة الشعر، فاني أرى فيه استعدادا لا بأس به، وأظنه ان عني بشعره واستكمل أدوات الفن خليقا أن يبلغ منه شيئا حسنا.

لا تجزع اذن يا سيدي من النقد، ولا تظن أن عمل الناقد أن يكون البناء دائما، فقد يكون من الخير أن تهدم بعض الأبنية التي تحجب الضوء والهواء، عن أبنية أخرى هي أحق بالبقاء». . .

وانما عمله فيما أظن اقتلاع لبعض الأشجار ولبعض الأعشاب التي تفسد ما هو أحق منها بالبقاء وأجدر منها بالنماء، وأقدر منها على أن ينفع الناس.

ولست أدري لم يكون البستاني مصلحا حين يجتث الشجرة الفاسدة، أو يقتلع الأعشاب المهلكة لما حولها، ويكون الناقد مفسدا حين يرد عن الأدب قوما يدخلون في الأدب وليسوا منه في شيء، ولست أدري لم يكون البستاني مصلحا حين يشذب بعض الأشجار ويقص بعض الأغصان ويكون الناقد مفسدا حين يهذب ما يكتبه الكتاب والشعراء؟. . .

كلا يا سيدي ، على الأدب بأس من النقد مهما يقس ويشتد، وانما البأس كل البأس على الأدب من النقد إذا لان وهان وأصبح تقريظا وثناء، واثارة للغرور، وتشجيعا للدخلاء.

والأدب الذي لا يثبت للنقد العنيف لا يستحق أن يكون أدبا، ولا يستحق أن يعنى به أحد. .

أرأيت أني أحسن منك ظنا بالأدب والأدباء، وأجمل منك رأيا في الثقافة والمثقفين، أرى أدباءنا رجالا يستحقون

النقد، وتراهم أنت أطفالا يستحقون المداعبة.

هون عليك، فأما الزبد فيذهب جفاء، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولقد عمد نقاد قساة غلاظ مسرفون في العنف الى بعض الشعراء والكتاب، فألحوا عليهم في النقد واشبعوهم تجريحا وطعنا، ولكن الأدباء مع ذلك ظفروا بالبقاء، وذهب نقد النقاد هباء.

فمن كان من أدبائنا خليقا بأن يبقى وينتج وينفع الناس، فليس عليه بأس منك ولا مني ولا من غيرنا، ولعله أن يظفر من الحياة والخلود بما لا نظفر منه بالقليل.

أما بعد، فاني أشكر لك يا سيدي ثناءك علي، وحسن ظنك بي وأترك أحكامك كلها على كتابنا وأدبائنا لك، لا أجادلك فيها ولا أحاورك لأن جدالك فيها ينتهي الى كثير جدا مما لا نريد(١).

وبالرغم من بعض الهفوات اللغوية والمآخذ التي أخذها عليه فقد قدر شعره أبلغ تقدير، ومن كلماته قوله:

«ليس الدكتور ناجي رجلا حسن البلاء صادق النية في حب الشعر فحسب، وانما هو فوق هذا كله موفق إلى حد بعيد فيما يحاول من ارضاء الشعر وأصحابه، موفق فيما قصد اليه من المعاني، موفق فيما اصطنع من الألفاظ، موفق فيما اتخذ من الأساليب معانيه جديدة تصل أحيانا الى الروعة. ألفاظه جيدة قد يعظم حظها من المتانة والرصانة، وأساليبه جيدة أيضا، عظيمة الحظ من الصفاء، لا يفسدها العوج، ولا يفسدها الالتواء في كثير من الأحيان.

شاعر مجيد، تألفه النفس، ويصبو اليه القلب، ويأنس اليه قارئه أحيانا، ويطرب له سامعه دائما.

من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن تستمتع بما في شعرهم من الجمال، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة دون أن نشتط عليها بالتقليب والتعذيب.

هو شاعر هين. لين. رقيق. حلو الصوت. عذب النفس. خفيف الروح. قوي الجناح..

شعره أشبه ما يسميه الفرنجه موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب وتهيم بك فيما نعرف وما لا نعرف من الأجواء[1].

وهدأت نفس الشاعر، وعاد الى جواء المحبوب، يكتب وينظم وينفح العربية بنفحات كلها عبق وورد وزهور، وأنات نفس حزينة لما يصيب البشرية من أحداث يعرضها للآلام الجسام..

وكان من مآخذ الدكتور طه على الديوان اسمه فتساءل ما معنى «وراء الغمام» وأجاب ناجي على هذا بقوله:

« أنت يا سيدي تحاسب الشاعر لفظا لفظا وتتناسى أن هناك ما يسمى الاستعارة والمجاز، وعلى هذه الطريقة تساءلت: ما معنى «وراء الغمام»..؟

أما اذا قصدت معناها الحرفي، فليس لدي اجابة على سؤالك، واذا قصدت معناها الرمزي، فالاجابة لا تكلفني ولا تكلفك نصبا، فأنت تعلم أن كل المؤلفات الشعرية الأجنبية الحديثة جرت على هذه التسمية الرمزية، وبيدي كتاب للشاعر ييتس اسمه «السلم الملتف» فهل تقول ما علاقة السلم الملتف بالشعر.. انها لتسمية سخيفة، فاذا حاسبته كما تحاسبني كنا عندك جميعا من سقط المتاع»..

وجاء شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري، وهو أبعد ما يكون عن المعركة، ليحلل عرضا اسم الديوان وهو يكتب عن الديوان في مقال نشره في مجلة «الحديث» جاء فيه:

«لست فيلسوفا في اللغة، فلا أعرف شيئا من حياة الألفاظ كيف ولدت لغتنا، وكيف عاشت، وكيف ماتت طائفة من ألفاظها، وانما الذي أراه أن بين الغمام بمعنى السحاب، وبين الغم والغمة أو الغماء بمعنى الكرب صلة، فالمادة واحدة، ومن يدري فلعل بين الغمامة وبين الغم نسبة روحية، فهذه السحب في السماء تشبه هذا الكرب المزدحم على الصدر، فاذا صحت هذه الفلسفة اللغوية، وكان الدكتور ابراهيم ناجي يعلم بأن بين الغم وبين اسم ديوانه، وراء الغمام صلة روحية، إذا صح هذا كله فالدكتور ابراهيم ناجي شاعر حتى في هذا الإسم الذي اختاره لديوانه»[1]. . .

ثم تغلغل الى روح الشاعر، من خلال شعره، والتي تبدو ضاحكة بينا هي كئيبة حزينة فقال:

فالكرب الذي طبع عليه، قد طبع على مثله كثير من الناس، وأنا منهم، فالفرق بينه وبينهم، ان كربه يستره فرح ضاحك، وهم يجعلون كربهم على طبيعته، فاذا اشتد عليهم فلا يغطونه بغطاء أبيض، أي لا يلقون عليه ضياء يحجبه عن الناس، وانما أنسوا بسواده فهم يتحدثون بهذه الظلمة، وسواء عليهم أنفر الناس عنهم أم أنسوا بهم. أما الدكتور ابراهيم ناجي فإنه لا يريد أن يقف الناس منه على كرب، ولذلك فإنه يلقي عليه ضياء حتى لا يستوحش منه أحد الناس.

ولئن استطاع الدكتور ناجي أن يستر ظاهره، فلم يستطع أن يستر باطنه، فقد جاء شعره ريان بدمع عينه، مصبوغا بدم قلبه، ليس فيه الا الأنين والحنين في خلال هذا الدمع وهذا الدم يتراءى لنا جانب مشرق تغمره لغة صاحبة خيالات غوال، وأمان ذهبية، فكان لصاحب هذا الشعر روحان متفاوتتان، روح وهبها للناس وروح انفرد بها، أما الروح التي وهبها للناس فهي روح المرح والطرب والهشاشة والبشاشة، وأما الروح التي انفرد بها فليس لها نصيب من هذه

الحياة الباسمة فما أشد عذاب هاتين الروحين، فهو مضطر أبدا الى التلون بلونين، لون متموج ولون كامد، أما اللون المتموج فليس لباطنه منه حظ، وانما الذين لهم هذا الحظ انما هم خلطاؤه الذين يأخذون من هذا الظاهر الجذل ما يصفو لهم، ويدعون الباطن الكئيب لصاحبه[1]..

- ٩ -

وتهدأ ثائرته، ويعود الى جوه المفضل- الى الشعر والفن وعالم الأدب الواسع الآفاق، والى السهر مع صحبه وأثيراته الجميلات اللواتي يدغدغن عاطفته ويلهمنه قول الشعر.

ولا يكاد يعيش هذا الجو المليء بالمبهجات حتى يفاجأ العالم بالحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩، وتقاسي مصر الأمرين، وتعيش في جو مكفهر كئيب.

وتمر الأيام مشوبة بالمرارة، ويكون أثرها قويا في نفس الشاعر الذي ينبض قلبه بكل ظاهرة من ظواهر الحياة.

يبتسم والغصة في قلبه.

ويكتب صور تلك الأيام من سجوف الفترات المشرقة مع أثيراته وصويحباته.

ويكون للأدب ديوانه الثاني «ليالي القاهرة» وهي القصيدة الأولى في الديوان وليست قصيدة واحدة بل صورة من ملحمة مختلفة الضروب والايقاع صور فيها الظلام العصيب الذي خيم على القاهرة فكان ظلاما متجاوبا مع قتام النفوس وحلوكة تجثم على الصدور.

ومع ذلك فكان الشعر متنفسه حين قال: انه النافذة التي أطل منها على الحياة وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد،

وهو الهواء الذي أتنفسه، وهو البلسم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الاساة هذا هو شعري:

أيا مصر: ما فيك العشية سامر
ولا فيك من مصغ لشاعرك الفرد
أهاجرتي: طال النوى فارحمي الذي
تركت بديد الشمل منتثر العقد
فقدتك فقدان الربيع وطيبه
وعدت الى الاعياء والسقم والوجد
وليس الذي ضيعت فيك بهين
ولا أنت في الغياب هينة الفقد

وغير ملحمة ليالي القاهرة، نقرأ ملحمة «الأطلال» وملحمة «السراب» وغير ذلك من الروائع المعبرة عن وجدانه وحبه، وعن ألمه وهواجسه، وهو امتداد في موضوعاته لديوانه «وراء الغمام».. لولا أنه تضمن قصائد ومقطوعات من شعر المدح والرثاء وحفلات التكريم وغير ذلك مما اقتضته طبيعة المجتمع وهو ذو مركز في وزارة الصحة وشاعر معروف، وكانت الواجبات والمجاملات تقتضيه أن يقول شعرا هو ابن ساعته، لا يعبر عن سجيته بقدر ما يصف هذه المهازل التي يكره عليها الشاعر أحيانا وان كان بعض هذه القصائد ترمز الى سجية الوفاء نحو أشخاص أحبهم وكانت لهم مواقف شريفة في صدّ الأذى عنه وتقدير مواهبه، وبالاجمال فهو شعر الصنعة لا شعر الطبع.

ولا مجال للتوسع في تحليل قصائد الديوان الذي يجد القارىء ألوانا جديدة في التعبير عن نوازع النفس ونبضات القلب، هذا وقد أنصفه الوزير الأديب ابراهيم دسوقي أباظة حين وصف خصائص شعره بقوله: هو شاعر رقيق، رشيق دقيق أنيق، تصل معانيه الى قلبك قبل أن تصل ألفاظه في

طلاوة وسهولة وعذوبة، وقد جمعت ديباجته بين ميزة القديم والحديث، وامتاز شعره بروعة الابتداء وبجودة المقطع، وطالما سمعته شاعرا في المحافل، فوالله ما سمعت مثله يجمع الرقة الى الجزالة، والطلاوة الى الفحولة، والضخامة، فهو لا يترقب لفظا قد استدعاه من بعد، ولا يكابد عناء في الوصول الى معنى استعصى عليه، مع السلامة من التكلف، والبراءة من التعقيد، والبعد عن التشادق والتقعر والتنافر، وشعره مطبوع على الطرافة والابتكار، ولو كان الشعر مما يؤتدم به، لكانت قصائده نعم الادام لطالبي الأدب»...

وبعد ديوانه «وراء الغمام» و «ليالي القاهرة» جمعت بعد وفاته قصائده الوجدية في ديوان بعنوان «الطائر الجريح» يقول عنها الأستاذ محمد عبد الغني حسن انها انغام شاعر عاش حياته معذبا مؤلما، وعاش ظامئا الى الموارد حوله، وجائعا على وفرة الزاد عنده وميمما كالمسافر وثاويا كالمهاجر. ان ناجي في هذا الديوان يترجم في رقة وعذوبة عن آلام المحبين وآمالهم وقد علمه الحب على ما فيه من صور الشقاء ان يحب الناس والدنيا جميعا، فاتسع قلبه بكل طارق وابتسم ثغره لكل بارق..

والواقع، ان قصائد هذا الديوان تصور تصويرا بالغ الروعة أيام محنته وبؤسه. وفترات حبه وأشواقه ومواجده ولا سيما في الأيام التي قضاها مع «زازا» الحسناء الرشيقة والامرأة الشابة الطروب التي احبت ناجي من الأعماق وكان الأدب هو الذي ربط بين قلبيهما، ونترك للأستاذ صالح جودت الذي عرف عوامل هذه الصلة أن يروي القصة كاملة:

يقول:

«زازا» شابة وسيمة السمات، أنيقة الروح تعشق الشعر، قديمه وحديثه. وتحفظ الكثير من هذا وذاك، ولم تكن ذات مطمع كمطامع الغانيات فهي المرأة الوحيدة التي أحبت الشاعر.

كل همها في الحياة أن تكون الى جانب شاعر يحبها وتحبه.

وقد لعبت زازا دورا في حياة ثلاثة من الشعراء ـ قبل شاعرنا ـ كلهم جهير الصوت، واثير عند الناس. ثم انتهت الى شاعرها الأخير فوجدت عنده ما لم تجده عند الأولين من تفرغ لها. وهام بها الى حد انها كانت كل همه، وشغله في أكثر يوم من مطلعه الى مطلع اليوم الذي يليه.

ثم وجدت عنده ما لم تجده عند غيره من نزعة الروح دون الجسد، وأحسب انها وقد عرفتها عن كثب ـ كانت لونا فريدا من النساء لا تستهويه نزعة الجسد.

تلك «زازا» التي نشر الشاعر اجمل ما تظفر به من الشعر في ديوانه الأخير «الطائر الجريح».

وانما روعة هذه القصيدة انها تلم بالظروف التي كان يعيشها الشاعر في تلك الحقبة من عمره قسوة من الدهر، وقلة في العافية ونقص في المال، واستسلام مطلق الى اليأس.

ظلت «زازا» الى جانبه الى آخر ايام حياته تهبه حياتها وهي صبية وهو شيخ يقترب من الستين وهو فوق ذلك قليل الحظ من الجمال والصحة والفحولة.. مريض بذات الرئة، فما من شك أنها كانت تحبه حبا مثاليا لا غاية وراءه الا الحب في ذاته.

وعندما مات لم تحزن «زازا» ولم تلبس عليه السواد، وانما فعلت هذا لا عن جمود، بل عن فلسفة فوق فلسفة الأرض، وعن إيمان منها بأن الشاعر لم يمت كل ما حدث انه ذهب ولم يترك عنوانه، كما قالت في رسالة منها الى الشاعر أحمد رامي..

هذا، والدكتور ابراهيم ناجي الى شاعريته المخضلة، المتعددة الألوان، فهو أديب متفتح الذهن ملم الماما واسعا بالثقافة العالمية وبالأدب العالمي بصورة خاصة، وقد كتب المقال، وكتب القصة، وحاضر في مختلف الأندية، وتناول الأدب العربي الحديث على ضوء من هذه التطورات التي هزت الضمير البشري بعد الحرب العالمية الثانية، وله آراء وأفكار لم تعجب الجامدين من أنصار القديم، فعبر عنها بانطلاق، وهي آراء كان يعكس ألوانها على أحدث نظريات علم النفس، فالأدب صورة من الحياة في تطور مستمر، وبدهي أن يساير أدبنا هذه التطورات.

وقد كتب في هذا المضمار عدة أبحاث تناثرت في الصحف والمجلات، وقد اختصت «الحديث» ببعضها فمن أبحاثه «مشكلات العصر الحديث» و «الشعر العربي الحديث» و «سيكولوجية الأدب» و «الوعي الأدبي». . الى أبحاث عن «حياة شكسبير وعصره» و «فولتير» و «برغسون» . . و «المدنية» و «سيكولوجية المرأة» و «الغريزة الجنسية» و«الضمير» و «الأقدار»، وغير ذلك من الأبحاث التي ان دلت على شيء فعلى أنه أديب متحرر من كل الرسوبات التي تحول دون تجاوبه مع تيارات العصر الذي نعيش في خضمه، وكان لهذا أثره الكبير في شعره الذي يجمع بين الجدة والانطلاق.

وأذكر أن شاعرنا ناجي حين اطلع على العدد الخاص الذي أصدرته «الحديث» عن توفيق الحكيم بقلم الدكتور اسماعيل احمد أدهم، رأى فيه فجوات لم تتناول حياته النفسية من كتبه، وهي ظاهرة جديرة بتناولها لتكتمل الدراسة، وحين أعددنا نشر الدراسة في كتاب طلبت اليه أن

يسد هذا النقص، وسرعان ما لبى الطلب وكتب دراسة واسعة ضممناها الى الكتاب، وكان ثمة اختلافات كبيرة في وجهات النظر، وقد نشأ ذلك من اعتماد أدهم على طريقة استقرائية بحتة، اذ اعتبر الأشخاص والحوادث الممثلة في كتب توفيق الحكيم حقائق واقعية، بينما اعتبر ناجي أن توفيق الحكيم يعيش بعقله الباطن، ومن خصائص العقل الباطن الرمز والايحاء والاخفاء والتعمية..

وهذه الدراسة- دراسة أدهم وناجي عن الحكيم- هي مرجع وثيق للذين يدرسون أدب الحكيم ومراحل حياته..

وبعد فلا مجال للتوسع في الحديث عن مقالات ناجي في أدبنا المعاصر، فهي من السعة والشمول، ومن القيمة الأدبية بمكان فحسبي الالماع.

- ١١ -

عرفت ناجي بين الثلاثينيات والأربعينيات عن طريق اتصاله بـ «الحديث»، وكنت كلما زرت القاهرة التقيت به مع مجموعة من أدباء المدرسة الحديثة كنا نجتمع في المقاهي والأندية، ولا حديث لنا إلا الأدب ورسالة التجديد، وتلك الخصومات التي كانت تثور بين القدماء والمحدثين، وكثيرا ما أسهب ناجي في أحاديثه ونقده عن عقيدة وايمان، وهو متحدث بارع، يكاد يكون من أبرز أدباء «الشلة»..

النكتة دائما على طرف لسانه، والشعر نفحة من فيض قلبه، فلا تمر ظاهرة من ظواهر الحياة الا لفتت نظره وعلق عليها بالنقد أو بالغمز واللمز، تنتهي به الى نكتة ظريفة، وسرعان ما تستحيل الى قطعة شعر. ولطالما كتب هذه المقطوعات وهو مع أصدقائه، يتركهم يـ [illegible] ثرثرون واذا بصمته يستحيل شعرا، ولو أن هذه المقصرعات، وقد تناثر

أكثرها، لو جمعت لشكلت حيزا من ديوانه، وبعضها في المجون العف. نظم يوما الدكتور بشر فارس قصيدة وجدية لم ترقه فعارضها بقصيدة مجونية، ولعل بعض أصدقائه الأحياء يحفظون شيئا من هذه المعابثات، وهي اليوم وثائق لمؤرخي الأدب. .

ولا أنسى مرة، ونحن في جروبي عدلي، وقد ضمت الجلسة محمود تيمور، وابراهيم المصري، ومحمد أمين حسونة، وغيرهم وغيرهم، والدكتور ناجي يتحدث عن آخر كتاب قرأه، ويحلل ما جاء فيه بأسلوبه الشائق الممتع، واذ بانسان بائس يطل الينا وأظنه الشاعر عبد الحميد الديب، فلا يكاد ينظر الى الجمع حتى تناول ناجي بكلام بذيء، مع أن ناجي كثيرا ما أحسن اليه وواساه وأشفق عليه ومنحه ما في جيبه، فتألم ناجي وتألمنا أن يقابل احسانه بالاساءة وكرمه بالجحود. . وسكت على مضض. . ولم يملك أن يكتب قطعة هجاء تتنافى وطبيعته الخيرة، ولكن الانسان يحرج أحيانافيخرج عن طوره. .

رجلا أرى بالله أم حشره
سبحان من بعيده حشره
يا فخر «داروين» ومذهبه
وخلاصة النظرية القذره
أرأيت قردا في الحديقة قد
فلّته انثاه على شجره
عبد الحميد اعلم فأنت كذا
ما قال «داروين» وما ذكره
يا عبقريا في شناعته
ولدتك أمك وهي معتذره

وليالي ناجي من أمتع الليالي. . كانت ليلة الجمعة فرصته الوحيدة للسهر حتى الصباح، يعيش مع خلّص

أصدقائه، من مقهى الى مقهى، ومن تياترو إلى تياترو، ومن مرقص الى آخر، فتمر الليلة على أمتع ما تكون السهر، وقد أتيح لي، حين أكون في القاهرة أن أعايشه بعض تلك الليالي، وأسهر معه تلك السهرات المشعة بالأضواء، فأحس برعشات الفن والأدب تثيره وتغمر كل خالجة من خوالج ذاته، ولا سيما حين يتراءى له الجمال المطلق مجسدا في اطار من الفن الذي يثيره، فلا يتمالك عن البوح عن هواجسه الدفينة، أو نزعاته اليقظة. . ولا شك أن أكثر قصائده الوجدية هي نتاج تلك الليالي التي يقص فيها بصدق فصص أشواقه ومواجيده. .

هذا وقد وصفه الأستاذ ابراهيم المصري فقال: شخصية الدكتور ناجي شخصية غريبة تستهوي كل من اتصل بها، شخصيته شاعر قلق يحيط بها ويغمرها السر الذي قذف بها الى هذا العالم، والذي لا تنفك تتساءل عنه وتتطلع اليه مبهوتة مما ترى حولها من ألم وجمال، شخصية خفيفة مجنحة لا تلبث أن ترف على الأشخاص والأشياء حتى تحلق في أجواء غير منظورة، أسعد ما تكون بالصمت والتأمل والصفاء.

تلتقي بالدكتور ناجي فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك، وتصافحه فكأنما هو يفتح صدره لك، وتجلس إليه وكأنك في حضرة روح حائر، وتستمع لحديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياه، فتذهل ويتضاءل شخصك في عين نفسك، ويعز عليك نقصك، ولا يغريك في النهاية الا يقينك بأن الخير الذي استقر في سواك وتمثل نابضا حيا في قلب هذا الشاعر النبيل الشاب. .

وتحدق اليه فترى رجلاً هزيلاً متوسط القامة منكمش الأعضاء أصلع مقدمة الرأس، ناعس العينين مديد الذقن أشبه بالصورة التي تعرفها للشاعر الايطالي «دانو نزيو»، يمشي

وكأنه يتعثر، يصمت وكأنه غير موجود، يقبع في ركن من القهوة وغليونه في فمه وكأن سنة من النوم قد استغرقته . . ثم يتكلم بغتة ويفيض ولا يفتأ يتحرك ويتلفت ويلوح بذراعيه تلوحياً عصبيا متداركا فتحس لفورك رحابة نفسه واضطرابها وضيقها بما تحمل . .

وتسمعه يجادل ويحتد وصوته أبدا صريح، وجنبه أبدا منبسط، والابتسامة الرقيقة لا تفارق شفتيه، وعينه الحالمة أصفى ما تكون محبة وعطفا، فيخطر لك أن تداعبه بنكتة ظريفة، وسرعان ما يتبدل ويستضيء وجهه ويتألق، وتشيع فيه نضارة معبودة كنضارة الأطفال، فيأخذ في ارسال النكتة تلو النكتة، حاضر البديهة، عبقري الفكاهة، جم الحيوية، يضحك ضحكات حرة عريضة مليئة، كأنما الفرح كله قد اجتمع في فؤاده . . وكأنه قد نسي في لحظة واحدة كل ما استشرقت عليه نفسه من هم الحياة . .

والذي يسحرك في ناجي أنك عبثا تحاول توجيه اي نقد خلقي اليه ـ فهو يحب الجميع، ويخلص ويخدم الجميع، ولا يداهن ولا يغتاب ولا يشي ولا يتكبر، ولولا بعض الحياء في الطبع أكسبه اياه فرط الأدب، وراضه على التجاوز والصفح من حيث لا يجب التجاوز والصفح، لما وجدت أي مغمز فيه، ولقلت انه جاوز المنطقة المقدسة التي تفصل بين الكمال الانساني المحدود والكمال العلوي اللانهائي . .

هذه شخصية ناجي كما عرفتها وآمنت بها وكما يقررها ويجمع عليها اخوانه وعارفوه[1].

ـ ١٢ ـ

ترك الدكتور ناجي غير دواوينه مجموعة من الكتب

والرسائل، منها المطبوع، ومنها غير المطبوع، فمن كتبه المطبوعة «مدينة الأحلام»، و «في فن القصة» نشرته مجموعة (كتب للجميع) بعنوان «ادركني يا دكتور»؛ ترجمة رواية «الجريمة والعقاب» لـ «دويستوفوسكي». أما غير المطبوع من كتبه فهي «عالم الأسرة»، و «كيف تفهم الناس»، و «رسالة الحياة» - جزءان -، و «قراءات أحببتها»، و «الحب والجنس»، و «أزهار الشر» عن بودلير مع ترجمة لبعض أشعاره، و«رباعيات ناجي»، و «أهازيج شكسبير»، وعدة أبحاث ومحاضرات منتشرة في بطون الصحف والمجلات لو جمعت لألفت كتابا كبيرا..

هذه صور متعددة الجوانب عن ناجي الشاعر الأديب الذي كان يسلط أحدث أضواء علم النفس على أدبه، وقد ترك خلال هذه الفترات من عمره زادا دسما لعشاق الأدب سواء من شعره أو نثره أو ترجماته، وما كاد يصل الى السن التي ازدادت فيها تجاربه وازداد عطاؤه حتى خسر الأدب هذا الشاعر الفريد الذي جعل الشعر، كما ذكرت، وكما ردده لي أكثر من مرة، النافذة التي يطل منها على الحياة، ويشرف منها على الأبد، وما وراء الأبد والهواء الذي يتنفسه والبلسم الذي داوى به جراحات نفسه حين عز الأساة.

هذا وبالنظر للصلاة الوثيقة التي كانت بيني وبينه، فقد دعوته لالقاء محاضرة في «دار الكتب الوطنية» بمدينة حلب، والتي كنت أشرف عليها، ولبى الدعوة وتحدد اليوم السابع والعشرين من شهر آذار - مارس - سنة ١٩٥٣، كما تحدد موضوع المحاضرة وهو «الخواطر العالمية الحديثة في الأدب والاجتماع». وأرسلت إليه بطاقات السفر، وتلقيت منه برقية في الثالث والعشرين يعلمني فيها أنه سيغادر القاهرة يوم الاربعاء على متن الطائرة التي تقوم من الاسكندرية الى حلب، وطبعت بطاقات الدعوة، ووزعت على الجمهور، وارتقبت وصوله في الموعد الذي ضربه، ووصلت الطائرة

دون أن يكون بين ركابها هذا الطائر الغريد . .

لقد تشاءمت، ولا أعلم سبب تشاؤمي، وجالت في خاطري هواجس غريبة عن الموت، عن موت ناجي . . أي والله . . مرت هذه الخواطر السوداء من فكري دون أن أعرف أي مبرر لها ثم توقعت ألف سبب لتخلفه الا موته . . ولم أكن أعلم أن الساعة التي حددها لمغادرة القاهرة هي ساعة مغادرته هذه الدنيا، فلم يغادر القاهرة الى حلب بل الى الدار الآخرة .

لقد احتشد الناس بالمئات في قاعة دار الكتب وكلهم من عيون المفكرين يرتقبون وجه الدكتور ناجي ليحاضرهم في الأدب والاجتماع، وليعرض الى أحدث الآراء العالمية في هذين الفنين الذي يجيد الحديث عنهما إجادة مطلقة۔ ارتقبوا أن يستمعوا من خلال بسمته التي لا تفارقه أن ينثر تلك الآراء بأسلوبه الشاعري، الذي يفيض بأزاهير الأدب والحكمة، وتغمره هذه الهالات من أصفى مبادىء علم النفس، ولكن القدر خيب ظنهم، فوقفت وأنا جزع النفس أذيع عليهم هذا النبأ الحزين . .

وتحدثت عنه طويلا . . عن شعره وأدبه وخلقه ومواهبه، والكثير من الذكريات . . وقد بكيت وبكى الحاضرون، ثم ختمت كلمة الرثاء بقولي :

أيها السادة: لقد جئتم لتسمعوا حديثا منه، فاذا بكم تسمعون حديثا عنه، وأي حديث تسمعون، نبأ وخبر موته . . فيا لسخرية القدر . .

- ١٤ -

هذا الديوان

تعمل دار العودة في بيروت۔ بشخص مديرها۔ على نشر

واعادة نشر دواوين شعراء المدرسة الحديثة في مجلد واحد، وطباعة أنيقة تيسر للقارىء العربي الالمام بفترات التطور، وبكل ما أصدره الشاعر.

وقد نشر أكثر من ديوان، فدل بعمله على ذوق فني، وروح محبة للشعر..

وها هو ذا يعنى بنشر شعر الدكتور ابراهيم ناجي، الشاعر الغنائي الغني بموسيقاه، كما هو غني بصوره ومعانيه، وكان في طليعة شعراء المدرسة الحديثة، وقد طلب مني كتابة مقدمة عن ناجي وشعره وصور من حياته، فلم أتردد لما أحمله في نفسي من حب وتقدير، وقد بسطت ما أعرفه عنه، وما عرض اليه الأدباء والنقاد، ما له وما عليه.. وقد ضم الديوان ما في دواوينه «وراء الغمام»، و «ليالي القاهرة»، و «الطائر الجريح»، وما تناثر في الصحف، وما رشح من ذاكرة أصدقائه. وقد جعلت قسم الاخوانيات والمداعبات والرثاء والمدح في نهاية الديوان، وقصائد المدح قليلة، اذ لم يكن الشاعر مدّاحا من طراز أولئك الذين يستجدون بأماديحهم الكاذبة الهبات والأعطيات، بل كان في مدحه من طراز أولئك الذين أحسنوا إليه في محنته، ووقفوا إلى جانبه ضد أولئك البغاة الذين تكالبوا عليه، فلم يستطع إلا أن يعبر عن خوالجه بشعر نابع من القلب.

أما شعره الوجدي، ونزعاته الصوفية والفلسفية، فقد احتلت صدر الديوان، وهي مجموعها مقطوعات وقصائد تؤلف قصيدة واحدة، أو ملحمة من ملاحم الحب.

وبعد فلا أسترسل أكثر من هذا، ولأترك للقراء أن يستمتعوا بجمال شعره، وبالكثير من لوحاته البارزة المعاني والالوان

سامي الكيالي

فهرست